سلسلة دراسات 16

المنهج النبوي في التربية والتعليم وأثره في الارتقاء بالمنظومة التربوية

مادة التربية الإسلامية أنموذجا



أحمد شهبون

MANAR AL ISLAM

مفاد
مركز فاطمة الفهرية للأبحاث والدراسات

كتاب: المنهج النبوي في التربية والتعليم و أثره في الارتقاء بالمنظومة التربوية: التربية الإسلامية أنموذجا.

تأليف: أحمد شهبون

الناشر: مركز فاطمة الفهرية للأبحاث والدراسات (مفاد)

ردمك: 978-9920-9124-9-5

الطبعة الأولى: 1442هـ / 2021م

التدقيق والإخراج الفني: www.islamanar.com

المنهج النبوي في التربية والتعليم

و أثره في الارتقاء بالمنظومة التربوية

مادة .التربية الإسلامية أنموذجا

أحمد شهبون

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع، إلى القائد المربي الأعظم والمعلم الأول، الذي أرسله الله رحمة للعالمين، سيدي وحبيبي محمد صلى الله عليه وسلم، فجزاه الله عن أمتنا خير ما يجزي رسولا عن أمته.

وإلى أسرتي الكريمة.....

وإلى شيوخي وأساتذتي الكرام...

وإلى كل باحث وعالم وخبير مسلم في مشارق الأرض ومغاربها، الغيورين على منهج الإسلام ورسالته النبيلة، تصورا وإيمانا واعتقادا.

وإلى كل من سار على نهجه وهديه إلى يوم الدين.

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، خلق آدم من طين ثم قال له كن فكان، أحسن كل شيء خلقه وأبدع الإحسان والإتقان، أحمده سبحانه وحمده واجب على كل إنسان، وأشكره على ما أسداه من الإنعام والتوفيق للإيمان، خلقنا في أحسن تقويم، وربانا على موائد بره وخيره العميم، ورزقنا السمع والبصر والفؤاد، وعلمنا ما لم نكن نعلم، وهو بكل شيء عليم، وأشهد أن سيدنا وحبيبنا ومربينا ومعلمنا محمدا عبده ورسوله، وصفيه من خلق وحبيبه، أفضل مولود وأكرم موجود، فصلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه الأكرمين الذين آزروه ونصروه وأيدوه، فكانوا له أزكى رفقة وأحباب، وأرسخ الناس علما، وأبرهم قلبا، وأقلهم تكلفا، وأصدقهم قولا وفعلا، فصاروا بذلك من المفلحين، وعلى منوالهم سار التابعون ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين.

وبعد:

فإن الأمم والمجتمعات لا تستطيع أن تحافظ على استمرار وجودها ورقيها، إلا بفضل إعداد أجيالها المتعاقبة الإعداد السليم المتكامل، وبقدر ما تحافظ الأمم والشعوب على تربية هذه الأجيال الصاعدة على التمسك بدينها ومعتقداتها وأخلاقها، بقدر ما تحافظ على بقائها وعلو شأنها، لذلك وجهنا الإسلام الحنيف إلى الاهتمام والعناية بالناشئة وتربيتها تربية صالحة مصلحة، لا سيما في مراحل الطفولة حين يكون الطفل ألين عريكة، وأنقى فطرة، وأصدق تأثرا بكل من يحيط به.

والآباء مسؤولون بالدرجة الأولى عن تنشئة الطفل وإحاطته بالرعاية والحماية والتوجيه، ثم المدرسة، ثم المجتمع وهكذا.

فالناشئة الصالحة تعتبر ثروة الأمة الغالية وذخرها الثمين، لأنه دون شك ستكون خيرا ونعمة، حين تستثمر في الخير والفضيلة والبناء، والعكس صحيح يمكن أن تصبح ضررا مستطيرا وشرا وبيلا، حين يفترسها الشر والفساد...

ولا مفر للعقول الحكيمة التي تريد الصلاح والفلاح في الدارين، على منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ربى به صحابته عن تزكية أرواحهم وبناء شخصياتهم، وتحمل مسؤولياتهم

الدينية والدنيوية، فكان دالا لهم على الحق، مرشدا إياهم إلى الخير، ناصحا باتباع الطريق المستقيم الذي يساعدهم على تحقيق ذلك بتنمية قدراتهم العقلية والجسمانية على أحسن وجه، فحثهم على النظر والتأمل والتفكر والتدبر في كون الله ومخلوقاته، وفي كتاب الله من أجل أن يشعروا بعظمة الخالق وحكمته سبحانه، وحثهم كذلك على التأمل في علم الله الشامل وإحاطته الكاملة بكل ما في هذا الكون البهيج، لأن التأمل في هذا الكون يملأ الروح والقلب بعظمة الله والخشية منه، ويطهر العقل والقلب من كل الرذائل، وقد كان صلى الله عليه وسلم دائما يحث صحابته على اتباع سبيل الإخلاص في عبادة الله تعالى، باعتباره من أعظم الوسائل لتربية الجانب الروحي في نفوسهم، لأن العبادة غايتها التذلل والخضوع لله سبحانه.

ولم يكتف صلى الله صلى الله عليه وسلم بالحث على هذا الجانب العبودي فقط، بل ربى صحابته على مكارم الأخلاق...... وبأساليب متنوعة.

وبهذا أصبح السلف الصالح مشعل الحضارة الإسلامية التي جسدت الوظيفة الرسالية التي جاء بها خير النبيئين والمرسلين، إيمانا وحرصا ودعوة وأدبا.

فاجتمع لديهم مالم يجتمع لغيرهم من شباب الأمة في أي عصر من العصور، وأعتقد أنه من العوامل التي ساهمت في ذلك مشاهدتهم لأنوار الحق الذي بدد ظلمات الباطل، وآيات النبوة التي هدمت صروح الطغيان، ودلائل الوحي الرباني الذي قضى على عوامل الفساد.

فالمتأمل في المنهج النبوي في التربية والتعليم يجد فيه الأسوة والقدوة الحسنة في جميع مجالات الحياة، سواء في جانب العبادات أو في المعاملات وغير ذلك، ويكون بذلك محققا النجاح الباهر الذي ليس له مثيل في تاريخ البشرية.

بشهادة العقلاء في عصرنا الحاضر واعترافهم في أكثر من مناسبة بأن النبي صلى الله عليه وسلم أوصل المجتمع الإسلامي إلى مستوى لم يستطع كبار الفلاسفة والمفكرين والمصلحين على مدى العصور السابقة واللاحقة أن يصلوا بمجتمعاتهم وشعوبهم إلى ما وصل إليه النبي صلى الله عليه وسلم.

وبهذا يتجدد التأكيد على أن المنهج النبوي في التربية يعتبر منهج حياة عمرها من عمر دعوته صلى الله عليه وسلم، في إعداده لهذه الأمة المحمدية، فقد كان أبا قبل أن يبعث، ثم بعد أن بعث صار أبا، ومعلما رحيما لهذه البشرية كلها.

وأثبتت الدراسات العلمية الأكاديمية أن التربية الإسلامية قادرة على تغيير الأنفس والمجتمعات والوصول بها إلى المثالية والواقعية.

وقد تناولت في هذه الدراسة أحد الجوانب التي تعرف بشخصية النبي صلى الله عليه وسلم وهو: «منهجه صلى الله عليه وسلم في التربية والتعليم وأثره في الارتقاء بالمنظومة التربوية: التربية الإسلامية أنموذجا».

وحاولت فيه جاهدا مركزا على أهم أسسه وأهم ملامحه وخصائصه ومجالاته، وكذلك الأساليب التي استخدمها صلى الله عليه وسلم في التربية والتعليم وأثرها على الفرد والمجتمع ككل.

سبب اختيار الموضوع:

إن سبب اختيار هذه الدراسة يمكن إجماله فيما يلي:

1. نشأ اختياري لهذا الموضوع من حبي العميق لدراسة شخصية النبي صلى الله عليه وسلم، التي كانت مهمتها العظمى «الدعوة الى الله»، تأسيا بمنهجه صلى الله عليه وسلم في إرساء معالم الهدي والعدالة الاجتماعية لدى الناشئة.

2. معرفة الأسس الكبرى التي بني عليها المنهج النبوي في الجانب التربوي.

3. التعرف على الخصوصية المنهجية التي يتميز بها عن غيره من المناهج التربوية.

4. الأساليب التعليمية التي استخدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم في التربية.

5. آفاق المدرسة المغربية وفق التصور المنهجي النبوي التربوي تأصيلا وتنزيلا.

6. كيف يمكن الاستفادة من المنهج النبوي في التربية والتعليم في عصرنا الحاضر.؟

مشكلة الدراسة:

تعتبر تربية الناشئة في عالم متغير أمرا غير يسير أبدا، لذلك وجب الاستعداد الحقيقي لحماية الطفل من كل ما يمكن أن يسيئ إليه، أو أن يعترض أصالته وفطرته ووظيفته الوجودية، ووضع خارطة طريق وفق رؤية استراتيجية، تتبنى فلسفة واضحة المعالم في تربية أبناء الأمة الإسلامية تربية ربانية أصيلة متينة، وفق سياسة تربوية ترتكز على تعاليم ومبادئ ديننا الإسلامي الحنيف، والانطلاق منه لكي نتمكن من مواجهة التحديات التي تواجه شباب الأمة الإسلامية، سواء كانت متعلقة بالجانب التربوي، أم بالجانب الثقافي، أم بالجانب الاجتماعي.

ولمواكبة هذه التغيرات التي يعرفها العالم لا بد أن نكون على بينة من أمرنا ونبحث عن السبل والوسائل الناجعة التي ينبغي استخدامها لزرع القيم والمبادئ الإسلامية التي جادت بها التربية النبوية القويمة.

وفي ضوء ما سبق فإن إشكالية البحث تتجلي في:

مدى الاستفادة من المنهج النبوي في التربية الحالية؟

ويتفرع منها إشكالات أهمها:

1. ما الهدف من دراسة المنهج النبوي في المدارس التعليمية؟
2. ما أهم الأسس التربوية التي يقوم عليها المنهج النبوي؟.
3. ما هي الأساليب التربوية والتعليمة التي ركز عليها النبي صلى الله عليه وسلم وربى صحابته عليها؟
4. الوظيفة الفاعلية للوسائل التعليمية النبوية في عصرنا الحالي؟
5. ما الصيغ المقترحة للاستفادة من منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم في التربية والتعليم؟

أهمية الدراسة:

لهذا البحث أهمية عظمى كيف لا وهو يتعلق بهديه ومنهجه صلى الله عليه وسلم في التربية، وأثره على الفرد والمجتمع ككل:

1 - تكشف عن الأهمية الكبرى للتربية باعتبارها عنصرا أساسيا في بناء شخصية الفرد.

2 - الوقوف على مكامن القوة في التربية النبوية.

3 - إنشاء وإعداد جيل معتز بدينه وحضارته وأخلاقه.

وهذا ما سيتضح لاحقا أثناء الكشف عن الملامح الكبرى للمنهج النبوي، والنماذج العملية التي تؤكد على أنه صلى الله عليه وسلم كان صادقا في القول والعمل، فكان الجيل الأول متشبعا بالقيم والمبادئ الإسلامية، عكس ما هو موجود في المنظومة التربوية الحالية التي لا تبشر بالخير، من قلة في المعارف وأقصد بذلك العلم الشرعي، وظاهرة الانحلال الأخلاقي لدى الفرد في المجتمعات الإسلامية والعربية بشكل عام ولدى المتعلمين بشكل خاص.

وأعتقد والله تعالى أعلم أن هذا راجع بالأساس إلى الإهمال الحقيقي، - المتعمد من لدن الساهرين على هذا الحقل-للوظيفة المركزية للتربية الإسلامية في مدارسنا.

أهداف الدراسة:

1. الترسيخ الفعلي لشخصية النبي صلى الله عليه وسلم، وهديه الشريف في نفوس الناشئة التي أصبحت للأسف الشديد في عصرنا الحاضر لا تعرف شيئا عن النبي صلى الله عليه وسلم، إلا الشعار الذي لا يسمن ولا يغني من جوع.

2. تفعيل المنهج النبوي في المنظومة التربوية التعليمية في بلدنا قولا وفعلا.

3. إبراز أهمية التربية في المنهج النبوي وكيفية الاستفادة منه ضمن مقررات التربية الإسلامية.

4. إبراز أهمية الأساليب التعليمية النبوية، ودور الوسائل في نشر التربية الإسلامية لدى الناشئة، والامتثال للأوامر والنواهي لتعاليم الإسلام.

الدراسات السابقات:

الحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة، بأن وفق الكثير من عباده قديما وحديثا لأن يسهموا بكتابتهم في مجال التربية كل حسب قدرته وما وفق إليه، فاستفدت كثيرا من

هذه المؤلفات في السيرة النبوية حتى وإن كانت عناوينها غير مصرحة بذلك، إلا أن في ثناياها تجدهم يتحدثون عن المنهج النبوي في التربية، وكذلك بعض الدراسات المعاصرة التي تناولت المنهج النبوي في التربية والتعليم، فاعتمدت على كل ما سبق من باب الاستفادة الذاتية، وإيثار الموضوع بما يجعله أكثر فائدة، لأني لم أعثر على بحث كتب بهذا العنوان: «المنهج النبوي في التربية والتعليم وأثره في المنظومة التربوية: التربية الإسلامية أنموذجا»، ومن هذه الدراسات التي ساعدتني في هذه الدراسة:

1.التربية النبوية، د. محمد بن عبد الله الدويش، مكتبة الملك فهد الوطنية -الرياض-، ط: 2 1437هـ-1982م.
2.الرسول المعلم ومنهجه في التعليم، محمد رأفت سعيد، دار الوفاء للطباعة والنشر – القاهرة2002م.
3.النبي المربي د. أحمد رجب الأسمر، دار الفرقان -الأردن، ط: 1 1422 هـ-2001م.
4.منهج النبي صلى الله عليه وسلم في التعامل مع النائشة، صالح الضرمان، وزارة التربية والتعليم السعودية، سنة النشر 2006م،
5.أساليب نبوية في التربية والتعليم، إبراهيم صالح الدحيم، مجلة البيان المملكة العربية السعودية، العدد209، 2005م.

صعوبة الدراسة:

في كل دراسة بحثية هناك صعوبات تواجه الباحث، منها ما يكون متعلقا بذات الباحث، ومنها ما يكون متعلقا بصعوبة الحصول على بعض المصادر والمراجع المهمة في الدراسة، ولهذا واجهتني صعوبات كبيرة في هذه الدراسة نظرا للظرفية الاستثنائية التي يعيشها العالم، حيث أغلقت المراكز البحثية وأصبحت أعتمد على تلك المراجع الموجودة على النت، أو تلك المتوفرة لدي.

على كل أسال الله تعالى أن يتقبل مني ومن الجميع وأن يرفع عنا هذا الداء وأن يرزقنا الدواء في القريب العاجل. إنه ولي ذلك والقادر عليه.

منهج الدراسة:

استخدمت في هذه الدراسة أسلوب التحليل الوصفي، كأحد تقنيات المنهج الوصفي من خلال الوقوف على بعض النصوص في السنة والسيرة النبوية، واستخراج ما فيها من معالم وخصائص وأساليب تتعلق بمنهج الرسول صلى الله عليه وسلم في التربية.

خطة البحث:

وأزمعت بحول الله تعالى أن أختط لبحثي هذا تصميما وفق المنهجية الآتية: مقدمة، وقد ضمنتها خلاصة هذه الدراسة وما يتأسس عليها من إشكال منهجي تربوي، مبرزا أهمية اختياره والبحث عن نتائجه.

وتوزعت الدراسة على أربعة فصول: خصصت الفصل الأول: المنهج النبوي التربوي في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقسمته إلى مباحث: الأول: البنية المفاهيمية، والثاني: مدخل حول الهدي النبوي وفي كل منهما مطالب، والثالث: جوهر التربية النبوية. والرابع: معالم التربية النبوية، وفي كل منهما تندرج مطالب.

ثم انتقلت في الفصل الثاني للحديث عن المنهج النبوي ومجالاته. وقسمته إلى مبحثين: الأول: مجالات التربية النبوية. ويشتمل على سبعة مطالب، ثم المبحث الثاني: تحدثت فيه عن الأساليب والوسائل في التربية النبوية. واشتمل على عشر مطالب.

وأما الفصل الثالث وسميته ب: المنهج النبوي التعليمي. وفيه ثلاثة مباحث: ضمنت الأول: التعليم في العهد النبوي. وأدرجت فيه أربع مطالب، وفي المبحث الثاني: الأساليب والوسائل التعليمية النبوية، ووزعتها على مطلبين، وفي المبحث الثالث: السؤال والجواب في التعليم النبوي. وتضمن مطلبين.

وفي الفصل الرابع سميته ب: أثر المنهج النبوي في منهاج التربية الإسلامية. فخصصت له أربع مباحث: الأول: السياق التاريخي لمنهاج التربية الإسلامية. وفيه مطلبان، والثاني: التربية الإسلامية في المنهاج الجديد. وفيه مطلبان كذلك. والثالث: دراسة في الهندسة المنهاجية: منهاج

التربية الإسلامية. واشتمل على ست مطالب. والرابع: أثر المنهج النبوي في التربية الإسلامية، واشتمل على تسع مطالب.

وقد ختمت البحث بأهم النتائج. -فهرس المحتويات. -لائحة المصادر والمراجع.

ولا أدعي أنني سأوفي لهذه الدراسة حقها، وانما ستظل محاورها وأسئلتها الكبرى مفتوحة للمتابعة والبحث والدرس بين السادة الباحثين المتخصصين في المجال التربوي الإسلامي.

الفصل الأول

المنهج النبوي التربوي
في عهد النبي المربي

المبحث الأول: البنية المفاهيمية

المبحث الثاني: مدخل حول الهدي النبوي

المبحث الثالث: البعد الجوهري للتربية النبوية

المبحث الرابع: معالم التربية النبوية

المبحث الأول: البنية المفاهيمية

المطلب الأول: المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة «المنهج»

أ. لغة:

لقد أوردت المعاجم اللغوية مادة [نهج] من الفعل الثلاثي الصحيح من بابي: «قطع» و»فرح»، [نهَجَ]: يَنهَج، أنهَجْ، ونَهْجًا، ونُهوجًا، ونَهْجات، ونُهُج، فهو ناهِج والمفعول مَنْهوج، و»نهج» بفتح الهاء وكسرها: يَنهَج، أنهَجْ نَهَجًا، فهو نهِج ونَهيج وناهج ومُنهج، و»أنهَجَ»: يُنهج إنهاجًا فهو مُنْهِج، والمفعول مُنْهَج. (1)

قال ابن دريد: [نهج] والنهج: الطَّرِيق الْوَاضِح، وَالْجمع نهوج ونهاج، وَهُوَ الْمنْهَج وَالْجمع مناهج. (2)

وقال ابن فارس مصطلح [نهج]: النُّونُ والهاء وَالْجِيمُ أَصْلَان مُتَبَايِنَان: الأول النَّهْجُ، الطَّرِيقُ. وَنَهَجَ لِي الأمر: أوضَحَهُ. وَهُوَ مُسْتَقِيمُ الْمِنْهَاجِ. وَالْمَنْهَجُ: الطَّرِيقُ أيضا، وَالْجَمْعُ الْمَنَاهِجُ. والآخر الانقِطَاعُ. وأتانا فلان يَنْهَجُ، إذا أتى مَبْهُورًا مُنْقَطِعَ النَّفَسِ. وَضَرَبْتُ فلانا حَتَّى أنهِجَ، أَيْ سَقَطَ. وَمِنَ الْبَابِ نَهَجَ الثَّوْبُ وأنهَجَ: أَخْلَقَ وَلَمَّا يَنْشَقَّ. وأنهَجَهُ الْبِلَى. (3)

(1) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ج3ص392. /والمحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، 1421 هـ - 2000 م ج4 ص171. / المخصص، لابن سيده، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولى، 1417هـ 1996م، ج3ص307. /كتاب الأفعال، علي بن جعفر بن علي السعدي، -ابن القَطَّاع الصقلي-، دار: عالم الكتب ط: الأولى 1403هـ -1983م ج3ص. 212. /لسان العرب، ابن منظور دار صادر – بيروت ط: الثالثة – 1414هـ ج2ص383. / تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، - الزَّبيدي-تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية ج6ص251

(2) جمهرة اللغة، ابن دريد، تحقيق رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الأولى، 1987مج1ص498.

(3) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ج5 ص361.

جاء في مختار الصحاح: (النَّهْجُ) بِوَزْنِ الْفَلْسِ، وَ(الْمَنْهَجُ) بِوَزْنِ الْمَذْهَبِ، وَ (الْمِنْهَاجُ) الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ. [1]

وفي لسان العرب: «.... وطُرُقٌ نَهْجَةٌ، وسبيلٌ مَنْهَجٌ: كَنَهْجٍ. ومَنْهَجُ الطريقِ: وضَحُه. والمِنهاجُ: كالمَنْهَجِ.

وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهاجاً﴾. وأَنهَجَ الطريقُ: وضَحَ واسْتَبأن وَصَارَ نَهْجاً واضِحاً بَيِّناً؛ والمِنهاجُ: الطريقُ الواضِحُ. واسْتَنْهَجَ الطريقُ: صَارَ نَهْجاً». [2]

من خلال الرجوع إلى المعاجم اللغوية قديمها وحديثها لمادة [نهج]، ورغم تعدد المعاني التي ترتبط بالفعل ومصدره، لاحظت أن هناك معاني متقاربة ومشتركة، هي أبرز ما يحويه معني المنهج، وهي كالآتي:

1 - «نَهَجَ الطَّرِيقُ»: وَضَحَ، واسْتَبَان. يقال «نَهَجَ أمرهُ وأنهج»: إذا تبين ووضح، ومنه منهج الطريق: وضحه. (3)

2 - «نَهَجَ الثَّوْبُ نَهْجاً «: بَلِيَ وأنهجه البلى: إذا خلق(4).

3 - «نَهَجَ الطَّرِيقَ»: سَلَكَهُ، سَارَ فِيهِ، وفلان يَسْتَنْهِجُ سَبيلَ فلان، أي يسلك مسلكَه(5).

4 - «نَهَجَ الْمَسْأَلَةَ»: أَبَانها، أوضَحَهَا. (6)

(1) مختار الصحاح، ابن عبد القادر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، دار: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا ط: 5، 1420هـ / 1999، ج1 ص320.

(2) لسان العرب، ابن منظور دار صادر – بيروت ط: الثالثة – 1414هـ ج2 ص383

(3) معجم العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال ج3ص392

(4) المحيط في اللغة، ابن عباد، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب - بيروت / لبنان - 1414هـ -1994م ط: الأولى ج1ص285. / المنتخب من غريب كلام العرب، علي بن الحسن الهنائي، تحقيق: د. محمد بن أحمد العمري، الناشر: معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي -المملكة العربية السعودية-، ج1 ص474.

(5) منتخب من صحاح الجوهري، لابن حماد الجوهري ج1ص5331.

(6) معجم الغني الزاهر، د. عبد الغني أبو العزم(الكتروني)، ج 25ص207.

5 - «نَهَجَ خُطَّةً سَلِيمَةً»: اِتَّبَعَ خُطَّةً... (1)

6 - «نَهَجَ لَهُ نَهْجاً»: خَطَّ، رَسَمَ لَهُ طَرِيقاً يَسِيرُ عَلَيْها. (2)

7 - «نَهَجَ عَلَى مِنْوآله»: سَارَ عَلَى مِنْوآله، مِثَاله، اِقْتَدَى بِهِ(3).

8 - المنهج المستقيم: يقال: ألا فاستقم في كل أمرك واقتصد...... فذلك نهجٌ للصِّراط قويمُ»(4)

ب. اصطلاحا:

المنهج: نظام يتضمن أهدافاً، ومحتوى وأنشطة وخبرات، وأساليب تربية وطرق تدريس ووسائل تعليمية، وأساليب ووسائل تقويم، ويهدف إلى تربية الأفراد. [5]

وإلى نفس المعنى تقريبا ذهب «د. بدوي» بأنه: فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون جاهلين بها، أو من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون عارفين بها. [6]

يلاحظ من خلال هذين التعريفين أنه يشتمل على عدد من المفردات والأنشطة، والأساليب، والوسائل، وكل ذلك من أجل تحقيق الأهداف المرجوة في أي مجال يتبع فيه المنهج الذي يناسبه، واتباع المنهج الأصلح والذي يقوم على أسس الموضوعية والنزاهة والمصبوغ بالصبغة الدينية، يعود على الأمة بالمنافع العظيمة، منها تربية الأفراد على معالجة القضايا بما يحقق المصلحة لهم ولمجتمعهم، وتجنب الوقوع في الأخطاء في أي مجال من

(1) المصدر نفسه: ج25ص207.
(2) المصدر نفسه: ج25ص207.
(3) معجم اللغة العربية المعاصرة د أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م ج2ص1146.
(4) المصدر نفسه ج3ص1877.
(5) التربية الإسلامية وتدريس العلوم الشرعية، صلاح سمير يونس، الرشيدي، سعد محمد، مكتبة الفلاح، الكويت، ط: الأولى 1420 هـ/ 1999م، ص59.
(6) مناهج البحث العلمي، عبد الرحمان بدوي، الناشر: وكالة المطبوعات -الكويت-1977م ص4.

مجالات الحياة، وكل ذلك يؤدي إلى التوصل للحكم الصحيح في كل نازلة وواقعة تواجه أفراد المجتمع.

المطلب الثاني: المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة «النبي»

أ. لغة:

اختلفت آراء اللغويين في تحديد الاشتقاق الذي يشتق منه مصطلح «النبي»، هل هو من قبيل: النبأ الذي يعني: الخبر؟، أم من النبوة والنباوة التي تعني: ما ارتفع من الأرض؟

فيرى الفريق الأول: أنه يشتق من الجذر الأصلي للكلمة: قال ابن فارس: (نَبَأَ) النُّونُ وَالْبَاءُ والهمزةُ قِيَاسُهُ الآتيان مِنْ مَكان إلى مَكان.. وَمِنْ هَذَا الْقِيَاسِ النَّبَأُ: الْخَبَرُ، لأنه يَأْتِي مِنْ مَكان إلى مَكان[1]. يقال: نبأَ ونبَّأَ وأنبأ: يَنبَأ، وينبِّئ، نَبْئًا ونُبُوءا وتَنْبئة فهو نابئ ومُنبِّئ والمفعول نبئ ومنبأ [2]

ومنه النبي لأنه أنبأَ عَنِ اللَّهِ وَهُوَ فَعِيلٌ بِمَعْنَى فاعل تَرَكُوا هَمْزَهُ كَالذُّرِّيَّةِ وَالْبَرِيَّةِ وَالْخَابيةِ إِلَّا أهل مَكَّةَ فإنهُمْ يَهْمِزُونَ الأربعة.. [3]، ويجمع على أنبياء وأنباء ونبآء

والفريق الثاني ذهب إلى أنه من فعل: (نَبَوَ) قال ابن فارس: النُّونُ وَالْبَاءُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى ارْتِفَاعٍ فِي الشَّيْءِ عَنْ غَيْرِهِ أو تَنَحٍّ عَنْهُ. [4] يقال: نبا ينبو نُبُوّاً، ونبِيّاً ونَبْوةٌ ونباوة. [5] والنباوة هِيَ: المكان الْمُرْتَفِعُ. [6]

---

(1) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ج5ص385

(2) معجم اللغة العربية المعاصرة د أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م ج3ص2153

(3) مختار الصحاح، ابن عبد القادر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، دار: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا ط: 5، 1420هـ / 1999م ج1ص303

(4) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ج5ص384.

(5) العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال ج8ص 379

(6) المحيط في اللغة لابن عباد، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب - بيروت / لبنان - 1414هـ -1994 م ط: الأولى ج10ص403

ومنه اشتقاق النبي، وشبه بالمكان المرتفع من الأرض، لأن مُرتفعاتها أشرافُها، ولذلك يُقَالُ أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ اسْمُهُ مِنَ النَّبْوَةِ، وَهُوَ الِارْتِفَاعُ، كأنهُ مُفَضَّلٌ عَلَى سَائِرِ النَّاسِ بِرَفْعِ مَنْزِلَتِهِ(1).

ومجمل القول حول الاشتقاق اللغوي لمصطلح [النبي]: أنه يشتق من النبأ وليس من النباوة، قَالَ الْفَارِسِي:... فَلَا يجوز أن يكون مأخوذاً من النّبْوة، لِأَن سِيبَوَيْهٍ حكى أن جَمِيع الْعَرَب يَقُولُونَ تنبأ مُسَيلِمة، فَلَو جَازَ أن يكون من النُّبُوَّة الَّتِي هِيَ بِمَعْنى: الِارْتفَاع، لما أجمع الْجَمِيع على الهمز فِيهِ، فإجماعهم جَمِيعًا على همز اللَّام من تنبّأ دَلِيل على أن اللَّام همزَة، وَلَا يجوز أن يكون مأخوذاً من النُّبُوَّة إِذْ لَو كان مأخوذاً مِنْهُ لَكان همزُه غلَطاً، كما أن من قَالَ وَلَا أدْراكم بِهِ غلط فقد بَطل بِهَذَا أن يكون مأخوذاً من النَبْوة، وَلَا يجوز أيضا أن تكون لامه على وَجْهَيْن مرّة يَاء منقلبة عَن الواو وَمرَّة همزَة لأنه لَو كان كَذَلِك لما أجمع الْجَمِيع على تنبّأ مُسَيْلِمة ولقال الْبَعْض تنبّى كما أن الْبَعْض يَقُولُونَ مُساناة وَبَعض يَقُولُونَ مُسانهة فإجماع الْجَمِيع على الهمز فِي تنبّأ مُسَيْلَمَة دَلِيل على أن اللَّام همزَة وَلَا يجوز أن تكون واوا على حَال أَلا ترى أنه لَو أجمع الْجَمِيع فِي العِضَة والسّنَة على بعير عاضِه ومُسانهة وَسَائِر جَمِيع تصاريف هَذَا لَقلت أن اللَّام هَاء وَلم يجُز على حَال أن تكون اللَّام حرف لين وَكَذَلِكَ إذا أَجمعُوا على الهمز من تنبّأ علمت أن اللَّام لَا يجوز أن تكون غير الهمزة فقد ثَبت بِمَا ذَكرْنَاهُ أن نَبيا لَا يجوز أن تكون لامُه حرفَ لين على حَال وَأنها همزَة أُلزِمت التَّخْفِيف فإن قلت قد جَازَ فِي جمعه أنبياء وَهَذَا الْجمع فِي أكثر الأمر للمعتل اللَّام كصَفيّ وأصْفياء وغنيّ وأغنياء فَالْقَوْل فِيهِ أن الأصل فِي اللَّام الهمز كَمَا تقدم وَلَكِن لما أُبدِل وأُلزِم الأبدال جُمِع جمْع مَا أصل لامه حرْف الْعلَّة كما أن عيداً لما أُزِم الْبَدَل جمع على أعياد وَخَالف ريحًا وأرْواحاً فأنبياء لَا تدل على أن أصل اللَّام من نَبِي حرف عِلّة كما أن أعْياداً لَا يدل على أن عيداً أصل عينه يَاء لَكِن الأصل الهمز وألزِم الإبدال كما أن أصل عيد الواو وألزِم إبدالها يَاء وَمَعَ ذَلِك فقد قرئَ أنبئاء بِالهمز، فَهَذَا يدلّك على أن الأصل الهمز وَلَو كان حرف عِلّة مَا جَازَ همزه فأنبئاء نَظِير أخمِساء وأنصِباء فِي جمع نصيب وخميس. قَالَ: وَهَذَا الَّذِي أذهب إليه فِي أن النبيّ أَصله الهمزة مَذْهَب سِيبَوَيْهٍ وَهُوَ الصَّحِيح الَّذِي لَا يجوز غَيره فإن قلت كَيفَ حكى أن بعض أهل الْحجاز يَقُول النّبِئ فيهمز وَقَالَ فِيهِ أنها ليست بجيّدة وَلَو كان الأصل عِنْده الهمز لَكان النبئ

(1) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج5 ص385.

عِنْده إذا همز هُوَ الجيّد فَالْقَوْل فِيهِ أنه إنما لم يستجِدْه لشذوذه عَن الِاسْتِعْمَال وَإِن كان مطّرداً فِي الْقيَاس فَمن هُنَا لم يستَجِدْه، فمِن أجل هَذَا قَالَ فِي قَول مَن هَمز النبيّ أنه غير يجد لَا أن الأصل عِنْده غير الهمز، وَلَيْسَ من الْعَرَب أحد إِلَّا وَهُوَ يَقُول تنبّأ مُسَيْلمَة فإنما هِيَ من أنبأت. [1]

وعليه فإننا نخلص إلى القول أن معاني هذا المصطلح لعلها تدور حول ما يلي:

1. الطريق الواضح: يقال: هذا النبي سيأخُذُكَ إلى حيثُ تُريد[2]. ويقال: الأنبياء طرق الهدى. قَالَ أبو مُعاذ النَّحْوِيُّ: سَمِعْتُ أعرابيا يَقُولُ مَن يَدُلُّني عَلَى النَّبِيِّ أَي عَلَى الطَّرِيق. [3]

2. الارتفاع: يقال النبي: مَا نَبا من الحِجارة إذا نَجَلتها الحَوافِ. [4]

3. الرواب السهلة: يقال هذه رَوَاب سَهْلَةٌ. [5]

5. العَلَمُ: يقال: هذا النبي من أعلام الأرض التي يُهتدَى بها؛ لشرفها وإشرافها على ما سواها. [6]

6. الخروج: يقال: من يدلني على نبي الله. وهذا ما قصده ذاك الأعرابي عندما قال: يا نَبِيءَ الله، بالهمز، أي: الخارجَ من مَكَّةَ إلى المدينةِ، وأنكره عليه، فقال: « لا تَنْبِرْ باسْمِي، فإنما أنا نَبيُّ الله». [7]

---

(1) المخصص، لابن سيده، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولى، 1417هـ 1996م ج3ص474

(2) العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ج8ص382

(3) لسان العرب، ابن منظور دار صادر – بيروت ط: الثالثة – 1414هـ ج15ص303

(4) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الازهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء الثرات العربي -بيروت-، ط: 1 2001م، ص349

(5) المحيط في اللغة لابن عباد، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب - بيروت / لبنان - 1414هـ -1994م ط: الأولى ج10 ض403

(6) والمحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، 1421 هـ - 2000 مج10ص519

(7) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، دار مؤسسة الرسالة -بيروت، ط الثامنة 2005 ج1ص53

7. المَوضِع: لا ينبغي أن نصلي في هذا النبي أي في هذا المكان المرتفع المحدودب، وقيل: هُوَ مَا نبا وارتفع. (1)

وإنما سُمي النبي نبيًّا لأنه مُنبَأ؛ أي: مُخْبَر من الله عزَّ وجلَّ أي: يُوحِي الله إليه نبأً من شَرعِه؛ قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا ﴾، (2)

وهو أيضا مُنْبِئٌ؛ أي: مُخبِر عن الله عزَّ وجلَّ بما يُوحِيه الله إليه من أمره وشرعه؛ قال تعالى: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أني أنا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾(3)

وعليه فإن الرَّبط بين لفظ النبي والمعنى اللغوي واضحٌ؛ لأن النبي ذو رفعةٍ عند الله تعالى في الدُّنيا والآخرة، وذو شَرَفٍ وسُؤدُد في قَومِه، ولا شك أنه مُنبَّأٌ من الله تعالى بشرعه الحنيف الذي تهتدي به البشرية جمعاء للفوز بالدارين، فهو يُنبئهم بذلك؛ أي: يُخبرهم به.

ب. اصطلاحا:

المراد بالنبيّ في الاصطلاح: إنسان حرٌّ ذكَر، من بني آدم اختاره الله تعالى وخصه بتبليغ الوحي إليه. (4)

فأنبياء الله عليهم الصلاة والسلام يأتيهم الوحي من الله تعالى فيما يفعَلُونه ويأمرون به المؤمنين بهم، ولا ينزل عليهم كتابٌ ولا يُرسَلون إلى قومٍ لم تبلغهم رسالةٌ سابقة، ولا إلى كافر يخالف أمر الشارع؛ ليُبلِّغوهم رسالةً من الله إليهم، إنما يُرسَلون إلى قومٍ مُوافِقين مخطئين في بعض الأمور، أو يُخلَفون من المرسلين في أقوامهم؛ مثل إسحاق الذي خلف أباه إبراهيم عليه السلام في أهله وقومه من بعده.

---

(1) لسان العرب، ابن منظور دار صادر – بيروت ط: الثالثة – 1414هـ ج1ص703
(2) سورة التحريم الآية: 3
(3) سورة الحجر الآية 49
(4) هذا هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم، د. محمد بن عبدالسلام معاطى، دار فحر للطباعة والنشر، ط 2 1428هـ2007 ص21. /الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، دار مؤسسة الرسالة – بيروت، ص900.

المطلب الثالث: المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة «التربية»

أ. لغة:

جاء في لسان العرب: «ربا: رَبا الشيءُ يَرْبُو رُبُوًّا ورِباءً: زاد ونما. وأَرْبَيْته: نَمَّيته. وفي التنزيل العزيز: ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾[1]؛ومنه أُخِذَ الرِّبا الحَرام؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فأولئك هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ [2].

قال الأَصمعي: رَبَوْتُ في بَني فلان أَرْبُو: نَشَأْتُ فيهم، ورَبَّيْتُ فلانا أُرَبِّيه تَربِيَةً وتَرَبَّيْتُه ورَبَبْتُه ورَبَّبْته بمعنى واحد. الجوهري: رَبَّيْته تَرْبِية وتَرَبَّيْته: أَي غَذَوْتُه، قال: هَذا لكل ما يَنْمِي كالوَلَد والزَّرْع ونحوه. [3]

وجاء في معجم مقاييس اللغة ما يلي:

[ربي]: الراء والباء والحرف المعتل، وكذلك المهموز منه يدلُّ على أصلٍ واحد، وهو الزِّيادة والنَّماء والعُلُوّ. تقول مِن ذلك: ربا الشّيءُ يربُو، إذا زاد. وربَا الرّابيةَ يَربُوها، إذا علاها. ورَبَا: أصابه الرَّبْو؛ والرَّبْو: علُوُّ النفَسِ. قال: حَتَّى عَلاَ رأسَ يَفاعٍ فَرَبَا رفَّهَ عن أنفاسِها وما ربَا أي: رَبَاها وما أصابه الرَّبو. والرَّبوة والرُّبْوة: المكان المرتفع. ويقال: أرْبَت الحنطة: زَكَتْ، وهي تُرْبِي. والرِّبْوة بمعنى الرَّبْوة أيضا. ويقال: ربَّيْتُهُ وتربَّيْتُه، إذا غذَوْته. [4]

من خلال ما ذكر من النصوص اللغوية وغيرها نستشف أن كلمة «تربية» مأخوذة من الجذر «ربا يربو» وبذلك تحمل المعاني الآتية:

---

(1)سورة: البقرة، الآية: 276.

(2) سورة: الروم، الآية: 39.

(3) لسان العرب ابن منظور، ط1،: دار صادر، 1410هـ-1990م، ج14ص 304/مختار الصحاح، أبو بكر الرازي، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع -بيروت- ص213.

(4) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس،، ط: 4، دار إحياء الكتب العربية، 1366هـ-1947، -مصر – ج2، ص482.

1) الزيادة والنمو: ربا الشيء يربو ربوًا ورباءً: زاد ونما. وأربيته: نميته، وفي التنزيل قال تعالى: ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾. (1)

2)النشأة: ربيب رباءً وربيًا: نشأت.

ومن الجذر: ربّ: يَرُبُّ تحمل المعاني الآتية:

أ. حفظ الشيء ورعايته: ربَّ ولده والصبي يَرُبُّه ربًّا بمعنى رباه. وفي الحديث: «لَكَ نِعْمَةٌ تَرُبُّهَا»: أي: تحفظها وترعاها، وتربّها كما يربي الرجل ولده. (2)

ب. حسن القيام بالطفل ووليه حتى يدرك. رب ولده والصبي يربه ربًا: رباه أي: أحسن القيام ووليه حتى أدرك أي: فارق الطفولية كان ابنه أم لم يكن.

3) التعليم: الرَّبِّي: منسوب إلى الرب، الرباني الموصوف بعلم الرب، فالرب مستعار للفاعل، ولا يقال الرب مطلقا إلا لله تعالى، المتكفل بمصلحة الموجودات لقوله تعالى: ﴿.. ورب غفور﴾. (3)

يقول الراغب الأصفهاني: الرب في الأصل بمعنى التربية، وهو إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حد التمام(4)، فكانوا يربون المتعلمين بصغار العلوم قبل كِبارهم. (5)

4) التأديب: رب بمعنى: جمع وزاد ولزم وأقام الأمر وأصلحه، ورب الولد ربأ: وليه وتعهده بما يعديه وينميه ويؤدبه حتى أدرك، وربيب وراب القوم: راسهم وساسهم. (6)

(1) سورة: البقرة، الآية: 276.

(2) تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية ج 2 ص464

(3) سورة: سبأ الآية: 15.

(4) المفردات في غريب القرءان، أبو القاسم الحسين الاصفهاني، تحقيق: محمد سعيد كيلاني، دار المعرفة -لبنان- ص184.

(5) تاج العروس تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية ج2 ص461. /مجمع اللغة، المعجم الوسيط ط: 3، ج1ص333 القاموس المحيط، الفيروز أبادي، دار المعرفة للنشر -بيروت- ج1 ص7.

(6) المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين، دار الشروق الدزلية، ط 2004م، ص 321

5) التكفل بأمور الصغير: الرابُّ كافل، وهو زوج أم اليتيم، وهو اسم فاعل، من ربه: يربه أي: أنه يُكفل بأمره، وفي حديث مجاهد: «كان يَكْرَهُ أن يَتَزَوَّجَ الرَّجُلُ امرأة رَابِّهِ»، يعني امرأة زوج أمه لأنه كان يربيه»[1].

ويظهر من مجمل هذه التعريفات أن القواسم الأساسية التي تشملها معنى التربية تدور حول:

أ. النمو والزيادة.

ب. والتدرج في النشأة.

روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم قال: «لاَ يَتَصَدَّقُ أحد بِتَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ إِلَّا أَخَذَهَا اللَّهُ بِيَمِينِهِ، فَيُرَبِّيهَا كَما يُرَبِّي أحدكُمْ فَلُوَّهُ أو قَلُوصَهُ، حَتَّى تكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ أو أعظم »[2].

والفعل «ربى» في الحديث يحمل معنى التعهد، والرعاية المستمرة للفلو حتى يكبر ويبلغ منتهاه في الزيادة والنمو.

ب. اصطلاحا:

ليس الغرض مني أن أعرض الكم الكبير من التعريفات المتداولة في عدد كبير من الكتابات التربوية، مبرزا اختلافاتها الجوهرية التي تعكس لنا درجة ونوعية المستوى المنطقي لأي شخصية تربوية بمختلف توجهاتها، وإنما أقفز مباشرة إلى محل الشاهد الذي نحن بصدده:

لقد أورد عبد الحميد الزنتاني عددا من آراء علماء المسلمين في هذا المجال، حيث إن الإمام الغزالي رحمة الله عليه ركز في آرائه التربوية على أن الهدف الأسمى للتربية: هي التقرب لله تعالى والاستعداد للحياة الأخروية ولذلك دعا إلى تربية الصبيان تربية دينية وخلقية قوامها التقشف والزهد في الملذات حتى البريئة منها.

---

(1) لسان العرب، ابن منظور دار صادر – بيروت ط: الثالثة – 1414هـ ج1 ص405.

(2) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، ج2ص5، رقم الحديث 1014.

وهذا ما فنده ابن سينا عندما عرف التربية بأنها: وسيلة لإعداد الناشئ للدين والدنيا في آن واحد، وتكوينه عقليا وخلقيا، وجعله قادر على اكتساب صناعة تناسب ميوله وطبيعته، وتمكنه من كسب عقله. (1)

وعلى هذا المنوال سار -د. إسماعيل علي -حيث عرفها: مجموعة من المفاهيم التي ترتبط ببعضها البعض في إطار فكري واحد يستند إلى المبادئ والقيم التي نص عليها الإسلام، والتي ترسم عددا من الإجراءات والطرائق العملية يؤدي تنفيذها إلى أن يسلك الفرد سلوكا يتفق مع عقيدة الإسلام. (2)

وعرفت كذلك بأنها: إطار فكري، ونظام متكاملا لتعاليم التربية في أسسها النظرية، وطرائقها العملية من وجهة نظر الإسلام، فهي عملية تنمية مواهب الإنسان تنمية متزنة بصورة منسجمة تؤدي إلى إعداد الشخصية المسلمة العابدة التي تتجه بكل علمها وعملها وخلقها نحو الله تعالى. (3)

أو بأسلوب آخر هي: تنمية مَلَكات الفرد وقدراته على اختلافها من أجل بلوغِ كماله العقلي والنفسي، وتنمية قدرات المجتمع كذلك من أجل تحقيق تطور أفضل، وتقدم اجتماعي أكمل، وفق المبادئ والقيم الإسلامية. (4)

إذن نستخلص مما سبق عرضه بوجه خاص على أن التربية: عملية تتسم بتنمية شاملة وهادفة لتنشئة الإنسان، وإصلاحه شيئا فشيئا بالتدرج في تشكيل الشخصية السوية، المتكاملة في جميع جوانبها الروحية والعقلية والوجدانية والخلقية والاجتماعية محققا الصلاح والإصلاح.

---

(1) أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، د. عبد الحميد الزنتاني، دار العربية -ليبيا-1993 ط: الأولى، ص24.

(2) أصول التربية الإسلامية، سعيد إسماعيل علي، دار الثقافة ر للنشر والتوزيع-القاهرة- 1978، ص6

(3) التربية الإسلامية، سليمان الحقيل ص 6. /مفاهيم ومبادئ تربوية، ص 17-18

(4) التربية على منهج أهل السنة، فريد، أحمد، دار ابن الجوزي -مصر 1432هـ- 2011، ط: الأولى، ج1ص11، نقلا عن محمد رجاء حنفي عبد المتجلي: « قيم هي أساس التربية» بتصرف، مجلة الوعي الإسلامي-عدد 93.

المطلب الرابع: المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة «التعليم»

أ. لغة:

إن مصطلح [التعليم] من الفعل الثلاثي: علم، يَعلَم، عِلْمًا، فهو عالِم، والمفعول معلوم، ورجل علامة، وعلاّم، وعليم.[1]

والعلم من صفات الله سبحانه العليم، والعالم، والعلام، قال تعالى: ﴿... وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾[2]، وقال: ﴿.. عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾[3]، وقال: ﴿.. قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾[4]فسبحانه عالم بكل شيء ما كان وما يكون وما سيكون قبل أن يكون لم يزل عالما بما كان وما يكون ولا تخفي عليه خافية في الأراضين والسموات ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

جاء في لسان العرب: والعِلْمُ: نقيضُ الْجَهْلِ، عَلِم عِلْماً وعَلُمَ هُوَ نَفْسُه، وَرَجُلٌ عالمٌ وعَلِيمٌ مِنْ قومٍ عُلماءَ فِيهِمَا جَمِيعًا. وعَلِمْتُ الشيءَ أعلمه عِلْماً: عَرَفْتُه. قَالَ ابْنُ بَرِّيٍّ: وَتَقُولُ عَلِمَ وفَقِهَ أَي تَعَلَّم وتَفَقَّه، وعَلُم وفَقُه أَيْ سادَ العلماءَ والفُقَهاءَ. وعَلَّمه العِلْم وأعلمه إياه فتعلَّمه ويقالُ: تَعلَّمْ فِي مَوْضِعِ أعلم. وعَلِمَ بِالشَّيْءِ: شَعَرَ. يُقَالُ: مَا عَلِمْتُ بِخَبَرِ قُدُومِهِ أَيْ مَا شَعَرْت. وعَلِمَ الأمر وتَعَلَّمَه: أتقنه.[5]

والجوهري: علمت الشيء أعلمه علما: عرفته، وعالمت الرجل فعلمته أعلمه بالضم: غلبته بالعلم، ورجل علامة: عالم جدا والهاء للمبالغة، كأنهم يريدون به داهية، وعلمته الشيء فتعلم، وليس التشديد هاهنا للتكثير. ويقال أيضا تَعَلَّمْ في موضع أعلم.[6]

(1) معجم اللغة العربية المعاصرة ج2ص1502. / العين، للفراهيدي، ج2 ص215.
(2) سورة يس الآية 81.
(3) سورة الرعد الآية 9.
(4) سورة المائدة الآية 109.
(5) لسان العرب، ابن منظور دار صادر – بيروت ط: الثالثة – 1414هـ ج12ص 417
(6) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين-بيروت-، ط: 4 1407هـ-1987م، ج5ص1990.

وفي المعجم الوسيط: علم الشيء علما: عرفه، وفي التنزيل العزيز: ﴿ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾[1]، وعلم الشيء، وبه شعر به ودري، قال تعالى: ﴿ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾[2]. وتعلم الأمر: أي أتقنه وعرفه. [3]

ب. اصطلاحا:

استنتاجا من الدلائل اللغوية، وانسجاما مع النصوص النبوية التي فندت القول فيه إجمالا وتفصيلا، حيث يتضح لنا جليا هذا المصطلح من الحوار الذي وقع بين المربي الأعظم عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام والصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه، ما نصه: «يا رسول الله، ماذا رد إليك ربك في الشفاعة؟: فقال له: والذي نفس محمد بيده لقد ظننت أنك أول من يسألني عن ذلك من أمتي لما رأيت من حرصك على العلم... ». [4]

وفي نفس السياق في الحديث المتفق عليه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قيل له يا رسول الله: «تعلمنا مما علمك الله». [5]

لعل المقصود هنا هو العلم بالشيء ولهذا فالعلم والتعليم هو مقصد النبي في إيصال المعرفة للبشرية جمعاء.

إذن فالتعليم عنده صلى الله عليه وسلم: ذاك الأسلوب الممنهج وفق منهج القرءان، مبلغا فيه لصحابته كتاب الله، ومبينا أحكامه وموضحا آياته، ومفصلا تعاليم الإسلام مطبقا ذلك قولا وفعلا، بشتى وسائل المعرفة المتاحة آنذاك.

استنتاج: التعريف الإضافي لكلمة "المنهج النبوي":

---

(1) سورة: الانفال الآية: 60.
(2) سورة: يس الآية: 27.
(3) معجم الوسيط، مجموعة المؤلفين (مجمع اللغة العربية بالقاهرة)، دار الدعوة، ج2، ص624
(4) المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، ج 1، كتاب الإيمان، رقم الحديث: 233. ص114. /صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، دار مؤسسة الرسالة -بيروت-ط: 2 1414، رقم الحديث: 6466.
(5) صحيح البخاري محمد بن إسماعيل، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المكتبة السلفية -القاهرة- ط1سنة 1400رقم احديث7310. / صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ط: 1 سنة 1374 رقم 2633.

من خلال ما سبق يمكن إعطاء تعريف تقريبي لمصطلح «المنهج النبوي في التربية والتعليم: الطريق الواضح البين المستقيم، الذي سلكه النبي صلى الله عليه وسلم مع صحابته الكرام بتوجيه من رب العباد، المتجسد في أقوله وأفعاله وتقريراته صلى الله عليه وسلم، القائمة على التربية، والتنشئة، والهداية، والرعاية، والحرص، والاهتمام والرقابة والتهذيب والسمو والرفعة صلاحا وإصلاحا، والفوز بالدارين.

المبحث الثاني: مدخل حول الهدي النبوي

المطلب الأول: حاجات الإنسان إلى الأنبياء

إن البشرية اليوم وقبل اليوم، عكفت على دراسة مظاهر الحياة الإنسانية ومتطلباتها من منطلق الرؤية العقلية المادية إدراكا، وفي الوقت نفسه إعجازا، نعم إنه من حق الإنسانية أن تتأمل في النبوة كحقيقة مدركة ثابتة، بكل ما تحمله النبوة من مؤشرات وما تبشر به من قيم، وما تدعو إليه من عقائد، وما يقترن بها من معجزات. فالدين حقيقة مدركة، ولا تتصور البشرية بغير دين، ولا تتصور الحياة خالية من مفاهيم الغيب(1).

فالنبوة والأنبياء رحمة ونعمة مهداة من رب الأرض والسماوات جل جلاله، فهم أنقذت البشرية، وجعلوا سفراء ووسطاء بينهم وبين خالقهم، لقد حفظوا البشرية من الزيغ والضلال، دالين على طريق الهدى والفلاح، وسبلهم واضحة، وتعاليمهم متكاملة، وشرائعهم واحدة، تنطلق كلها من منطلق واحد، وتنهل من معين السماء، إيمانا بالله وبما جاء من عنده، والتزاما بمنهج الله في الحياة، استقامة وعدلا. وكيف لا ! وأنهم اجتباهم الله من بين خلقه، فهو يخلق ما يشاء ويختار، كما قال: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كان لَهُمُ الْخِيَرَةُ سبحان اللَّهِ وَتعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(2)، فهم صفوته من خلقه ورسله إليهم بأوامره ونواهيه التي عليها مدار صلاح حال البشر وسعادتهم في الدنيا والآخرة.

وما أحوج البشرية لهذه النبوة مهما وصلت من العلم والمعرفة والرقي، لا يمكن الاستغناء عنها أبدا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؟ مهما أرادت البشرية أن تبرهن أن لها القدرة على إدراك المصلحة بنفسها، مركزة على المادة العقلانية، فالخلل شبه موجود في عقولها، فالإنسان لا يقدر عواقب أموره إن ترك لغرائزه وشهواته، لما يعتريه من نقص، وخلق الإنسان ضعيفا، فلذلك كانت الحاجة ماسة وعظيمة للرسل والأنبياء.

(1). المدخل إلى علوم القرءان الكريم، محمد فاروق النبهان، دار عالم القرءان-حلب-، ط: 11426هـ 2005م، ص27، بتصرف.
(2) سورة القصص الآية 68.

ولندع القرءان الكريم يبسط ويفصل القول في قضية إرسال الرسل والأنبياء، وشدة حاجة البشرية إليهم، قال عز وجل: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنٰتِ وَأنزلنَا مَعَهُمُ الْكِتٰبَ وَالْمِيزَان لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ، وَأنزلنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ، وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ، إن اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾. [1]

فسبحان من خلق الكون لا تخفى عليه خافية، يعلم السر وما يخفى، فوضح أن الناس لو تركوا من غير إرسال رسل لاحتجوا بكفرهم وأفعالهم ومنكراتهم، ولتعللوا بأنهم لم يأتهم من يدلهم على الحق ويرشدهم إلى الخير، ومن هنا جاء الرد الإلهي الرباني الذي لا يحتمل معنيين، فخاطبهم بلغة الحسم، فقال: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكان اللَّهُ عَزِيزًا حَكيمًا﴾[2]، إنه من أعظم رحمات الله بعباده أن ضمن لهم أن لا يؤاخذهم وأن لا يعذبهم إلا بعد إقامة الحجة عليهم، وذلك بإرسال الرسل عليهم السلام، ليوجهوهم وينصحوهم باتباع الطريق المستقيم فقال سبحانه: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا ﴾[3]، وفي آية أخرى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ ﴾[4].

ويقول جل شأنه: ﴿وَلَوْ أنا أهلكْنَاهم بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولا فَنَتَّبِعَ ايٰتِكَ مِنْ قَبْلِ أن نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾[5]، نعم فوظيفة الأنبياء تنفيذ أوامر الله في مشارق الأرض ومغاربها، فهم أنقذت البشرية من عبادة الأوثان إلى عبادة رب الأنام، فوضحوا للإنسان الطريق السليم، وطهروا المجتمعات التي سادها الظلم والفساد والطغيان، وبلغت عتوا كبيرا بعدما كانت متصفة بالاعتدال والتوازن: ﴿كان النَّاسُ أمة واحدة فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأنزل مَعَهُمُ الْكِتٰبَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إلا الَّذِينَ أوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنٰتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمنوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإذنهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[6].

(1) سورة الحديد الآية 25.
(2) سورة النساء الآية 165.
(3) سورة الإسراء الآية 15.
(4) سورة فاطر الآية 24.
(5) سورة طه الآية 134.
(6) سورة البقرة الآية 213

وفي السياق نفسه نورد ما ذكره الشيخ: شمس الدين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن أيوب الزرعي الدمشقي الحنبلي: « ومن هاهنا تعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول وما جاء به، وتصديقه فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا يُنال رضا الله البتة إلا على أيديهم، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاؤوا به، فهم الميزان الراجح، الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها، فأي ضرورة وحاجة فرضت، فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير. وما ظنك بمن إذا غاب عنك هديه، وما جاء به طرفة عين فسد قلبك، وصار كالحوت إذا فارق الماء، ووضع في المقلاة، فحال العبد عند مفارقة قلبه لما جاء به الرسل كهذه الحال، بل أعظم، ولكن لا يحسُّ بهذا إلا قلبٌ حيٌّ»[1].

وللإشارة فالنظرة اليسيرة إلى تاريخ الأنبياء والرسل سوف تدلنا على عظمة دور الأنبياء في حياة الإنسان، والغوص في مكامن قصصهم المبثوثة في الكتب الموثوقة يتضح أن منهج الأنبياء واحد، وتعاليمهم ليست متناقضة، قد تختلف في بعض الأحيان، ولكنها لا تختلف أبدا فيما يتعلق بمبادئ الإيمان بالله، والدعوة للفضائل، ومحاربة الكفر والفسوق والمظالم الاجتماعية.

ويا أسفاه على قساوة حياة ذلك الإنسان الذي لا يؤمن بالله، وما أقسى الحياة بالنسبة له، إنها حياة قاحلة كصحراء يشتد فيها الظمأ، فلا ماء ولا ثمر ولا شجر، إنها حياة يأس وقنوط، وما أقسى مشاعر اليأس والقنوط....

المطلب الثاني: هديه ومنهجه صلى الله عليه وسلم

بعد الحمد والثناء على ذي الكبرياء، والصلاة بلا نهاية على رئيس الأنبياء وخلاصة الأصفياء، سيدي ولد عدنان، المصطفى خير الأنام، الذي أشرقت بوجوده السماء، وتشرفت

(1) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم الجوزية، دار الفجر للتراث -القاهرة-ط: 1 1425هـ، ج1 ص26.

بهديه وتنورت بمنهجه الأفهام، وعجزت الأقلام عن التعبير للوصول إلى المعالي بوصف هديه ومنهجه، الذي اشتمل على كمال الخلق وكمال الخلال.

لقد ورد في زاد المعاد في هدي خير العباد ابن القيم رحمه الله حيث قال: «وما ظنك بمن إذا غاب عنك هديه وما جاء به طرفة عين فسد قلبك، وصار كالحوت إذا فارق الماء، ووضع في المقلاة، فحال العبد عند مفارقة قلبه لما جاء به الرسل كهذه الحال، بل أعظم، ولكن لا يحسُّ بهذا إلا قلب حي.

وإذا كانت سعادة العبد في الدارين معلقة بهدي النبي صلى الله عليه وسلم فيجب على كل من نصح نفسه، وأحب نجاتها وسعادتها أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين، ويدخل به في عداد أتباعه وشيعته وحزبه، والناس في هذا بين مستقلٍّ، ومستكثر، ومحروم، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو فضل عظيم»[1].

وقبل أن نفند القول في منهجه صلى الله عليه وسلم كما سيأتي لاحقا يندب لنا أن نعرج بشكل مجمل عن المقصود بالهدي النبوي، وعن أهمية الاعتناء به الذي يعتبر من قبيل الضرورة.

1. ما المقصود بالهدي النبوي؟

لقد ورد مصطلح «الهدي» في المعاجم اللغوية بمعني: السيرة، والطريقة والسمة والسكون، يقال: فلان يهدي بهَدْي فلان أي: يسير بسيرته، وما أحسن هديه: أي سمته وسكونه، ويُقال: هو حسن الهدي: أي حسن الطريقة [2].

---

(1) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم الجوزية، دار الفجر للتراث -القاهرة-ط: 1 1425هـ، ج1 ص26.

(2) البارع في اللغة، ابن محمد بن سلمان(أبو علي القالي)، تحقيق: هشام الطعان، مكتبة النهضة بغداد- بيروت، ط: 1، 1975 ص136.. / لسان العرب، ابن منظور دار صادر – بيروت ط: الثالثة – 1414هـ ج15 ص356. / تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، المطبعة الخيرية بالمنشأة الجمالية-مصر ط: 1، 1306هـ، ج 10، ص406

واستنباطا مما ذكره أهل اللغة في كلمة الهدي، يمكن القول على أن الهدي النبوي هو: كل ما يشمل سيرته العطرة، وما سنه لنا من الأقوال والأفعال والتقريرات. الخادمة لجميع جوانب الإنسان المسلم.

2. أهمية الاعتناء بالهدي النبوي

إن أول شي سيتبادر إلى ذهن السامع وهو يقرأ أو يغوص فيما يجود به هديه صلى الله عليه وسلم، أو عن منهجه، لماذا هدي النبي صلى الله عليه وسلم بالتحديد؟، نعم إن الاعتناء به يعتبر من قبيل الضرورات لدى المسلم، وكل من له حب لهذا النبي الأعظم، الذي كان يسير وفق أخلاق القرءان الكريم تأصيلا وتنزيلا، ولنقف على بعض الجوانب-على سبيل المثال - التي ساهمت في إرساء معالم التنظير وصولا إلى هديه ومنهجه صلى الله عليه وسلم:

أ. العصمة الربانية:

فالحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم معصوم من الخطإ والزلل ولا يحيد عن الحق، فكل ما يقوله أو يفعله فهو حق لا مرية فيه، ويكفينا بما وصفه ربه عز وجل ردا على ما قيل فيه عليه الصلاة والسلام: ﴿مَا ضَلَّ صاحبكُمْ وَمَا غَوَى وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهوى إِنْ هُوَ إلا وَحْيٌ يُوحَى﴾[1].

ومعنى هذه الآية: أي ما حاد صاحبكم أيها الناس عن الحقّ ولا زال عنه، ولكنه على استقامة وسداد. وما صار غويّا، ولكنه رشيد سديد، وأنه صلى الله عليه وسلم ليس يتكلم عن هواه، أي بهواه وشهوته.

(1) سورة النجم الآية 1-4.

وقال بعض العلماء: المعنى: وما ينطق القرءان المنزل عن هوى وشهوة، ونسب النطق إليه من حيث تفهم عنه الأمور، أي مَا الذي ينطقُ به من القرءان ﴿إلا وَحْيٌ﴾ من الله تعالى. وقولُه تعالى: {يُوحَى} صفةٌ مؤكدةٌ لوحي رافعةٌ لاحتمالِ المجازِ مفيدةٌ للاستمرارِ التجدديّ...[1].

وهذا الخطاب كان المراد منه قريش كما جاء على لسان الزمخشري رحمه الله تعالى في تفسيره[2].

ورد في تفسير نظم الدرر للبقاعي: «ولما أكد سبحانه في نفسه ذلك عند التأكيد تنزيهاً له عما نسب إليه، فكان ذلك مظنة السؤال عن أصل ما تقوله، أجاب بالحصر والآية أصرح وأدفع لأنكارهم البالغ فقال: ﴿إن﴾ أي ما ﴿ هو ﴾ أي الذي يتكلم به من القرءان وبيانه، وكل أقواله وأفعاله وأحواله بيانه ﴿ إلا وحي ﴾ أي من الله تعالى، وأكده بقوله: ﴿يوحى﴾ أي يجدد إليه إيحاؤه منا وقتاً بعد وقت، ويجوز أن يجتهد صلى الله عليه وسلم، فإذا استقر اجتهاده على شيء أوحي إليه أنك قد أصبت الحق، مع أنه سبحانه قد إذن له بالاجتهاد في الوحي مع أن من يرد ما يجتهد فيه إلى ما أوحي إليه بريء من الهوى» [3].

ومن المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم لا تخرجه الأحوال البشرية عن قول الحق والعمل به خلافا للبشرية التي لا تتسم بالخصوصية الربانية، فمحبة صلى الله عليه وسلم لا تدعوه إلى مجاملة من يحبه، أو أن يبالغ في الثناء عليه أو إقراره له مالا يجوز شرعا ولا يمكن أن يقوده أي مبرر كيفما كان نوعه أن لا يسطع بالحق الذي أمره به المشرع فمثلا: لما أنكرت قريش على عبد الله بن عمرو لكتابته عن الرسول الله صلى الله عليه مستدلين على أنه صلى الله عليه وسلم تعترض له العوارض البشرية، أمره بأن يكتب عنه كما جاء في الحديث.

(1)جامع القرءان عن تأويل آي القران، محمد بن جرير الطبري، دار الحديث-القاهرة-، سنة الطبع: 2010، ج10ص436. / المحرر الوجيز في تفسير كتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية -بيروت-، ط: 1 سنة2001، ج5ص195. / الجامع لأحكام القرءان والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرءان، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار المكتبة العصرية -بيروت 2011، ج9ص55. / إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي -بيروت-، ج8ص154. /، تفسير القران العظيم، ابن كثير، دار الكتب العلمية بيروت، ط: 1 1414، ج 4ص231.

(2) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة -بيروت-ط: 3 2009، ص1058.

(3) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، دار الكتاب الاسلامي- القاهرة، 1404 ج19ص43.

فعن عبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو، قال: «كنتُ أَكتُبُ كلَّ شيءٍ أَسمَعُهُ مِن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، أُرِيدُ حِفْظَهُ، فنَهَتْنِي قُرَيشٌ، وقالوا: أَتكتُبُ كلَّ شيءٍ تَسمَعُهُ ورسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بَشَرٌ يَتكلَّمُ في الغضبِ والرِّضا؟ فأَمسَكْتُ عن الكِتابِ، فذَكَرْتُ ذلكَ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فأومأَ بأُصبُعِهِ إلى فيه، فقال: اكتُبْ؛ فوالَّذي نفْسي بيدِهِ، ما يَخْرُجُ منه إلا حقّ»[1].

إذن نستخلص من هذا كله أن له هديا ومنهجا معصوما نستدل به ولا نستدل له.

ب. قمة الصفات البشرية:

من النادر جدا أن تجد شخصية فريدة من نوعها ذاع صيتها في الآفاق إلا وتمتاز بسمات وصفات لا توجد عند غيرها، فتجدهم يبالغون في الأمر ولا يعطى المرء القدر الذي وضع فيه، وتنعدم الموازنة والاعتدال. ولذلك أغلبية الشعوب تهتم بمثل هؤلاء وترعاهم، وتوفر لهم كل الوسائل فيبالغون في التقديس والتبجيل، وفي المقابل من لم يعط لنفسه حق قدرها لن يسلم من الانتقادات التي يمكن أن تطاله، لأن المبالغة في الشيء وإعطائه أكثر مما يستحق لا شك أنه سيسقط في أي وقت وحين، والأصل في الأمور أن توضع في نصابها الذي ينبغي أن توضع فيه وإلا كشفت حقيقتها ووجهت لها انتقادات لاذعة بعدما كانت في قمة الارتفاع بين أواسط شرائح مجتمعها.

لكن عندما نتأمل في الصفة الكمالية المحمدية نجدها أنها بنيت على أساس متين لا يمكن أن تزحزحها الرياح مهما أوتيت من قوة يمينا وشمالا، لأنها مبنية على صفة النبوة الإلهية، وحتى إن نظرنا إليه بنظرة بشرية بحتة دون اعتبار لهذه الميزة فهو صلى الله عليه وسلم في قمة الصفات البشرية، لا شك أن القرءان الذي نزل عليه فهو منهجاه ودستوره كم وصفه الله عندما قال في حقه وإنك لعلى خلق عظيم، فهو أفصح الخلق، وأصدقهم نية وكلاما، وأقدرهم على التسامي على ذاته، وأكثرهم وسطية واعتدالا... لم يعرف عنه صلى الله عليه وسلم أي صفة تقلل من مكانته التي جعلها الله له، اجتباه واصطفاه عن فساوس الأمور فهو دائما في أعلى القمم، ويكفينا فخرا وشرفا بالوسام الذي وصفه به صاحبه حسان بن ثابت رضي الله عنه وأرضاه:

---

(1) سنن، أبو داوود، دار التراث العربي لدول الخليج-ط: 1 1409، رقم الحديث: 3646

وأحسن منك لم تر قط عيني وأجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرءا من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء[1].

يكفينا هذا الوصف الدقيق، لكي نستقي من غرف بساتينه ملامح هديه، ومنهجه عليه أفضل الصلاة وأزكي التسليم على خير الورى، الذي ما رأته عين إلا أذعنت وخضعت، وما سمعت له أذن إلا زكت، ونمت، وسلمت.

ج. النموذج الناجح:

يتعلق الناس تعلقا شديدا بالشخصية الناجحة التي يعطى بها المثل في أي مجال من مجالات الحياة، لاتسامها بالصدارة والريادة والنجاعة والتميز، وتجدهم يراقبونها من قريب أو بعيد، ويبذلون كل ما في وسعهم من أجل اكتشاف أسرار وحقيقة نجاحها الباهر للسير قدما نحو الرقي، وهذا يتطلب الانخراط التام وفق المبادئ التي خطها، والسير وفقها باقتفاء أثرها للوصول إلى ما وصلت إليه.

إذن لو أردنا أن نتعامل مع الهدي النبوي بهذا المقياس بتجريده من مقام النبوة المحصنة الربانية، لوجد الباحثون أنفسهم في كنف حقيقة الأسرار في اكتشاف معالمها التي لا تعد ولا تحصى من أي زاوية انطلقوا منها، ولا أكدوا في نهاية المطاف أنه أفضل شخصية منهجية ينبغي الاهتمام وإعطاء الرعاية التامة لها، ولنصحوا أنه من الجدير أن تدرس بشتي نواحي جوانبها، لكي يستقى منها المنهج الأمثل الذي تقتدي به البشرية الصاعدة إلى عالم الريادة والرياسة وغيره، وبشكل خاص في الجانب التربوي الذي يعتبر الدعامة الأساسية لبناء ناشئة تربوية متكاملة.

ولا ريب أنه أعظم قصة نجاح بشرية عرفتها البشرية، لأن منهجه وهديه صلى الله عليه وسلم يتجاوز مسألة التنظير أو التوجيه المثالي، إلى منهج واقعي عملي أحدث تغييرا جذريا اتجاه البشرية جمعاء في خضم الرسالة التي حملها إلى المجتمع البشري قولا وفعلا، فبدل مكان السيئة الحسنة، وأخرج بها الناس من الظلمات إلى النور، ومن عبادة العباد إلى

(1) ديوان حسان بن ثابت الانصاري، تحقيق: عبد أ مهنا، دار الكتب العلمية ط 2: 1414 – 1994، ص21.

عبادة رب العباد حتى عدل خط التاريخ وغير مجرى الحياة في العالم الإنساني[1]، ولذلك فإن شخصية الرسول الكريم تعد نبراسا لكل من أحب أن يهتدي إلى الطريق السوي، هذا الإنسان الذي وهب حياته للخير أينما كان، وأينما حلّ، ولما كانت الأمة الإسلامية مطالبة بتتبّع أثر الرسول لأنه ترجمان القرءان مصداقا لقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أسوة حَسَنَةٌ ﴾[2].

فحرص أصحابه رضوان الله عليهم حرصا شديدا على دراسة سيرته صلى الله عليه وسلم لأولادهم حتى قال سيدنا سعد بن أبي وقّاص: «كنا نعلّم أولادنا سيرة الرسول ومغازيه كما كنا نعلّمهم القران»[3].

وهذا يذكرنا بكلمة طيبة لبعض الجهابذة الأصوليين، في سياق الحديث عن الفرق بين المعجزات في النبوات، وبين السحر وغيره مما يتوهم أنه خوارق للعادات؟، فكانت هذه المسألة عظيمة الوقع في الدين وأشكلت على جماعة من الأصوليين، والتبست على كثير من الفضلاء المحصلين، يقول فيها: «لو لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم معجزة إلا أصحابه، لكفوه لإثبات نبوته»[4].

إلا أنه للأسف الشديد توجد عقول وأقلام تربوية ما زالت لم تستفق من سباتها العميق لكي تخرم من هذا المنهج، وتعطي له حقه مثل ما جسده صحابة رسول الله في اتباعهم لهديه ومنهجه، ونجدهم تأثروا بالفكر التربوي الغربي تنظيرا.

لكن مدارسنا مازالت تتخبط في مهب الرياح التي لا نهاية لها، ولم تفلح في إخراجها من أزماتها، وفي الوقت نفسه لو وظف المنهج النبوي الشريف توظيفا حقيقيا لحلت كل الأزمات التي تعاني منها المنظومة التربوية.

---

(1) الرحيق المختوم، صفي الرحمان المباركفوري، دار الغد الجديد-القاهرة، ط: 1 1435هـ، ص15.
(2) سورة الأحزاب الآية 21.
(3) إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون(السيرة الحلبية)، على بن ابراهيم بن أحمد الحلبي، دار الكتب العلمية -بيروت، ط2 1427، ج1 ص4. /نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، الخضري، دار الفيحاء -دمشق، ط: 2 1425، ص3. البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، ج3 ص241.
(4) أنوار البروق في أنواء الفروق، الإمام القرافي، تحقيق: أ. د مجمد أحمد سراج وأ. د علي جمعة محمد، دار السلام-القاهرة-ط: 1 2001، ج4 ص1304 في آخر الفرق242.

بطبيعة الحال فالانصراف عن الهدي النبوي حرمان من الخير، وأن التطلع إلى الغير- مع الغنى بمكنون تراثنا النبوي-لانحراف عن القصد، وإن سبيل الفلاح لأمتنا أن تكشف الستار عما تغافلنا عنه من تراث النبوة[1].

واليوم العالم مرهون بمدى اتباع هديه ومنهجه التربوي، وجعله نموذجا ناجحا للخروج من أزمة القيم التي تعاني منها الناشئة الصاعدة التي يتشرف بها العالم الإسلامي مستقبلا صالحة لنفسها ومصلحة لغيرها.

د. التعبد باتباعه صلى الله عليه وسلم:

إن التعبد باتباع النبي صلى الله عليه وسلم والتأسي به، عبادة وقربة يتقرب بها العبد إلى ربه، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[2]. وهذا ما جسده أصحابه الذين عزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه فصاروا من المفلحين.

روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ خَيَّاطًا دَعَا رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لِطَعَامٍ صَنَعَهُ، قالَ أنس بنُ مَالِكٍ: فَذَهَبْتُ مع رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عل يه وسلَّمَ إلى ذلكَ الطَّعَامِ، فَقَرَّبَ إلى رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ خُبْزًا ومَرَقًا، فيه دُبَّاءٌ وقَدِيدٌ، فَرَأَيْتُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَتَتَبَّعُ الدُّبَّاءَ مِن حَوَالَيِ القَصْعَةِ، قالَ: فَلَمْ أزَلْ أحب الدُّبَّاءَ مِن يَومِئِذ[3].

وفي رواية لمسلم: ((فما صنع لي طعام بعد أقدر على أن يصنع فيه دباء إلا صنع))[4].

(1) الرسول المعلم ومنهجه في التعليم،، محمد رأفت سعيد، (نسخة دار المنظومة)، دار الوفاء للطباعة والنشر – القاهرة ص384.
(2) سورة آل عمران، الآية31
(3) الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المكتبة السلفية -القاهرة-ط1سنة، 1400 كتاب البيوع، باب الخياط، رقم الحديث2092.
(4) المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ط: 1 سنة 1412هـ، ج3، كتاب الأشربة، رقم 2041. ص1615.

قال ابن حجر:: (وفيه فضيلة ظاهرة لأنس، لاقتفائه أثر النبي صلى الله عليه وسلم حتى في الأشياء الجبلية، وكان يأخذ نفسه باتباعه فيها صلى الله عليه وسلم) [1].

ويستفاد من هذا وذلك أنه يجدر بعامة الناس وبشكل خاص طالب العلم والمربي أن يعتنيا بسنة خير الأنام وأن يتلمسا بركته وهديه صلى الله عليه وسلم إذا أرادا أن يفتح الله عليهم بالفهم والأدب فكل من استحضر نية المتابعة الخالصة أثناء دراسته لأحواله وأخباره متأسيا به متبعا ما أمر به مجتنبا ما نهى عنه، لن يخيب أبدا، حاصلا على بركة العمل به، آثاره جلية عليه في الدنيا والآخرة بلا شك.

يقول الخطيب البغدادي: (ينبغي لطالب الحديث أن يتميز في عامة أموره عن طرائق القوم، باستعمال آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمكنه، وتوظيف السنن على نفسه، فإن الله تعالى يقول: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أسوة حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخر وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[2].

ثم روى بإسناده عن إبراهيم الحربي: ((ينبغي للرجل إذا سمع شيئا من آداب النبي صلى الله عليه وسلم أن يتمسك))، وعن سفيان الثوي: ((إن استطعت ألا تحك رأسك إلا بأثر فافعل))[3].

قال ابن القيم رحمه الله: والمقصود أن بحسب متابعة الرسول تكون العزة والكفاية والنصرة، كما أن بحسب متابعته تكون الهداية والفلاح والنجاة، فالله سبحانه علق سعادة الدارين بمتابعته، وجعل شقاوة الدارين في مخالفته، فلأتباعه الهدي والأمن والفلاح والعزة والكفاية والنصرة والولاية والتأييد وطيب العيش في الدنيا والآخرة، ولمخالفيه الذلة والصغار والخوف والضلال والخذلان والشقاء في الدنيا والآخرة[4].

(1) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار الحديث -القاهرة، سنة النشر: 2004 ج9 ص602.
(2) سورة الأحزاب الآية 21.
(3) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الخطيب البغدادي، تحقيق: د. محمود الطحان دار المعارف -الرياض- ج1 ص142.
(4) زاد المعاد في هذي خير العباد، ابن القيم الجوزية، دار الفجر للتراث -القاهرة-ط: 1 1425هـ، ج1 ص9.

المطلب الثالث: الاصطفاء الرباني لخاتم النبوات

كما سبق وأن ذكرنا أن المولى سبحانه قد أرسل الأنبياء والرسل عليهم السلام، ليرشدوا اتباعهم إلى الطريق السوي، وجعل كل نبي مرسلا إلى قومه خاصة يتحدث بلسان قومه، وأيدهم بالمعجزات الحسية التي اندثرت باندثارهم، ومن اللزوم أن يكون للبشرية خاتم يختتم الله سبحانه به الرسالات السماوية، إكمالا للدين وتتمة به الشرع الحنيف فكان صلى الله عليه وسلم خاتمهم وإمامهم الذي أرسله الله رحمة للعالمين، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[1]، بشيرا، ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، للأنس والجان.

ولعل من الحكم الإلهية لما أصبح الكون يئن من ظلم البشر وتسلط الطغاة متضرعا لصانعه طالبا الخلاص، لأن الدنيا امتلأت ظلما في مشارق الأرض ومغاربها، ولا ينكر أحد أن الجزيرة العربية كانت تعيش أحوالا عجيبة، ففيهم من القيم والأخلاق النبيلة التي أقرها الإسلام، وفيهم من الظلم والطغيان وطمس الأرواح والفطرة، حتى عبدوا غير خالق الكون الذي خلقهم فسواهم فعدلهم في أي سورة ما شاء ركبهم، فهذا الاجتباء الإلهي لم يكن عن عبث -تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا-، وإنما لحكمة أرادها العليم الخبير بشؤون عباده.

قال ابن القيم رحمه الله: وإذا تأملت أحوال هذا الخلق، رأيت هذا الاختيار والتخصيص فيه دالا على ربوبية ووحدانيته، وكمال حكمته وعلمه وقدرته، وأنه لا شريك له، يخلق كخلقه ويختار كاختياره ويدبر كتدبيره، فهذا الاختيار والتدبير والتخصيص المشهود أثره في هذا العالم، من أعظم آيات ربوبيته وأكبر شواهده ووحدانيته، وصفات كماله وصدق رسله[2].

وبما أن الحكمة الربانية اقتضت إلى رسول يبعث إلى البشرية كافة، متصفا بأعلى درجات الكمال البشرية، التي تلائم ما سبق وما هو موجود وما هو من قبيل المآل، جعلت من نصيب الحبيب المختار، الذي اختير من خير بيوت الناس شرفا ونسبا على الإطلاق.

(1) سورة الانبياء الآية 105.

(2) زاد المعاد في هذي خير العباد، ابن القيم الجوزية، دار الفجر للتراث -القاهرة-، ط: 1 1425هـ، ج1ص12.

قال ابن القيم: «وهو خير أهل الأرض نسبا على الإطلاق، فلنسبه من الشرف أعلى ذروة، وأعداؤه كانوا يشهدون له بذلك، ولهذا شهد له به عدوه أبو سفيان بين يدي ملك الروم، فأشرف القوم قومه، وأشرف القبائل قبيلته، وأشرف الأفخاذ فخذه[1].

وفي الحديث الذي رواه الإمام البخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بُعِثْتُ مِن خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ، قَرْنًا فَقَرْنًا، حتَّى كُنْتُ مِنَ القَرْنِ الذي كُنْتُ فِيهِ»[2].

وروى الإمام مسلم في صحيحه، عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « إنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنانَةَ مِن ولَدِ إسْماعِيلَ، واصْطَفَى قُرَيْشًا مِن كِنانَةَ، واصْطَفَى مِن قُرَيْشٍ بَنِي هاشِمٍ، واصْطَفانِي مِن بَنِي هاشِم»[3].

وعن المطلب بن أبي وداعة قال: قال العباس رضي الله عنهما بلَغَهُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بَعضُ ما يَقولُ النَّاسُ، قال: فصَعِدَ المِنبَرَ، فقال: مَن أنا؟ قالوا: أنتَ رَسولُ اللهِ. فقال: أنا محمدُ بنُ عَبدِ اللهِ بنِ عَبدِ المُطَّلِبِ، إنَّ اللهَ خلَقَ الخَلقَ فجعَلَني في خَيرِ خَلقِهِ، وجعَلَهم فِرقَتَيْنِ، فجعَلَني في خَيرِ فِرقةٍ، وخلَقَ القَبائِلَ، فجعَلَني في خَيرِ قَبيلةٍ، وجعَلَهم بُيوتًا، فجعَلَني في خَيرِهم بَيتًا، فأنا خَيرُكم بَيتًا، وخَيرُكم نَفْسًا[4].

إن حسن النسب والشرف ونقاء الأصل له أثر بليغ في النفوس، لقبول دعوة النبي المجتبى، وخاصة لأولئك الذين كانت تعلو لديهم معايير النسب في مجال يتعاملون فيه سواء في مجال الدعوة أو مجال التجارة... ويعطون لها قيمة ومكانة وتعتبر ذي شأن عندهم.

---

(1) المصدر نفسه:، ج1 ص37.

(2) الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل، تحقيق: محب الدي الخطيب، دار المكتبة السلفية -القاهرة-ط1سنة 1400كتاب المناقب، باب صفة النبي، رقم الحديث3557.

(3) المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ط: 1 سنة 1412، ج4 كتاب الفضائل رقم الحديث2276. ص1782.

(4) مسند، الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد،، مؤسسة الرسالة -بيروت، ط1 1416 رقم الحديث1788. ج3 ص307.

قال الماوردي: لما كان أنبياء الله صفوة عباده وخير خلقه لما كلفهم من القيام بحقه، استخلصهم من أكرم العناصر، وأمدهم بأوكد الأواصر، حفظا لنسبهم من قدح، ولمنصبهم من جرح، لتكون النفوس لهم أوطأ والقلوب لهم أصفى، فيكون الناس إلى إجابتهم أسرع ولأوامرهم أطوع[1].

وفي الآن نفسه يحذر المصطفى صلى الله عليه وسلم أولئك الذين يبالغون ولا يتسمون بالاعتدال بافتخارهم بالنسب، وتجدهم ينتقصون ممن لا يتصفون بشرف النسب، أو تجدهم يقومون الناس بمقياس النسب هذا من قبيلة فلان ويقدمونه حتى وإن كان لا يستحق ذلك لأنه لديه نسب عريق وهذا خلاف ذلك.

وللأسف الشديد ما زالت هذه النعرة القبيلة موجودة عند كثير من الناس ويتعاملون بها وفق هذا المبدإ في جميع مجال الحياة والمدرسة جزء من ذلك، وهذا منهج بينه لنا الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو منهج الاعتدال في كل شيء وما خاب من اعتدل في أمور دينه ودنياه، وهذا الاعتدال الذي قصده صلى الله عليه وسلم ينبغي أن يفهم من حيث الشمول لا من حيث الأغراض والخلفيات والدوافع الإنسانية، التي توظف أحيانا هذا المعيار لكي تخدم ما ينفعها مستندة في ذلك إلى مبدإ الاعتدال وتعمل ما في وسعها لكي تجد قرينة لفظية تخدم مسارها حتى وإن كانت في غير محلها أصلا، ولذلك فالله سبحانه يجازي على حسب النيات والمقاصد، وليعلم المرء أن الله حسيبه ورقيبه.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لينتهِيَنَّ أقوامٌ يفتخرونَ بِآبائِهِمُ الذينَ ماتُوا إنما هُمْ فَحْمُ جهنمَ أو ليكونُنَّ أَهْوَنَ على اللهِ مِنَ الجُعَلِ الذي يُدَهْدِهُ الخِرَاءَ بِأنْفِهِ إنَّ اللهَ قد أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الجاهلية وفَخْرَها بالآباء إنما هو مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ أو فَاجِرٌ شَقِيٌّ الناسُ كلُّهُمْ بَنُو آدمَ وآدَمُ خُلِقَ من تُرَابٍ»[2].

---

(1) أعلام النبوة، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي(الماوردي)، دار ومكتبة الهلال- بيروت-، ط: 1 1409هـ ص185.

(2)سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق رائد صبري ابن أبي علفة، دار الحضارة للنشر والتوزيع -الرياض-، ط2 1436هـ-2015م.، كتاب المناقب، باب فضل الشام واليمن، رقم الحديث 3955، ص224

وفي مسند الإمام أحمد عن أبي نَضْرَةَ: قال: حدَّثَنا- مَن شَهِدَ خُطبةَ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بمِني في وسَطِ أيَّامِ التَّشريقِ، وهو على بَعِيرٍ، فقال: «يا أيُّها النَّاسُ، ألا إنَّ ربَّكُم عزَّ وجلَّ واحد، ألا وإنَّ أباكُمْ واحد، ألا لا فَضْلَ لعربيٍّ على عَجَميٍّ، ألا لا فَضْلَ لأَسْودَ على أحمرَ إلا بالتَّقوَى، إلا قد بلَّغْتُ؟ قالوا: نعم, قال: لِيُبَلِّغِ الشَّاهدُ الغائبَ»[1].

وبهذا وصف الإمام الغزالي رحمه الله الإنسان الذي يعطي الأشياء أكثر مما تستحق فقال: وعراقة الأصل لا تمنح الرجل الفاشل فضلا، كالصلب إذا ترك للصدأ، يمسي لا غناء فيه، أما إذا تعهدته اليد الصنّاع فإنها تبدع منه الكثير[2].

المطلب الرابع: كيف تربى النبي صلى إله عليه وسلم

إن المولى سبحانه من مقدوره إبراز أنبيائه لعالم الوجود في خضم سنن الوحي والرسالة، بتحقيقه لديهم صفات الأنبياء وسماتهم بسنة خارقة كلمح البصر، لكنه سبحانه وتعالى لحكمة أرادها، قدر أن يكون أنبياؤه بشرا يعيشون كسائر البشرية مع أهليهم وذويهم، تحملهم أمهاتهم وهْنا على وهن، ويولدون كسائر الأطفال، بتهييئه لهم سبحانه الأسباب والعوامل التي تسهم في بناء شخصيتهم، ليكونوا أسوة وقدوة لمن سيأتي بعدهم في بناء الشخصية الإنسانية المثالية، قال عز من قائل في كتابه العزيز: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أسوة حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخر وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[3]، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إلا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾[4].

لقد أنكر الشارع على المشركين اعتراضهم على بشرية النبي المختار، فقال: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ ﴾[5].

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة -بيروت، ط1 1416 رقم الحديث23489. ج38ص474.
(2) فقه السيرة، محمد الغزالي، دار القلم دمشق ط: 1 1427 ص59.
(3) سورة الأحزاب الآية 20.
(4) سورة الفرقان الآية 19.
(5) سورة الانعام الآية 8.

ومن هنا، فإن دراستنا لبعض جوانبه صلى الله عليه -الجانب الأسري- يعد من باب التبرك والتذكير للنفس البشرية لعلها تسهم في شحذ الهمم للسير وفق منهج خير الأنام، للفوز بدار الجنان يوم تبيض وجوه وتسود وجوه سبحانه وإلا فالقرءان الكريم والسنة النبوية، وكتب السير والمغازي مبثوث فيها إجمالا وتفصيلا كل ما يتعلق بخير البشرية، وكما يقال: لم يترك لنا السابق للاحق ما يقول في حضرة خير الورى.

لكن لا بأس يمكن أن نعيش ولو لحظات مباركة مع جرد عام لحياته صلى الله عليه وسلم.

تعتبر البيئة التي يترعرع فيها الطفل عاملا أساسيا من عوامل بناء الشخصية الناجحة، ولها أثر عميق في توجيه سلوك الفرد وامتلاكه المبادئ والقيم النبيلة التي يتم استمدادها منها، وبها يتم تحديد خصائص وسمات الشخصية المثالية النموذجية. وهذا ما اتسم به بيت هاشم بن عبد مناف الذي ينتمي إليه النبي صلى الله عليه وسلم، الذي كان يطعم الجائع ويؤمن الخائف وينصر المظلوم، وبذل معظم ماله في إطعام أهل مكة في السنوات العجاف وأمن تجارتهم بالأحلاف التي عقدها مع الدول والقبائل، وانتقل هذا الإرث منه إلى ابنه عبد المطلب ومن ثم إلى عبد الله بن عبد المطلب الذي شب وترعرع وتزوج من آمنة بنت وهب سيد بني زهرة، من هذين الأبوين الكريمين من تلك الأمومة الشريفة ولد المصطفى صلى الله عليه وسلم:

1. ولادته صلى الله عليه وسلم:

لقد ولد الرسول صلى الله عليه وسلم من أب اسمه عبد الله بن عبد المطلب، وأم اسمها آمنة بنت وهب، فتوفي أبوه وهو في بطن أمه، فولد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم يتيم الأب، ووقعت في السنة التي ولد فيها أحداث جسيمة، كأن الدنيا أعلنت الطوارئ لاستقبال الحبيب المصطفي صلى الله عليه وسلم، لقد ثبث منها في القرآن الكريم حادثة الفيل وأصحابه، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأصحاب الْفِيلِ﴾[1]، ورأت أمه حين حملت به صلى الله عليه وسلم، أن نورا قد خرج منها أضاءت له الدنيا وتلألأت من أجله الأرجاء، روى الإمام أحمد والحاكم بإسناد جيد قوي، أنه صلى الله عليه وسلم قال: «أنا دعوة إبراهيم،

(1) سورة الفيل الآية 1.

وبشرى عيسى، رأت أمي حين حملت بي كأن نورا خرج منها أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام [(1)]».

فكان هذا النور إشارة إلى أن لهذا الجنين عند الله شأنا عظيما، إشارة إلى أن دعوته صلى الله عليه وسلم ستمتد امتداد خيوط النور والظلمة على وجه الأرض، فها هو نور الإسلام اليوم يغزو قارات الدنيا بأكملها، فيفتح القلوب، ويزيل الأحقاد، ويضيء مسيرة التاريخ، كما رأت آمنة بنت وهب والرسول صلى الله عليه وسلم جنين في بطنها.

2. طفولته صلى الله عليه وسلم:

لقد كان من عادة العرب أن يرضعوا أولادهم في البادية ابتعادا لهم من أمراض الحواضر، ولتقوية أجسامهم، وتشتد أعصابهم، ويتقنوا اللسان العربي في مهدهم[(2)]، فجاءت من أجل ذلك إلى مكة امرأة فقيرة، نحيفة الجسم، حتى إن لبنها لا يكفي ولدها، واسمها حليمة السعدية، فتسلمت النبي صلى الله عليه وسلم رضيعا بعد أن رفضته كل المرضعات لأنه يتيم، فما يكاد هذا الرضيع المبارك عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم يستقر في أحضانها حتى سال الحليب من ثديها، وامتلأت بهائمها لبنا ولحما بعد عجفها، وأخصبت أراضيها بعد جذبها وجفافها، وبقي لديها الرضيع المبارك عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم أربع سنوات، تتوالى علامات الخير والبركات.

وفي هذه الفترة وقعت له صلى الله عليه وسلم حادثة شق الصدر، وهي عبارة عن عملية جراحية دون سيلان دم، ولا إحساس بألم، تولى القيام بها جبريل عليه السلام، فاستخرج من قلبه حظ الشيطان، ثم غسله بماء زمزم، روى مسلم عن أنس بن مالك: « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل، وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه -أي جمعه وضمه بعضه إلى بعض- ثم أعاده في مكانه، وجاء

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة -بيروت، ط1 1416 رقم الحديث23489. ج28ص380. / المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية -بيروت-، ط: 2 1422هـ 2002م، ج2ص 656.

(2) الرحيق المختوم، صفي الرحمان المباركفوري، دار الغد الجديد-القاهرة، ط: 1 1435هـ، ص60

الغلمان يسعون إلى أمه، فقالوا: إن محمدا قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون قال أنس: «وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره»[1].

وهذه الحادثة أراد الله تعالى أن يعطينا بها دليلا بشكل ملموس على أن النبي صلى الله عليه وسلم معصوم من الأخطاء محفوظ من الذنوب. وبعد هذه الحادثة ردته المرضعة إلى أمه أمنية بنت وهب، وقلبها يتفطر أسى على فراق الطفل الحبيب وعمره أربع سنوات أو نحو ذلك[2].

ما إن بلغ سن السادسة من عمره حتى توفيت أمه صلى الله عليه وسلم بالأبواء بين مكة والمدينة بعدما كانت في زيارة لقبر زوجها الراحل بيثرب، وفي بعض الروايات أنها كانت في زيارة لأقاربها[3].

وعاد به عبد المطلب إلى مكة، وكان مشاعر الحنو في فؤاده تربوا نحو حفيده اليتيم الذي أصيب بمصاب جديد نكأ الجروح القديمة، فرق عليه رقة لم يرقها على أحد من أولاده، قال ابن هشام: كان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه، لا يجلس عليه أحد من بنيه أجلالا له، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي وهو غلام جفر حتى يجلس عليه فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم: دعوا ابني هذا فوالله إن له لشأنا، ثم يجلس معه على فراشه ويمسح ظهره بيده، ويسره ما يره يصنع[4].

لكن فما لبث جده أن لحق بأمه، وعمره صلى الله عليه وسلم ثمان سنوات، فبقي يتيم الأب والأم والجد، حتى لا يكون لأحد دور في تربيته، وحتى لا يدعي أعداء الإسلام من بعده، أن الذي رباه على دعوة النبوة هو أبوه أو جده، فتولى الله أدبه فأحسن تأديبه، فتكفل به

(1) صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج: دار المكتبة الرشيدية، دلهى، الهند، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الإيمان، باب الاسراء ج1ص148.

(2) السيرة لنبوية، لأبي محمد عبد الملك بن هشام، دار الفجر للتراث القاهرة، ط: 2 1425هـ، ج 1 ص110.

(3) تلقيح مفهوم أهل الأثر، لأبي الفرج عبد الرحمان بن الجوزي، دار جيد برقى بريس دلهى -الهند-، ص7.

(4) السيرة لنبوية، لأبي محمد عبد الملك بن هشام، دار الفجر للتراث القاهرة، ط: 2 1425هـ، ج 1 ص114.

عمه أبو طالب فكان يبجله ويؤثره حتى على أولاده، ولم يكن ذا مال يذكر فاجتمع على محمد صلى الله عليه وسلم اليتم والفقر فعمل على رعي الغنم تارة، وسافر بالتجار مع عمه أبي طالب إلى الشام ولم يتجاوز الثانية عشرة من عمره. ثم عمل في تجارة السيدة خديجة رضى الله عنها التي كانت من ذوات الثراء في مكة.

3. شبابه صلى الله عليه وسلم:

ثم شب الرسول صلى الله عليه وسلم، وتميز في شبابه بأمور ثلاثة: الأول: الكد والعمل، الثاني: العفاف والطهارة الحسية والمعنوية، الثالث: المشاركة الفعالة في المسائل المهمة؛ نعم بلا شك فهذه العناصر الثلاث هي أهداف الشباب الطموح، وعناصر الشباب المثالي الناجح.

أما الأمر الأول: الكد والعمل: فإن النبي صلى الله عليه وسلم حين كان في كفالة عمه أبي طالب بعد وفاة أمه وجده، لم يرض أن يكون حملا ثقيلا على عمه، وللإمام الغزالي كلام نفيس في هذا الصدد حيث قال رحمه الله: «عاد محمد عليه الصلاة والسلام من هذه الرحلة ليستأنف مع عمّه حياة الكدح، فليس من شأن الرجال أن يقعدوا، ومن قبله كان المرسلون يأكلون من عمل أيديهم، ويحترفون مهنا شتى ليعيشوا على كسبها. أترى ذلك تعويدا لهم على سياسة العامة، والرفق بالضعفاء والسهر على حمايتهم؟. وقد تسأل: أتنقدح المعارف المتصلة بالكون وما وراءه، والناس وما يفيضون فيه- أتنقدح حقائقها في نفوس المرسلين فجأة، دون إعداد سابق أو تهيئة حكيمة؟.

والجواب: كلّا، فالأنبياء- وإن لم يتعلّموا بالطرق التي يتعلم بها أمثالنا- لهم من سلامة فكرهم واستقامة نظرهم ما يجعلهم في طليعة العلماء وإن لم يتعلّموا بما نعهد من أساليب. ما العلم الذي ترقى به النفس؟ أهو حفظ الدروس واستيعاب القواعد والقوانين؟. إنّ هناك ببغاوات كثيرة تردّد ما تسمع دون وعي، ولقد نرى أطفالا صغارا يلقون- بإتقان وتمثيل- خطبا دقيقة لأشهر الساسة والقادة.

فلا الأطفال-بما استحفظوا من كلام الأئمة-أصبحوا رجالا، ولا الببغاوات تحوّلت بشرا. وقد تجد من يحفظ ويفقه، ويجادل ويغلب، ولكن العلم في نفسه كعروق الذهب في الصخور المهملة، لا يبعث على خير، ولا يزجر عن شر[1].

فكان صلى الله عليه وسلم يرعى الغنم لأهل مكة على قراريط، كما روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إلا رَعَى الغَنَمَ، فقالَ أصحابه: وأَنْتَ؟ فقالَ: نعم، كُنْتُ أرْعاها علَى قَرارِيطَ لأهل مَكَّةَ»[2].

ورعي الغنم على كل حال كد وعمل شريف. ولم يعرف صلى الله عليه وسلم في شبابه الفراغ، ولم تنل منه البطالة أي منال، فهو يعرف كيف يحول فراغه إلى كد وعمل، وإلى جد وأمل.

أما الأمر الثاني في شباب الرسول صلى الله عليه وسلم فهو العفاف والطهارة: فقد أدبه ربه فأحسن تأديبه، بعيدا عن مدنسات الأخلاق، وملوثات الفضائل، ومدمرات المكارم، فكانت عصمة الله تحول بينه وبين أن يسمر مع السامرين، وأن يسهر في ليالي اللهو والفسق مع الساهرين، كما روى ابن إسحاق وصححه الحاكم والذهبي وغيرهما، فلم يشرب صلى الله عليه وسلم الخمر قط، ولم يسجد لصنم قط، ولم تعرف عنه الخيانة، ولا الكذب، ولا الغش، حتى التصقت به صفات الصدق والأمانة، حتى نال صلى الله عليه وسلم في مجتمعه وشبابه درجة الأمين؛ فقد كان صلى الله عليه وسلم في شبابه وهو الصادق الأمين أول بنك لإيداع الأمانات، ولما هاجر صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ترك سيدنا عليا رضي الله عنه بمكة وكلفه بتصفية حسابات هذا البنك النبوي، برد الودائع التي كانت عنده إلى أصحابها، ورد الأمانات إلى أهلها؛ كما اشتهر ذلك في كتب السيرة؛ قال ابن إسحاق: «أمر النبي صلى الله عليه وسلم عليا أن يتخلّف بعده بمكة حتى يؤدي عنه الودائع التي كانت عنده للناس، وكان

(1) فقه السيرة، محمد الغزالي، دار القلم دمشق ط: 1 1427 ص71.

(2) الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل، تحقيق: محب الدي الخطيب، دار المكتبة السلفية -القاهرة-ط1سنة 1400رقم الحديث2262.

صلى الله عليه وسلم ليس بمكة أحد عنده شيء يَخْشَى عليه إلا وضعه عنده، لما يُعْلَم من صدقه وأمانته صلى الله عليه وسلم». [1]

ثم تزوج صلى الله عليه وسلم وعمره خمس وعشرون سنة بخديجة بنت خويلد وهي أكبر منه سنا، ولم تكن بكرا لأنها تزوجت قبله فمات عنها زوجها، فدل ذلك على أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يهتم في عفافه بالالتذاذ الجسدي، لو كان كذلك لاختار غيرها من الأبكار عربا أترابا، ولكنه صلى الله عليه وسلم كل همه طهارة الروح وصفاء الأخلاق، فقد كانت خديجة -رضي الله عنها- تعرف في قومها بالطاهرة العفيفة، والله تعالى يقول: ﴿والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات﴾[2]، وكان أولاده صلى الله عليه وسلم كلهم منها إلا إبراهيم فمن مارية القبطية، لقد ولدت له القاسم وعبد الله والطيب الطاهر ورقية وأم كلثوم وزينب وفاطمة، كلهم ماتوا في حياته صلى الله عليه وسلم إلا فاطمة ماتت بعده بثلاثة أشهر، وقيل: بستة أشهر؛ وبهذا ذاق صلى الله عليه وسلم مرارة موت الأبناء كما ذاق من قبل مرارة موت الآباء.[3]

أما الأمر الثالث في شباب الرسول صلى الله عليه وسلم: المشاركة الفعالة في القضايا المصيرية، التي تهم أهل مكة بصفة خاصة، والعرب بصفة عامة، فقد شارك صلى الله عليه وسلم في حلف الفضول، وعمره عشرون سنة. وحلف الفضول: هو عبارة عن منظمة لحقوق الإنسان، عبارة عن جمعية خيرية مهمتها نصرة المظلوم، حتى يأخذ حقه من الظالم[4].

وقد قال صلى الله عليه وسلم عن هذا الحلف: «شهدت حلف المطيبين مع عمومتي وأنا غلام، فما أحب أن لي حمر النعم، وأني أنكته»[5].

ثم شارك صلى الله عليه وسلم في بناء الكعبة، عندما أوشكت على الانهيار بسبب تلك الأمطار الغزيرة الأخيرة فاضطرت قريش إلى تجديد بنائها حرصا على مكانتها، وعمره آنذاك

---

(1) السيرة لنبوية، لأبي محمد عبد الملك بن هشام، دار الفجر للتراث القاهرة، ط: 2 1425هـ، ج 2 ص98.

(2) سورة النور الآية26.

(3) الرحيق المختوم، صفي الرحمان المباركفوري، دار الغد الجديد-القاهرة، ط: 1 1435هـ، ص66. / سيرة ابن هشام، ج1ص125.

(4) المصدر نفسه: ص65 بتصرف.

(5) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة -بيروت، ط1 1416 رقم الحديث23489. ج3ص193

صلى الله عليه وسلم خمس وثلاثون سنة، وكان ينقل الحجارة بنفسه صلى الله عليه وسلم، وكشفت لنا مشاركته صلى الله عليه وسلم في تجديد الكعبة عن مكانته الأدبية في الوسط القرشي، لأنه لما تم البناء تحركت العصبية الجاهلية بين قبائل قريش، فاختصموا فيمن يضع الحجر الأسود مكانه، وكل قبيلة تريد أن تستأثر بذلك لنفسها، حتى كادوا يتحاكمون للسيوف، ولكنهم اتفقوا في آخر الأمر على أول رجل يدخل عليهم من باب بني شيبة، وهو المسمى الآن بباب السلام، فكان الداخل هو المصطفى صلى الله عليه وسلم فهتفوا كلهم على لسان واحد: أتاكم الأمين، رضينا به!! فتولى الرسول صلى الله عليه وسلم وضع الحجر بيده الشريفة، بكيفية ترضي الجميع، إذ وضع الحجر الأسود في ثوبه، فدعا من كل قبيلة فردا، فحمل الجميع الحجر إلى مكانه(1).

فكان صلى الله عليه وسلم رحمة حفظ الله به دماء قريش، ومنع به حربا لو بدأت لما كانت لها نهاية، حتى يذوق ويلاتها كل بيت، ويعاني من مأساتها كل أسرة.

وهذا ما ذكرناه في تربيته صلى الله عليه وسلم يعتبر قليل من فيض كثير، نعم لقد عاش صلى الله عليه وسلم حياته كعامة الناس مثله مثل البشر ينام ويستيقظ ويعتريه السقم بعد الصحة، ويفرح ويحزن... ولعل الهدف من هذا وذاك كونه اختيار رباني لهاته القدوة الحسنة التي ينبغي أن يقتفي أثرها من أراد النجاح في الدارين، لأنه صلى الله عليه وسلم يعتبر الأنموذج الحقيقي في تطبيق تعاليم الإسلام قولا وعملا.

وهكذا اكتملت مسيرة التربية والإعداد للنبي الخاتم والمربي الأول صلى الله عليه وسلم، وصار مهيئا لحمل الرسالة وقيادة الأمة، قال ابن القيم رحمه الله: فلما كمل له أربعون، أشرف عليه نور النبوة، وأكرمه الله تعالى برسالته وبعثه إلى خلقه واختصه بكرامته وجعله أمينه بينه وبين عباده(2).

---

(1) السيرة لنبوية، لأبي محمد عبد الملك بن هشام، دار الفجر للتراث القاهرة، ط: 2 1425هـ، ج 1 ص130.

(2) زاد المعاد في هذي خير العباد، ابن القيم الجوزية، دار الفجر للتراث -القاهرة-، ط: 1 1425هـ، ج1ص31

المطلب الخامس: تكوينه للأمة وتأسيس الدولة من حيث المنهج والتكامل

لقد جمع المصطفى صلى الله عليه وسلم من المكارم والخصال خير ما في طبقات الناس من سمات ومميزات، فكان بذلك طرازا رفيعا من الفكر الصائب والنظر السديد، نائلا حظا وافرا من حسن الفطنة وأصالة الفكرة وسداد الوسيلة والهدف، وطالع بعقله الخصب وفطرته الصافية صحائف الحياة وشؤون الناس وأحوالهم فعاش حياة الشكرين الحامدين، راضيا مرضيا، مبلغا ما أوحي إليه، صابرا على الأذى فيه راغبا بذاك الثواب، هاديا إلى الواحد المنان.

إن معالم المسيرة المكية لها مميزاتها وخصائصها في الرسالة المحمدية حيث لا يستع المجال لاستقصائها بشكل مفصل، وفي كتب السيرة الصحيحة تحقيق واستفاضة وزيادة لكل محب مستزيد لما لها من أثر بليغ في النفوس الصاعدة لما تحويه في طياتها من أحداث متتالية في عالم الدعوة إلى الله في السر والعلن بين الإنكار والاتباع، فركز صلى الله عليه وسلم في تكوينه أمته على تثبيت العقيدة والإيمان ومحاربة الشرك وعبادة الأوثان ولذلك فقد قسمت هذه الفترة وفق المراحل الآتية:

الدعوة سرا وبدون حرب المحاطة بالكتمان إلى أن تتيسر الأسباب وتفتح الأبواب روى الإمام الطبراني بسند فيه مقال عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: استَعِينوا على إنجاحِ الحوائجِ بالكِتمانِ فإنَّ كلَّ ذي نعمةٍ محسودٌ[1]. لا يروى هذا الحديث عن معاذ إلا بهذا الإسناد تفرد به سعيد بن سلام العطار.

وفي هذا الحديث إشارات ناعمة ودلالة واسعة على مسالة السرية، مرغوب فيها جدا أثناء الشروع في مشروع من المشاريع سواء المجال التربوي أو غيره من المجالات، لأن السرية تحفظ المشاريع التي ما زالت في طور الإنشاء من عيون الحاسدين. وكيد الكائدين. وطمع الطامعين.

وبناء المشاريع النيرة لا ريب أنها تؤسس بمقياس العلم والمعرفة وأدوات التعلم الفعالة، لأن الجهل والعشوائية وعدم التنظيم لا يمكن لهم أن يوصلوا صاحبهم إلى الهدف المرجو،

(1) المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طريق بن عوض الله بن محمد-عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين للطباعة والنشر -القاهرة-، ط: 1 1415هـ، ج3 رقم الحديث 2455 ص55.

فخاطب المولى نبيه بقوله: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الإنسان مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأكرم الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الإنسان مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾(1).

---ثم الدعوة جهرا وبدون حرب أيضا: فبعد أن تفتحت القلوب، واقتنعت العقول، وأصبح الدين ينتشر والأسباب متاحة ومتوفرة للجهر بالدعوة، خاطبه ربه بقوله في سورة الحجر: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾(2).

وعليه فإن هذه الفترة يمكن وصفها بأنها عبارة عن دعوة وعمل، ثم ابتلاء وامتحان، ثم فوز ونجاح، ثم جائزة وتكريم، ومن أعظم مكونات هذه الجائزة إسلام الأنصار في المدينة، وهجرته صلى الله عليه وسلم إليها.

فبعد أن هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة وأصبح الإسلام ينتشر فيها سريعا، عمل على تكوِّين أول دولة في الإسلام في هذه الرقعة المحدودة وظيفتها الأولى ان تدافع عن الدين الإسلامي، وتأمين حرية الدعوة إليه(3).

وأهم الركائز والأسس التي بنى عليها النبي صلى الله عليه وسلم هذه الدولة الفتية العظيمة هي أربعة:

أ. الأساس الأول: بناء المسجد لتثبيت الدين

فأول شيء فعله النبي صلى الله عليه سلم بعد الهجرة هو بناء المسجد النبوي الذي اختار له المكان الذي بركت فيه ناقته صلى الله عليه وسلم، قال ابن هشام: "…. قيل له يا رسول الله هلم إلى أخوالك، إلى العدد والعدة والمنعة، قال: خلو سبيلها فإنها مأمورة، فخلو سبيلها، فانطلقت حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجار بركت على باب مسجده صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ مربدا لغلامين يتيمين من بني النجار.."(4).

---

(1) سورة العلق، الآية 1-5.
(2) سورة الحجر الآية 94.
(3) النبي المربي، د. أحمد رجب الاسمر دار الفرقان -عمان-الاردن، ط: 1 1422هـ-2001م، ص66 بتصرف.
(4) السيرة لنبوية، لأبي محمد عبد الملك بن هشام، دار الفجر للتراث القاهرة، ط: 2 1425هـ، ج 2 ص108

وهذان الغلامان اسمهما سهل، وسهيل ابني عمرو الذي اشترى منهم صلى الله عليه وسلم هذا المكان الذي كانا يملكانه. فسأهم في بنائه صلى الله عليه وسلم بنفسه ومعه أصحابه بالجريد واللبن، قال ابن اسحاق: فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم: لا عيش إلا عيش الآخرة اللهم ارحم المهاجرين والأنصار[1]، ثم بنى مسكنه ومساكن أزواجه إلى جنبه وأقربها إليه مسكن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها[2]،

ولم يكن المسجد موضعا لأداء الصلوات فحسب، بل كان جامعة يتلقى فيها المسلمون تعاليم الإسلام وتوجيهاته، ومنتدى تلتقي وتتآلف فيه العناصر القبلية المختلفة التي طالما نافرت بينها النزعات الجاهلية وحروبها، وقاعدة لإدارة جميع الشؤون وبث الانطلاقات، وبرلمان لعقد المجالس الاستشارية والتنفيذية، وكان مع هذا كله دار يسكن فيها عدد كبير من فقراء المهاجرين اللاجئين الذين لم يكن لهم هناك دار ولا مال ولا أهل ولا بنون[3].

وفي هذا إشارة إلى أن دين الدولة الرسمي والعملي هو الإسلام، ولكن ليس في ديباجة الدستور فقط كما يحدث اليوم في كثير من دول الإسلام؛ بل ينبغي تنزيله على أرض الواقع بالأساس. لأن المسجد في عصره صلى الله عليه وسلم وعهد الخلفاء الراشدين، كان عرين أسود، ورياض جهاد، ومدرسة جامعة، ومقر قيادة أركان جند الله، ومجلس شوراهم، ذلك أن بيت الله أحق البيوت أن ينطلق منها ويرجع إليها ويتجمع فيها ويتآلف جند الله[4].

ب. الأساس الثاني: الأخوة بين المسلمين

إلى جانب قيامه ببناء المسجد فقد آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار.

قال ابن القيم: ثم آخى رسول الله صلى إله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار في دار أنس بن مالك، وكانوا تسعين رجلا نصفهم من المهاجرين ونصفهم من الأنصار، آخى بينهم على

(1) أخرجه البخاري في صحيحه من طريق سهل بن سعد الساعدي، كتاب مناقب الأنصار رقم الحدث: 3797 / ومسلم كتاب الجهاد باب غزوة الأحزاب وهي الخندق. رقم الحديث 1804.
(2) زاد المعاد في هذي خير العباد، ابن القيم الجوزية، دار الفجر للتراث -القاهرة-، ط: 1 1425هـ، ج1ص42
(3) الرحيق المختوم، صفي الرحمان المباركفوري، دار الغد الجديد-القاهرة، ط: 1 1435هـ، ص186.
(4) المنهاج النبوي تربية وتنظيما وزحفا، عبد السلام ياسين، الشركة العربية الإفريقية للنشر والتوجيع، ط2 1989، ص44.

المواساة، يتوارثون بعد الموت دون ذوي الأرحام إلى حين وقعة بدر، فلما أنزل الله تعالى-في سورة الأحزاب-: ﴿وَأولو الارْحَامِ بَعْضُهُمْ أولى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾، رد التوارث إلى الرحم دون عقد الأخوة.

وقد قيل: إنه آخى بين المهاجرين بعضهم مع بعض مؤاخاة ثانية، واتخذ فيها عليا أخا لنفسه.

والثبت الأول، والمهاجرون كانوا مستغنين بأخوة الإسلام، وأخوة الدار، وقرابة النسب عن عقد مواخاة بخلاف المهاجرين مع الأنصار ولو آخى بين المهاجرين، كان أحق الناس بأخوته أحب الخلق إليه ورفيقه في الهجرة، وأنيسه في الغار وأفضل الصحابة وأكرمهم عليه أبو بكر الصديق، وقد قال: «لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكن أخوة الإسلام أفضل»، وفي لفظ: « ولكن أخي وصاحبي»[1].

ولعل المقصود من هذا الإخاء هو أن تذوب تلك العصبيات والنعرات القبلية الجاهلية، وتسقط فوارق النسب والعرق والوطن، والاحتكام إلى ما جاءت به الشريعة الحنفية السمحاء.

روى الإمام البخاري في صحيحه من طريق أبي هريرة قال: قالتِ الأنصار للنبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: « اقْسِمْ بيْنَنا وبيْنَ إخْوانِنا النَّخِيلَ، قالَ: لا فقالوا: تَكْفُونا المَئُونَةَ، ونَشْرَكْكُمْ في الثَّمَرَةِ، قالوا: سَمِعْنا وأَطَعْنا»[2].

وهذا إن دل فإنما يدل على أن الأخوة في الإسلام وإن كانت عامة لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه مسلم، عن أبي هريرة رضي الله أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى المَقْبُرَةَ، فقالَ:

«السَّلامُ علَيْكُم دارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وإنَّا إنْ شاءَ اللَّهُ بكُمْ لاحِقُونَ، وددْتُ أنَّا قدْ رَأَيْنا إخْوانَنا قالوا: أولَسْنا إخْوانَكَ؟ يا رَسولَ اللهِ، قالَ: أنتُمْ أصحابي وإخْوانُنا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ

(1) زاد المعاد في هذي خير العباد، ابن القيم الجوزية، دار الفجر للتراث -القاهرة-، ط: 1 1425هـ، ج2ص101

(2) الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المكتبة السلفية -القاهرة-ط1سنة 1400هـ، كتاب الحرث والمزارعة، رقم الحديث2325.

فقالوا: كيفَ تَعْرِفُ مَن لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِن أُمَّتِكَ؟ يا رَسولَ اللهِ، فقالَ: أرَأَيْتَ لو أنَّ رَجُلًا له خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ إلا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟ قالوا: بَلَى يا رَسولَ اللهِ، قالَ: فإنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الوُضُوءِ، وأنا فَرَطُهُمْ علَى الحَوْضِ إلا لَيُذادَنَّ رِجالٌ عن حَوْضِي كما يُذادُ البَعِيرُ الضَّالُّ أُنادِيهِمْ إلا هَلُمَّ فيُقالُ: إنَّهُمْ قدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ فأقُولُ سُحْقًا سُحْقًا»(1).

نعم فالأخوة في الإسلام هي التي تجسد الوحدة بكل عناصرها؛ وحدة المنطلق، ووحدة العمل، ووحدة الهدف؛ فالأنصار برهنوا على تلك الحفاوة البالغة لإخوانهم المهاجرين، وحقا فقد كانت هذه المؤاخاة حكمة بالغة وسياسة حكيمة وحلا رشيدا لكثير من المشاكل التي كان يوجها المسلمون آنذاك، وللأسف الشديد لو الأمة الإسلامية والعربية الآن تأملت في مثل هذه المواقف التي سنها المنهج النبوي لقلت هذه الفرقة والتباعد بين المسلمين فيما بينهم. ولذلك فالمسجد الآن بدون الأخوة الإسلامية الحقيقية هو مجرد حيطان وجدران كما يقال إن صح التعبير.

ج. الأساس الثالث: تنظيم العلاقة مع غير المسلمين

فبعد أن أرسى رسول الله صلى الله عليه وسلم قواعد مجتمع جديد، وأمة إسلامية جديدة، بإقامته اللبنات الأساسية التي تقوم عليها للأمة والمتمثلة في الوحدة العقدية والسياسية والنظامية بين المسلمين، بدا بتنظيم علاقته بغير المسلمين، وكان قصده بذلك توفير الأمن والأمان والسلام والسعادة والخير للبشرية جمعاء، مع تنظيم المنطقة في وفاق واحد، فسن في ذلك قوانين السماح والتجاوز التي لم تعهد في ذلك العالم المليء بالتعصب والأغراض الفردية والعرقية (2).

لقد كان أقرب المتجاورين للمدينة المنوة آنذاك من غير المسلمين اليهود، ولذلك عقد معهم النبي صلى الله عليه وسلم اتفاقية معاهدة لعدم إظهارهم له أي مقاومة أو خصومة بعد واعتبار هذه الوثيقة الدستورية بمثابة عقد مشترك يشمل التزام جميع الأطراف داخل المدينة، وتحديد الحقوق والواجبات، فنصوصها مكونة من كلمات وتعابير كانت مألوفة في

(1) المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ط: 1 سنة 1412هـ، كتاب الطهارة، رقم الحديث249. ص218.

(2) الرحيق المختوم، صفي الرحمان المباركفوري، دار الغد الجديد-القاهرة، ط: 1 1435هـ، ص193

عصر الرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قل استعمالها فيما بعد حتى أصبحت مغلقة على غير المتعمقين في دراسة تلك الفترة [1].

قال ابن اسحاق: وكاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والنصارى، وداع فيه يهودا، وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم واشترط عليهم[2].

فقرر لهم فيها النصح والخير، وترك لهم فيها مطلق الحرية في الدين والمال، ولم يتجه في البداية إلى سياسة الإبعاد أو المصادرة والخصام.

فكتب التاريخ والسير تؤكد على أن أرض العرب كانت دائما مأوى لأصحاب الديانات التي تفر من الاضطهاد الذي لحقها بداية من التتار وبعده الرومان، الذين ضربوا عليهم الذلة والمسكنة، ولذلك لم يجد كثيرون منهم مأوى يأوون إليه إلا البلاد العربية التي كانت حصن الذين يفرون بدينهم ولا يجدون ملجا إلا أرض النبيئين الأولين الذين لم تتغلب عليها.

فلما هاجر الوثنيون إلى يثرب حيث الجناب الخصيب، وحيث المنجع المربع هاجر اليهود أيضا إلى حول يثرب فهاجر بنو النضير وبنو قريظة وبنو قينقاع وخيبر، ولم يندمجوا في الشعب العربي بل اتخذوا حصونا تحتويهم حينما أقاموا وانتجعوا الخصيب من الأرض فكان لهم النخل والتمر في يثرب امتلكه الذين أقاموا فيها من بني قينقاع والنظير وقريظة وامتلكوا أهل خيبر مثلها فاتخذت مستقرا لهم[3].

وفي الوقت نفسه كانوا أشد الناس حقدا على الإسلام والمسلمين لكن باطنيا لأن الكلمة العليا كانت للعرب في المدينة المنورة وخاصة بعد انتهائهم من غزوة بدر التي أظهروا فيها قوتهم، ولم يستطع اليهود مقابل ذلك أن يجمعوا كلمتهم ويقفوا صفا واحدا في وجه خصومهم فتفرقت بطونهم ودخلوا في تحالفات، وزيادة على ذلك لم تكن لهم لديهم الخبرة في مجال الحرب والضرب بقدر ما كان اهتمامهم بأسلحة الفن الأسود(بالسحر) عن القتال

---

(1) السيرة النبوية الصحيحة، د. اكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة، ط6 1415هـ-1994، ج1ص272

(2) السيرة لنبوية، لأبي محمد عبد الملك بن هشام، دار الفجر للتراث القاهرة، ط: 2 1425هـ، ج 1 ص113

(3) خاتم النبيئين صلى الله عليه وسلم، محمد أبو زهرة طبعه امير دولة قطر على نفقته، ج1، فصل «أرض النبوة الأولى هي أرض العرب» ص 56 بتصرف.

السافر والمبارزة في ساحة الحرب، بل عرف عنهم أنهم أصحاب دس ومؤامرة يختارون أنواعا من الحيل لإيقاع الإيذاء بالمسلمين دون أن يقوموا للقتال ويحتفظون عما يلوج في صدورهم متى سنحت لهم الفرصة لإظهاره. لكن بعد غزوة أحد والخندق أصبحوا يعلنون عدائهم للمسلمين جهارا، ومع ذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعامل معهم بالحسنى لعلهم يتوبون، لكن عندما وجدهم أنهم لم يفهموا ما معنى التعامل بالحسنى ونقضهم للعهد الذي قطعه معهم، حاربهم النبي كل واحد على حسب قدره،

قال ابن القيم: ووادع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة باليهود وكتب بينه وبينهم كتابا، وبادر حبرهم وعالمهم عبد الله بن سلام فدخل في الإسلام وأبى عامتهم إلا الكفر. وكانوا ثلاثة قبائل: بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة، وحاربه الثلاثة فمن على بني قينقاع وأجلى بني النظير وقتل بني قريظة وسبي ذريتهم ونزلت سورة الحشر في بني النضير وسورة الأحزاب في بني قريظة[1].

ولذلك يمكن وصف هذه القبائل الثلاث التي وجدها النبي صلى الله عليه وسلم عندما هاجر إلى المدينة بالمستوطنات اليهودية؛ -هم بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة-، وأقول مستوطنات لأن المدينة ليست وطنهم أصلا؛ بل ولا حتى الجزيرة العربية؛ بل لا وطن لهم أصلا يعيشون دائما في مستوطنات ظالمة، حتى ينتقم الله منهم، فهم نبتة دخيلة في المجتمعات قديما وحديثا، وإنما جاءوا إلى الجزيرة العربية لأنهم قرؤوا في التوراة أن آخر الأنبياء سيبعث فيها، وسيهاجر إلى بلدة ذات نخل وماء، ولهذا نجدهم قد استوطنوا بلدتي خيبر والمدينة؛ ولكن لما جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم وعرفوه كفروا به، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[2].

د. الأساس الرابع: تحرير السوق من سيطرة غير المسلمين

إن المدينة المنورة بطبيعتها منطقة زراعية، ذات تربة خصبة وزيادة على ذلك توفرها على وديان كثيرة تفيض بمياه السيول فتسقي النخل والزرع، وكان أكثر اعتماد أهلها على الزراعة

(1) زاد المعاد في هذي خير العباد، ابن القيم الجوزية، دار الفجر للتراث -القاهرة-، ط: 1 1425هـ، ج2ص101

(2) سورة البقرة الآية 89.

والبساتين وهذه منحة إلهية أكرم الله بها أهل يثرب، وكانت بعض الصناعات في المدينة يمارس أكثرها اليهود ولعلهم جلبوها من اليمن، فلم يزالوا فيه إلى أن غادروه في الزمن الأخير حاذقين في الصناعة، وكان عامة بني قينقاع صاغة، وكانوا اغنى طوائف اليهود في مدين يثرب وكانت بيوتهم تحتوي على الأموال الطائلة والحلي الكثير من الفضة والذهب مع ان عددهم كان غير كثير[1].

ولعل السبب في هذا الثراء الاقتصادي عند اليهود اهتمامهم بالمستقبل عكس العرب الذين بطبيعتهم العربية البدوية لا يفكرون فيما هو آت، لأن الله هو الرزاق ذو القوة المتين فكانوا أهل كرم وضيافة عكس اليهود[2]

وبما أنهم أصحاب ثراء اقتصادي لا ريب أن القوة الاقتصادية في يدهم وبذلك فهم أصحاب القرار في تسيير أسواق يثرب تحكما واحتكارا واستغلالا لحاجة الناس.

فالرسول صلى الله عليه وسلم برؤية استراتيجية منهجية منتظمة فكر في إيجاد حل اقتصادي مستقل لأهل هذه المدينة الذي جعلهم عالة في الاقتصاد على اليهود، يعانون من التبعية المذلة، وهذه أول نقطة تؤكد على مدي نباغة وفطنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يمكن أن نسميه بالخبير الاقتصادي العالمي إن صح التعبير فهو كان يعلم أنه لا يمكن أن تستقر أمة إلا بتحرير اقتصادها فمأكلها ومشربها وملبسها لا ينبغي أن يكون متوقفا على غيرها وهذه أول نقطة عملية أغاضت اليهود في المدينة، فبدءوا بعداوة النبي صلى الله عليه وسلم سرا وعلانية.

قال العلامة د. علي محمد محمد الصلابي: فكان لابد -منه صلى الله عليه وسلم- من بناء سوق للمسلمين لينافسوا اليهود على مصادر الثروة والاقتصاد في المدينة وتظهر فيه آداب

---

(1) تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، د. اسرائيل ولفنسون، مطبعة الاعتماد شارع حسن الأكبر بمصر، ص128

(2) السيرة النبوية، أبو الحسن علي الحسني الندوي، تحقيق: سيد عبد المجيد الغوري، دار ابن كثير دمشق -بيروت-، ط3 1425هـ-2004م، ص269.

الإسلام وأخلاقه الرفيعة في عالم التجارة فحدد صلى الله عليه وسلم مكانا للسوق في غرب المسجد النبوي وخطه برجله[1].

فقال للمسلمين: هذا سوقنا، روى ابن ماجة في سننه، -من طريق أبي أُسَيْد الساعدي -أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « هذا سوقكم فلا ينقصن ولا يضربن عليه خراج»[2]. وفي بعض رواة السند مقال عند أهل الحديث.

وعلى هذه الأسس الأربعة التي ذكرناها قاد الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الدولة الفتية على مدى عشر سنوات، فلم يسمح قط لأي أحد مهما كان أن ينال من أي أساس من هذه الأسس الأربعة؛ فالمسجد هو رمز الوحدة، والأخوة هي تطبيق عملي للوحدة، وعقد الاتفاق مع اليهود هو حماية للوحدة، وتحرير السوق هو مقوم الوحدة.

المطلب السادس: أهم سمات المنهج النبوي

فالمنهج النبوي غزير بسماته ممتلئ بقباسته الداعية إلى تكثيف الجهود لتنزله تنزيلا يراعى فيه أسسه ومهامه الحقيقة التي فصلها النبي المربي عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم في مناحي الحياة.

ومن بين أهم خصائص هذا المنهج اشتماله على العبودية المطلقة للخالق[3] الذي خلق الإنسان فسواه فعدله وركبه على صورة بشرية أرادها المولى سبحانه، ولم يطلب منه إلا أن يعبده عبادة حقيقية لا شرك فيها ولا رياء، فرزقه العقل وعلمه ما لم يكن يعلم، قال تعالى: ﴿خلق الإنسان علمه البيان﴾[4].

(1) السيرة النبوية عرض وحقائق وتحليل احداث، د. علي محمد محمد الصلابي، دار الفجر للتراث -القهارة-، ط1 1424هـ-2004م، ج1ص634.
(2) السنن، أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، كتاب التجارات، باب الأسواق ودخولها، ج2ص751.
(3) مدخل الى التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل على، دار الفكر العربي ط1 1431هـ-2010م، ص194 بتصرف.
(4) سورة الرحمان الآية 1.

فالنبي صلى الله عليه وسلم المبين والموضع لشريعة الله عمل على تحرير الإنسان ودعاه إلى العلم والاتباع حتى لا يكون هناك شيء يخدش في عبادته لله من شرك ونحو ذلك فكان بذلك تحرير المؤمن من كل مما يمكن أن يخلخل مفاهيمه التعبدية اتجاه الخالق فكان بذلك شارحا لتعاليم الإسلام الداعية إلى الوحدانية الوجودية. ولا شك أن هذه الخاصية يعتبرها العلماء مشتركة بين الأنبياء والرسل: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أمة رَسُولا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[1].

فيستنبط من خلال هذه الآية الكريمة وغيرها أن وظيفة الرسل جميعا هي دعوة البشرية لعبادة الواحد الأحد الفرد الصم الذي لم يلد ولم يولد، وهذه سمة لا شك أنها تتحقق بها الغاية الكبرى من الخلق، ملبيا نداء الفطرة التي فطر الله الناس عليها، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالأنس إلا لِيَعْبُدُونِ﴾[2].

وفيه يقول الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم مؤكدا هذه الفطرة الربا نية في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من مولود إلا يلد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويشركانه فقال رجل: يا رسول الله أرأيت لو مات قبل ذلك؟ قال: الله أعلم بما كانوا عاملين»[3].

فاندثار هذه الخصلة التي تعتبر مبدء أساسيا في التكوين الإنساني المجبول عليه لا شك أنه سيترتب عليه آثار سلبية في الفطرة الإنسانية الوجودية الأصلية المتشبعة بالقيم والمثل العليا الفاضلة الزكية وكل على حسب ما شرب من إنائه المملوء بالاتجاهات التي تؤدي إلى التشبع بالقيم الفاسدة في المجتمعات المنفتحة الغير المتأصلة بمبادئها الحضارية النقية الأصيلة. [4]

---

(1) سورة النحل الآية 36.
(2) سورة الذاريات الآية56.
(3)الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل، تحقيق: محب الدي الخطيب، دار المكتبة السلفية -القاهرة-ط1سنة 1400، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، رقم الحديث1385. /صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ط: 1 سنة 1412هـ، رقم الحديث2658.
(4) تربية الأولاد في الاسلام، عبد الله ناصح علوان، دار السلام للطباعة -القاهرة -مصر، ط21 1412هـ،، ج1 ص162. بتصرف.

ومن مميزاته كذلك أنه يربي الإنسانية على تصحيح المقصد للوصول إلى الهدف المطلوب، وبالخصوص فيما يتعلق بطلب العلم الشرعي الذي ينبغي على الناشئة طلبه، وطالبي للعلم بشكل عام أن يخلصوا في نية تلقيهم العلم، وإلا فستختل الموازين ولن يتحقق المقصود الأصلي الذي وصف الله به الأمة عندما خاطبها بقوله: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[1]، فبدون الإخلاص لن يتحقق المراد، لأن التقوى هي مفتاح الطريق للاستزادة في المعرفة وما توفيق الإنسان إلا به سبحانه، وهذا ما أثبته المنهج النبوي في طلب العلم على وجه الخصوص.

ومما يزيد هذا الأمر رونقا وجمالا هو توجيه المصطفى صلى الله عليه وسلم طلبة العلم على أن يوفقوا بين ما يتعلمونه، وتماشيا مع حياتهم المتفاعلة، لأن العلم مثل الشجرة والعمل ثمارها، فالثمار لن تنموا بشكل صحيح وهي لا تتوفر على غصون متجذرة في تربة خصبة ملائمة، ولهذا فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يحث صحابته على العلم والعمل به، فالعلم بدون عمل سيكون حجة على صاحبه في اليوم الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، والعلم بالعمل هو أن تبلغ غيرك ما تعلمت شريطة أن تكون كفئا لهاته المهمة التبليغية، فليس كل من عرف أمرا يبلغه، بل المقصود به تعمل بما هو عندك من معارف اكتسبتها بطريقة صحيحة ولا يعتريها النقص، فعن زيد بن ثاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « نضر الله أمرأ سمع مقالتي فوعاها ثم بلغها، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه» [2].

(1) سورة البقرة الآية 282.

(2) سنن أبي داوود تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية سنة 2009م 1430هـ، رقم الحديث 3660 ج5 ص 501 /مسند الإمام أحمد،، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة -بيروت، ط1 1420هـ-1999م، رقم الحديث 21590 ج35ص467

المبحث الثالث: البعد الجوهري للتربية النبوية

المطلب الأول: أهميتها

إن التربية في الشريعة الإسلامية مهمة جدا، ولها دور عظيم في التربية الصالحة وإعداد الأجيال الصاعدة وفق طاعة الله ورسوله، والكتاب والسنة والتراث الإسلامي كفيل بالاهتمام بهذا العنصر النبيل، قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾(1)، وقال: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أكبر وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾(2).

فالتربية النبوية لا شك بهذا أنها تكتسي أهمية فريدة لاحتوائها منهجية سليمة منتظمة ومستمرة، ومزية عظيمة لتركيزها على الرعاية العملية وحصرها البليغ في توجيه الفرد إلى ما فيه الصلاح، فهي دائما تراقبه وتتعهده تهذيبا واهتماما وتزكية وسموا وارتقاء وفق منهج متسلسل كامل متكامل مفيد مستفيد صالح مصلح. القائم على فطرة الله التي فطر الناس عليها فالله سبحانه خالق للإنسان وأعرف به وبمراحله التي يمر بها وما يصلح لهذا الإنسان وما لا يصلح له، لأن مهمة الإنسان الوجودية تتمثل في عبادة الله وإعمار الأرض الذي استخلفه فيها، فأكرمه بخير مرب حتى يكون صالحا للقيام بدوره الاستخلافي بالشكل المطلوب الذي يليق بمكانته.

ولذلك فإن عملية التربية والتزكية من الرسول صلى الله عليه وسلم للبشرية لم تكن محصورة فقط في مرحلة البعثة النبوية، بل هاته المهمة دائمة ما بقي على الأرض المؤمنون(3). وصدق الله العظيم حينما قال: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى المؤمنينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولا مِنْ أنفسهم يَتْلُو عَلَيْهِمْ آياتهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾(4).

وللشيخ الطاهر بن عاشور كلام نفيس في تفسير هذه الآية وختمها بتأويل آخر حيث قال رحمه الله، ويجوز أن يشمل قوله: { على المؤمنين } المؤمنين في كل العصور ويراد بكونه من

---

(1) سورة الحشر الآية 7

(2) سورة العنكبوت الآية 45

(3) أهمية التربية النبوية للأمة الاسلامية، د. طارق زوكاغ، مجلة البيان العدد 292 بتصرف

(4) سورة آل عمران الآية 164.

أنفسهم أنّه من نوع البشر. ويراد بإسناد تعليم الكتاب والحكمة إليه ما يجمع بين الإسناد الحقيقي والمجازي، لأنّ تعليم ذلك متلقّي منه مباشرة أو بالواسطة[1].

فهدا العطاء والامتنان المؤسس على مبدإ الأخلاق الفاضلة، وتوجيه السلوك نحو الفلاح والصلاح بواسطة صاحب محاسن الأخلاق عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم الذي كان خلقه القرءان، قولا وفعلا.

وكفى بالمرء أن يدرك أهميتها في جميع أطوار حياته، فهي خير وسيلة له وبها يبنى الفرد والمجتمع والدولة والحضارة الإنسانية العريقة، فهي تحقق التكامل والتماسك والتجانس الاجتماعي وهلم جرا، الهادفة إلى الخير المتجنبة لكل الشرور. وبها تحقق سعادة الإنسان في الدارين.

فالتربية النبوية تعد أساس المجتمع الصالح لغرسها القيم والمبادئ والأخلاق والخصال الحميدة والاتجاهات الإيجابية، والأمم التي تريد الخير لشعوبها هي التي تعطي العناية التامة، والمواكبة الخاصة بشكل مستمر وهذا ما ينبغي التنبيه إليه وخاصة في عصرنا المعاصر أن تكون هذه الرؤية الاستراتيجية الدقيقة مبنية وفق منهج نبوي رسين، لبناء شخصية الطفل بالعقل والتوجيه والتنمية وغرس المبادي الأخلاقية الإيجابية والقيم والاتجاهات والمثل العليا والمبادئ الدينية الإسلامية والأخلاقية.

والتربية والتعليم وفق منهج تربوي إسلامي هما الأساس الأول لبناء الإنسان وهذا لا ينكره صاحب عقل سليم على مر التاريخ.

المطلب الثاني: طبيعتها

لا ريب أن التربية النبوية هي اختيار من صاحب الاختيار، الذي يخلق ما يشاء ويختار، فالحديث عن طبيعة التربية التي كانت سائدة في العصر النبوي لا تخلوا إلا أن توصف بأوجز العبارات، الدالة على ذلك المنهج أو النظام المتكامل، لاشتمالها على جميع جوانب حياة الإنسان من بعد روحي، وإعمال للعقل، وتوجيه سلوكي متزن، يرجوا لقاء الله بقلب سليم

(1) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: 1984، ج4ص160.

مطمئن، فهي كانت تجمع بين القول والعمل فالقول المتسم بالعلم النبوي، والعمل المفيد كان يركز على توجيه الفرد توجيها سليما نحو فهم الوظيفة الربانية فهما دقيقا شموليا، التي تكلف به الحبيب المصطفى من لدن خالقه سبحانه الذي يعلم السر وما يخفى وهو بكل شيء عليم في كل وقت وحين، فبلغها الحبيب المجتبى عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم للأمة على أحسن وجه فهما وإرشادا وتطبيقا،

وكانت بذلك وظيفة ربانية وجودية لازمة قائمة على جلب المصالح للبشرية، وبطبيعتها عملية روحية إرادية فهي منذ أن دعي بها النبي المربي الذي أرسله الله رحمة للعالمين، سار على منوالها صحابته الكرام الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور المحمدي الذي أنزل معه ساروا من المفلحين.

المطلب الثالث: وظائفها

تشكل التربية الروح الحقيقي للحياة الاجتماعية بمختلف تنوعاتها وتجلياتها، وهي تؤدي وظائف حيوية تمكن المجتمعات الإنسانية من عناصر وجودها واستمرارها، إذ لا يمكن لأي مجتمع أن يقوم ويستمر في الوجود من غير نظام تربوي يكفل له هذه الاستمرارية، ويضمن له القدرة على التكيف وفقا لأنساق ثقافية محددة[1]، وهذا لا ينكره صاحب عقل سليم لأن قياس الشيء لمعرفة وظيفته الأساسية ينبني على أمر مهم، وهو ما مدى حاجة الفرد إليه والمجتمع كذلك، وما له من أثر بناء في حياة كل منهما،

فالمنهج النبوي أو التربية النبوية، يعمل أساسا على هذا الأمر حتى وإن كانت الوظائف متجزئة ومتعددة لكنها متداخلة، ويغلب عليها الطابع العام ألا وهو جلب المصالح للإنسان ودرء المفاسد عنه، والفوز بدار الجنان، وهذا يظهر جليا وواضحا للقراءة الكلية الشاملة لما جاء في السنة النبوية والسيرة العطرة لخير الأنام عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

فالتربية النبوية إذن لها وظيفة حيوية ممتدة ومتجانسة ومتواصلة ملازمة للإنسان، فهي تمكنه من المحافظة على جنسه وتوجيه غرائزه وتنظيم عواطفه وتنمية ميوله بما يتناسب

(1) أصول التربية إضاءات نقدية معاصرة، ا. د. على اسعد وطفة، دار مجلس النشر العلمي-الكويت-، سنة الطبع: 2011، ص97.

وثقافة المجتمع الذي يعيش فيه [1]، فهي تحاول أن تأخذ بيده إلى عالم السكينة والطمأنينة والراحة النفسة والعقلانية والوجدانية وهو مستقر الإنسان ومسعاه في الدارين.

فهي إذن عنصر أساسي في إعداد الفرد للحياة كما رسمه صلى الله عليه وسلم في الخطوط العريضة بمنهاج منتظم في قالب دستوري رباني، منزل عليه من رب العالمين صلوات ربي وسلامه عليه، فهو سراج منير، ومنبع قويم يدعوا الناس إلى الهدي والصواب والرشد والفلاح والصلاح.

فالمنهج يهدف إلى إنشاء فرد عارف بالأهداف العامة، وتعاليم المنهج الإسلامي الإنساني اتجاهه، عن طريق توعيته وإعداده إعدادا سليما يتناغم مع مجتمعه بقيمه الإسلامية النبيلة إبان نشوئه في أسرة كريمة متكاملة يحس ويدرك فيها أن الكل له وأنه الكل.

فيعلم علم اليقين أن التربية الصالحة التي دعى إليه صلى الله عليه وسلم هي التي ستصونه وتبنيه بناء سليما وتحافظ عليه وتدفع به إلى ما فيه صلاحه وفلاحه في الدارين.

المطلب الرابع: منطلقات التربية النبوية

الفرع الأول: إعداد أجيال تبليغ الرسالة المحمدية

من المسلمات عند النبي صلى الله عليه وسلم علمه بأحوال أولئك القوم في الأمم الماضية بحيث أنهم ينقضون إيمانهم بعد توكيدها بمجرد وفاة رسلهم، ويصبحون على ما كانوا عليه من قبل، عادلين عن الطريق المستقيم، الذي دعوا إليه من لدن أسيادهم ولم يكتفوا بهذا بل حرفوا الكتب السماوية التي جاء بها أنبياؤهم، من عجائب هذا العجاب أنه ما من حركة إصلاحية قامت إلا وأصيبت بالتفكك والانحلال بمجرد وفاة قائدها ويصبح الناس على ما كانوا عليه من الضلال، وربما أسوأ مما كانوا عليه من قبل.

لكن بما أن الرسالة المحمدية هي الرسالة الخاتمة التي ينبغي أن تستمر حتى يرث الله ومن عليها فإن الأمر يتطلب وضع الأسس الثابتة المتينة الراسخة الوثيقة لإعداد أجيال تحمل هذه الرسالة إيمانا وتبليغا وتنفيذا كما هي على مدى تتابع العصور البشرية، بأمانة

(1) مقدمة في التربية، ابراهيم ناصر، دار عمار للنشر، سنة الطبع: 2004م، ص14.

ومسؤولية، ووعي وإخلاص، وتفان وفاعلية متلازمة ومستمرة. ولإعداد هذا الجيل الفريد الناصر والداعم لحمل هذه هذا الثقل الكبير بكل ما أوتي، سنتناوله من خلال النقط الآتية:

1. إعداد جيل التأسيس:

سبقت الإشارة إن أمة العرب كانت أكثر أمم الأرض تخلفا في النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وأقلها نصيبا في حيازة الثقافة والعلم والمعرفة، ومع ذلك فهي من أصعب أمم أرض قيادا، وأكثرها تمردا وأشد شكيمة، وأكثرها تمسكا بالموروثات الفكرية والحرية الفردية.

وكان على الرسول صلى الله عليه وسلم أن يربي جيلا رائدا، يبقى نموذجا بشريا يقتدى به، ويتأسى بمقوماته وتصرفاته بنوا الإنسان على مدى امتداد الزمان، لا لينهضوا بأمتهم العربية فحسب، بل وليجعلوا منها قائدا لركب البشرية وأمم الأرض مع استمرارية مسيرة الحياة [1].

فكون صلى الله عليه وسلم جيلا بعينه، ومنحه كل جهده ورعايته وتوجيهه، فأصبحوا في فترة قصيرة من عمر الزمان نماذج لعمق الإيمان، وكفاية الإنسان، وارتقوا بسرعة مذهلة من القاعدة إلى القمة، ليصبحوا بذلك قادة الأمم وورثة الحضارات، وموازن العدل، ومعايير الخير، وحراس الحق، فكانوا بذلك النواة والبذور الأولى لحمل الرسالة بعده صلى الله عليه وسلم واستحقوا ثناء الله عليهم بوصفه إياهم: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أمة أخرجتْ لِلنَّاسِ تَأمرونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتؤمنونَ بِاللَّهِ﴾ [2].

فأصبحوا خير أمة في تاريخ البشرية كله، ولعل من أسرار تفوق هذه الخيرة في العظمة وعلو المكانة التي نالها هؤلاء الجيل الأول على يد أعظم مرب في التاريخ سلوكهم المنهج الآتي:

امتثالهم لمنهج القرءان وبوحي تعاليمه وسنة رسوله، إضافة إلى شخص الرسول صلى الله عليه وسلم حاضرا بنفسه في ذلك المجتمع، وقائما يتعهد هذه الجماعة بذاته الكريمة، واتصافهم بالجدة والحركية والقابلية للتغيير والبناء السليم، فالكتاب والسنة حاضران

---

(1) النبي المربي د. أحمد رجب الأسمر، دار الفرقان -الأردن، ط: 1 1422 هـ-2001 م، ص71.
(2) سورة آل عمران الآية 110.

فهم أبدا باقيان أبدا إلى قيام السنة، تكفل الله بحفظهما ليحفظ بهما هذا الدين، ووجوده صلى الله عليه وسلم بينهم يعبر عنصر أساسيا في إعداد الجيل الأمثل، فهو عنصر لم يتكرر حقيقة في أي جيل آخر. وبما أننا نتوفر على سيرة مفصلة لحياته صلى الله عليه وسل، فهي تجعلنا نحس به كأنه حي بين ظهرانينا، ولذلك لا يمكن اعتباره مجرد شخصية تاريخية، بل يعايش كل جيل من أجيال البشرية معايشة كاملة بقدر ما يتجه ذلك الجيل إلى شخصه الكريم صلى الله عليه وسلم، ويستوحي سيرته الحية الزاخرة.

ولمحمد قطب كلام نفيس، وهو يذكر سمات أولئك الذين آمنوا به ونصروه وعزروه واتبعوا النور الذي أنزل معه فساروا من المفلحين، قال رحمه الله:... فستظل هذه الجماعة الأولى على الرغم من ذلك هي: النموذج الذي تتطلع إليه الأجيال وتحاول أن تعيده في عالم الواقع.. وهكذا تظل القدوة قائمة في جماعة الرسول صلى الله عليه وسلم وإن لم يتكرر مثالها على مدى التاريخ[1].

وعليه فإن هاته العناصر الأربعة هي التي تبرز لدى القارئ المتمعن حقيقة السر في الإنتاج والإعداد لهذا الجيل الأول الذي حمل ثقل هذه الرسالة المحمدية في بقاع العالم بعد وفاة النبي المختار.

لكن عندما شاءت قدرة الله تعالى أن ينتقل الرسول الأعظم إلى الرفيق الأعلى ظهرت بعض القبائل العربية وارتدت عن الإسلام، نعم بلا شك كانت مازالت لم تتذوق حلاة الإيمان حقيقة، ولم تعرف منهج الله وخالفت حكم الله الذي أنزله على رسوله الكريم، لكن الجيل الذي رباه الرسول صلى الله عليه وسلم أثبت عكس ذلك فوقف في معترك الخطوب كالطود الشامخ، ولأبي بكر الصديق رضى عنه مواقف جبارة في وقت عصيب ليس بالهين -وغيره من الصحابة الكرام كذلك- تهتز لها الأبدان، وتقشعر لها القلوب نورد من بعضها للمثال لا الحصر، وإلا فجيل الصحابة مواقفهم لا تعد ولا تحصى:

---

(1) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب دار الشروق -القاهرة ط 14 1414هـ1993م، _ج2ص18.

يقول أبو بكر الصديق: من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت[1].

قالها رضي الله عنه عندما فتن الناس بموت الرسول عليه أفضل الصلاة وازكي التسليم.

وكذلك استعماله أسلوب الردع لأولئك المرتدين الذين فرقوا بين الصلاة والزكاة، فقال: «والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، ولو منعوني عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله لقتلهم عليه ما استمسك السيف بيدي»[2].

وهذا وذاك قليل من فيض كثير مما قام به الصحابة الأجلاء معه وبعد وفاته صلى الله، من صبر وثبات وحرص، ولا يخافون في الله لومة لائم....

2. إعداد الأجيال المكملة: إن من سمات المربي الناجح النظر إلى الحياة الدنيوية والأخروية نظرة الاستعدادية والقابلية والاستمرارية والتلاحق والتوافق والتكامل، ولهذا فالنبي صلى الله عليه وسلم تنبه إلى هذا الأمر وعلم أنه لا يمكن الاقتصار على إعداد الجيل الأول فقط لحمل هذه الرسالة وتبليغها للناس في الآفاق، بل ينبغي أن يكون هناك علاقة جسر تواصلي تأسيسا وتكميلا، فحرص صلى الله عليه وسلم على وضع القواعد والأسس لتربية مستمرة ناجعة عبر العصور، ترتقي بالأجيال مدارج الكمال بلا تفريط في حق ولا تقصير في الواجب، ولا جور في سلطة ولا فساد في أرض، وإنما حق وعدل، وخير في قيادة حركة الحياة، وإصلاح مكوناتها بعزمات بشرية مخلصة صادقة مقتدرة[3]،

والكتاب الذي وصف فيه سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى للمسلمين﴾[4].

(1) تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية -بيروت، ط2 سنة 1988، ج2 ص235.
(2) البداية والنهاية، لابن كثير ن دار الريان للتراث -القاهرة-، ط1 1988، ج6، ص314.
(3) النبي المربي د. أحمد رجب الأسمر، دار الفرقان -الأردن، ط: 1 1422 هـ-2001 م، ص73
(4) سورة النحل الآية 89.

والسنة النبوية التي قال فيها النبي الكريم -من طريق ابن عباس-: «إني تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا بعدي أبدا: كتاب الله وسنة نبيه»[1]، فهما لزاخران بهذه القواعد والأسس التربوية النافعة الأصيلة التي وضعها النبي صلى الله عليه وسلم، الخادمة للإنسانية بحيث تهدف إلى ذلك النمو الشامل المستمر للفرد، وصولا إلى جعله صالحا لنفسه مصلحا لغيره، ولنا الأسوة الحسنة في الأجيال التي عاصرت الجيل الأول ومن جاء بعد التابعين...

الفرع الثاني: برنامج الإعداد

إن الهدف الأسمى من الرسالة المحمدية هي تحقيق السعادة للإنسان في الدنيا والآخرة، بأن أرسل إليه خاتم الرسل حريص عليهم وبالمؤمنين رءوف رحيم، بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا.

والكتاب المبين جاء مبينا ومحددا الأسس التي قام عليها منهج تحقيق مسار هدي النبي المختار عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، فتناولها في عدة مواضع، منها قول سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأمِيينَ رَسُولا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آياتهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[2].

إن معنى هذه الآيات الموجزة الباهرة لتدل بالشكل الناصع أن برامج الإعداد يكون لأولئك الذين يبلغون هدى الله في مسعاهم، وهذه الأسس تتشكل من العناصر الآتية كما حددها القرءان الكريم[3]:

أ. عنصر تلاوة الآيات:

ومصدر التلاوة مشتق من فعل: تلا، يتلو والتي تفيد: التبيين والاتباع[4]، والمقصود بالآيات هنا هي: آيات الخلق الباهرة الدالة على العظمة والإحاطة في هذا الكون البهيج بجميع مكوناته،

(1)المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية -بيروت -لبنان، كتاب العلم، ج1 ص171.

(2) سورة الجمعة الآية 2.

(3) مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها، ماجد عرسان الكيلاني، دار عالم الكتاب بيروت-لبنان، ط: 1، سنة الطبع 1416هـ-1995م، ص83. بتصرف.

(4) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين–بيروت، ط: 4 1407هـ - 1987م، ج6 ص2289. /تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ج37ص249.

فهي إذن توحي إلى أمرين أساسين: الاستيعاب ثم التنزيل العملي، فأما استيعاب الأشياء التي تحيط بهذا المخلوق في كنف هذ الكوكب العظيم استيعابا تاما يكون بواسطة هذا النبي المربي الأمي إلى أمة العرب، تاليا عليهم مبينا وموضحا لهم طريق الهدى، فكان بهذا خير دليل موصل إلى الصلاح والفلاح للبشرية باتباعهم هذ المنهج المرسوم من لدن خير البشر عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم واعتباره كأسلوب حياة بشرية واقعية تنزيلا وتطبيقا.

واتباع الآيات وما تدل عليه من ظواهر الغيب، واجتماع بشري متفاعل مع هذه القوانين الإلهية للكون، اتباعا منهجيا سليما لا شك أنه سيؤدي إلى إيقاظ العقول وتنبيهها تبديلا وتغييرا بعد غفلتها، واستنفار القلوب للتوجه إلى رب القلوب متضرعا خاشعا راجيا لقاء ربه، واستجاشة الحواس للنظر والتبصر في ملكوت الله المدركة لحقيقة الأشياء، الهادفة إلى الاستيعاب التام لهذه الكينونة البنيوية التي تحتويها كل آية في هذه الأنفس والآفاق الذي لا بداية له ولا نهاية. يقول المولى في كتابه العزيز: ﴿سَنُرِيهِمْ آياتنَا فِي الافَاقِ وَفِي أنفسهم حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أولمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[1].

ب. عنصر التزكية:

يراد بهذا المصطلح في اللغة: الإصلاح والتطهير والتنمية، يقال: يزكي من يشاء: أي يصلح، وتزكيهم بها أي: تطهرهم، وزكاة المال: تطهيره وتثميره وإنماؤه. والزكاة هي الطهارة والنمو والبركة[2].

وفي سياق مجال التربية وتعديل السلوك المرتبط بين العبد وربه: انتزاع ما هو غير مرغوب فيه وتعزيز ما هو مرغوب به[3]، وحيث إن القرءان الكريم أثناء حديثه عن باب تزكية النفوس وتهذيبها يقرنها بوظيفة الارتقاء بالفرد معرفة وتعلما وتعليما، ويجعلها له ضابطا ومسهلا لعملية التعليم، لأن الفقه بآيات الله تعالى واستثمارها بالأخذ والأسباب لا يعني بالذات الاستقامة على سبيل الهدى، فكم من عالم أصبح قمة في علم من العلوم، لكن بئس لهذا العلم الذي لم ينتقل به من سبيل الضلال إلى سبيل الهدى والنور المبين، ولا

(1) سورة فصلت، الآية 53
(2) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر -بيروت- 1388هـ-1968م، ج14ص 358.
(3) تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، د. مجد عرسان الكيلاني، دار ابن كثير دمشق-بيروت-، ط: 2 1405هـ-1985م، ص41.

شك أن هذا العلم حاج عليه في ذلك اليوم الذي لا ينفع فيه لا مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ولذلكم فعلم السلوك وتزكية النفوس يهدفان إلى إصلاح القلوب وتنقيتها من الأرذال والأوساخ لتصبح تربة خصبة نافعة صالحة نقية صافية، كما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾[1]، وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[2]، فالتزكية تأخذ بناصية صاحبها إلى الصلاح والفلاح وهذا ما عمل عليه النبي المجتبى، فأزاح عن النفوس البشرية كل ما علق بها من موروثات فكرية قبل الرسالة المحمدية، وربطها بمفاهيم الرسالة ومعتقداتها وتصوراتها وقيمها وأخلاقيتها وسلوكياتها، وإقامة هذه التزكية على أساس تفاعلي مع فقه الآيات شريطة اتباعها، فيصبح الفرد آنذاك ملتزما سبيل الهدى نابعا من أعماق قلبه باقتناع عقلاني ووجداني سلوكي، متبعا توجهات الرسالة عن إيمان حقيقي عميق لا يشوبه أي خلل فكري أو سلوكي أو نحوه من بقايا موروثات الجاهلية قبل الإسلام [3].

ج. عنصر تعليم الكتاب:

إن برنامج الإعداد الفكري وتقديم المعارف الإسلامية تصورا واستيعابا وتنزيلا لحري بالفرد للخروج من تلك النزعات والقيود التي يمكن أن تعيق له تلك التعاليم والمبادئ والتشريعات المستوحاة من المصدر الأول من مصادر التشريع الإسلامي والسنة النبوية فهما كفيلان بالإنسان للانتقال من سبيل الغواية إلى سبيل الرشاد،

فتحقيق الالتزام لدى الفرد متوقف على تعليمه الكتاب المتضمن لكل مسارات الهدي مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا القرءان يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[4]، فالقوامة أفادت على أنه أقوم في جميع المجالات. فهو يحث الإنسان على العلم بالعمل وإعمال العقل الذي أكرمه به وفق منهج سوي سالكا وداعيا إلى ما يحبه الله ويرضاه منفذا قوله سبحانه: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[5].

(1) سورة الأعلى الآية 14.
(2) سورة الشمس الآية 10.
(3) النبي المربي د. أحمد رجب الأسمر، دار الفرقان -الأردن، ط: 1 1422 هـ-2001 م، ص76 بتصرف.
(4) سورة الاسراء الآية 9.
(5) سورة الحشر الآية 7.

فالكتاب هو أساس التشريع يشرع للإنسان-الذي آمن من خلال فقه الآيات واتباعها وزكى نفسه من أدران الجهل والجاهلية -المباح والمحظور في السعي الإنساني: قولا وعملا وخلقا وسلوكا، بحيث يلتزم الإنسان سبيل الهدي ويستمر عليه بمعرفة الأوامر واتباعها والنواهي واجتنابها، والحلال والتزامه والحرام والنأي عنه وذلك يعمر الحياة وفق هدي الله[1].

د. عنصر تعليم الحكمة:

فالمتتبع للألفاظ القرءانية والأحاديث النبوية يجد أن مصطلح «الحكمة» استعملت في سياقات متعددة، وأفادت معان مختلفة، نظرا للوظيفة الدلالية التي تلائم حاجيات الفرد أثناء الممارسة المجتمعة.

والحكمة كما يقول اللغويون هي: «معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم»، و«وأَحْكَمْتُ الشَّيْءَ فاسْتَحْكَمَ: صَارَ مُحْكَماً»، و«المحكم الذي لا اختلاف فيه ولا اضطراب»[2]، فهي بهذا أفادت النظر الدقيق في سنن الكون ومجرياته الهادفة إلى تحقيق الإتقان في القول والعمل، وترسيخ مبدإ الصلاح والفلاح، المؤسس على الحق والعدل بين مكونات شرائح المجتمع، الملتزم بآداب التعامل بالأخلاق الفاضلة وحسن تصريف الأمور ووضعها في المكان المناسب لها دون زيادة أو نقصان. وبعيدا عن الهوى والزيغ والضلال الهالك لجميع الأمم في مشارق الأرض ومغاربها، وهذا ما قرره الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب، حيث قال رحمه الله: الحكمة هي اسم لكل عمل حسن وعمل صالح وهي بالعلم العملي اخص منه بالعلم النظري وفي العمل أكثر استعمالا من العلم، ويقال أحكم العمل إحكاما إذا أتقنه وحكم بكذا حكما. والحكمة من الله تعالى خلق ما فيه منفعة العباد ومصلحتهم في الحال وفي المآل، ومن العباد أيضا كذلك[3].

فبهذا البعد المقاصدي التربوي الذي حرص عليه النبي صلى الله عليه وسلم لإخوانه وللبشرية جمعاء لا يخلوا إلا أن ينشئ جيلا بعد جيل من المسلمين يربطهم ذاك الترابط الحقيقي المبني على العلم والمعرفة ذات الطابع النضجي العقلاني الغير المخالف لمصادر

(1) النبي المربي د. أحمد رجب الأسمر، دار الفرقان -الأردن، ط: 1 1422 هـ-2001 م، ص76.
(2) لسان العرب، ابن منظور دار صادر – بيروت ط: الثالثة – 1414هـ ج12ص140-143
(3) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار النشر القاهرة، ط: 1 1308 ج2ص 283.

التشريع الهادف إلى تحقيق الخير للمجتمع ولمن حوله في الحال والمآل يقول الله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أوتي خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إلا أولو الأَلْبَابِ﴾ [1].

ولهذا حبب النبي صلى الله عليه وسلم إخوانه على طلب الحكمة والالتزام بها أقوالا وأفعالا، فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « الكلمة الحِكْمَةُ ضالَّةُ المؤمن، فحيثُ وجدها فهو أَحَقُّ بها»[2].

---

(1) سورة البقرة الآية269.

(2) السنن، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، دار ابن حزم بيروت-لبنان، ط: 1 1422هـ-2002م، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، رقم الحديث: 2692، ص758.

المبحث الرابع: معالم التربية النبوية

إن استكشاف معالم التربية النبوية متوقف على النظرة الكلية للمنهج التربوي النبوي، فهي معالم عامة كلية متناسقة مع كليات الشريعة لأنه أحيانا قد لا ترد هده السمات منصوصا عليها بذاتها بشكل واضح للعيان، وإنما تحتاج إلى أدوات علمية استقرائية واسعة للنصوص المرتبطة بها لاستنباطها وإبراز حقيقتها -تصورا وفهما واستيعابا وتنزيلا-، لإظهار الدور الحقيقي الذي يقوم به هذا المنهج التربوي في شتى المجالات.

وعليه سنجعل لهذه المعالم مطالب ندرج فيها بعض الخصائص التي اتسمت بها التربية النبوية.

المطلب الأول: التربية المتكاملة

لقد عرفت البشرية منذ زمن بعيد، تحريف العديد من الديانات السماوية المحرفة من طرف أتباعها، والفلسفات المتعددة الناقصة، وكلها قدمت تصورا للإنسان بحيث ركزت في معالجة وإصلاح جانب من جوانبه على حسب عقيدتها ومنطلقاتها الفكرية، وكلها سعت إلى إسعاده إما في الدنيا أو في الآخرة، لكن هذا التصور في حد ذاته لم يتسم بالشمولية وهذا جلي وواضح لدى كل مهتم بهذا الجانب، الذي يؤمن بمبدإ العقلانية الصادقة في القول والعمل، فالمدراس التربوية الغربية التي كانت نتاجا بطبيعة الحال لهذه التصورات الفلسفية بجميع توجهاتها فاختزلت الإنسان في عالم الماديات، وللأسف الشديد نجد بعض البلدان في العالم الإسلامي قد تأثرت بمثل هذه الفلسفات والرؤية الغربية التي تقزم وظيفة تصورها للإنسان حتى وإن كانت تظن نفسها أنها تعمل كل ما بوسعها لإعطاء صورة نموذجية متكاملة للإنسان وأنى لها ذلك.

فلنعد لهذا المنهج التربوي النبوي لنبرهن على أنه هو وحده الذي أعطى تصورا متكاملا للإنسان علم من علم وجهل من جهل هذا الأمر، حيث راعى جميع جوانب الإنسان الروحية والحركية والمعرفية، وسعى إلى التوازن بين هذه الجوانب لإنشاء جيل متكامل متوازن.

فمن رجع إلى سيرته العطرة صلى الله عليه وسلم سيجد شخصيته صلى الله عليه وسلم، شخصية متكاملة ومتوازنة جامعة مانعة لمقومات المنهج التربوي، فهو صلى الله عليه وسلم القدوة في باب العبادات والمعاملات، وهو القدوة في مجال الأخلاق الرفيعة وهلم جرا.

فإذا كان التكامل والتوازن سنة من سنن الله تعالى في خلقه، فالكائن البشري الموجود في هذا الكون العظيم الذي سخره له فينبغي أن يعلم أن الكون هو بنفسه قائم على هذه السنة الإلهية التي جعلها الله لجميع مخلوقاته.

فالإنسان قائم على منظومة متكاملة من الوظائف يكمل بعضها بعضا ويؤثر بعضها في بعض، ولا يمكن للإنسان أن تستقر حياته بدون هذه الوظائف المختلفة كل في مجالها الموكل لها، وإن انعكس ذلك سلبا عليه وإلا أدى إلى توقف الوظيفة الكبرى وهي الحياة الإنسانية الوجودية، وبإمكاننا أن نعرف ما يترتب على خلل في عضو من أعضاء هذه الوظيفة التركيبية المتكاملة المتوازنة، ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يهتم اهتماما كبيرا بكافة مجالات الشخصية الإنسانية ومكوناتها.

ففي مجال الحس حركي على سيبل المثال: حث صلى الله عليه وسلم على الاهتمام بالجسد وبنائه بناء سليما لكي يؤدي وظيفته التي أمره ربه بها على أحسن وجه، واستغلاله في كل ما يحبه ويرضاه، ففي الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه، عن عبد الله بن عمرو رضى الله تعالى قال: دَخَلَ عَلَيَّ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَقالَ: «ألَمْ أُخْبَرْ أنَّكَ تَقُومُ اللَّيْلَ وتَصُومُ النَّهَارَ قُلتُ: بَلَى، قالَ: فلا تَفْعَلْ، قُمْ ونَمْ، وصُمْ وأَفْطِرْ، فإنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وإنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وإنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وإنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا»(1).

وللإمام محمد قطب رحمه الله كلام نفيس يزكي ما قلناه حيث يقول: طريقة الإسلام في التربية هي معالجة الكائن البشري كله معالجة شاملة لا تترك منه شيئا ولا تغفل عن شيء: جسمه وعقله وروحه حياته المادية والمعنوية، وكل نشاطه في الأرض(2).

---

(1) الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، باب: حق الضيف، رقم الحديث: 6134 ص1532.
(2) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، دار الشروق -القاهرة ط 14 1414هـ1993م، ج 1 ص18.

فهو نظام متلازم غير متجزئ يكمل بعضه بعضا، فقضية القلق النفسي-مثلا-يحدث اختلالا في صحة الفرد العامة، ويتسبب في اختلال نظامه الهضمي ودورته الدموية ونومه، وإذا ما طال القلق والخوف في اختلال نظامه لمدة طويلة من الزمن فإن من شأنهما أن يتسببا في بطء عملية النمو الجسمي[1].

وبما أن المنهج التربوي منهج يستم بالواقعية فهو جاء لإصلاح النفوس البشرية وتوجيهها توجيها سليما، يحفظ له مصالحه في الدنيا ويوصله إلى الآخرة وهذا ما يتمناه الفرد في هذه الحياة، ومن ثم كان هذا المنهج النبوي متوافقا مع طبائعها وخصائصها عكس ما تصورته الديانات الأخرى.

المطلب الثاني: الاصطفاء والاختيار

إذا كان المولى سبحانه ذكر في كتابه العزيز من قبيل التشويق والتعزيز والتنبيه عندما قال: ﴿رُسُلا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[2]، وقال: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اِللَّه لا تُحْصُوهَا ﴾[3].

إن أفضل نعمة أكرم الله بها الإنسانية في مشارق الأرض ومغاربها، نعمة الرسالة الخاتمة -علي يدي خير العباد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام الذي أرسله الله رحمة للعلمين بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، فدعا وربى الصغير والكبير الذكر والأنثى، ملبيا ومستوعبا حاجيات البشر بمختلف أنماطهم الوجودية، فتعامل معهم على حسب مؤهلاتهم وقدراتهم البشرية ضمن مجتمع عادل يدعوا إلى صلاح الفرد ظاهرا وباطنا في بقاع الأرض، بعدما كان يسيطر عليها الظلم والجور والطغيان.

وكما أشرنا سابقا فمن الأسس التي أقام عليها النبي بناء المجتمع الجديد في المدينة المنورة، والدعوة إلى الإسلام على حسب ما تقضيه الحاجة آنذاك وغير ذلك، وجدنا أنه نجح بتوفيق من الله وآمن به الصغير والكبير الذكر والأنثى... فبهذا كانت بداية تأسيسية مجتمعية انبثق

(1) الأسس النفسية والتربوية لرعاية الشباب، عمر التومي الشيباني، دار العربية للكتاب -تونس-ط: 3 1987، ص47.
(2) سورة النساء الآية 165.
(3) سورة إبراهيم الآية 34.

عنها جيل لا مثيل له ولن يتكرر، فرباهم على منهج القرءان تصورا واعتقادا وإيمانا وتوفيقا زيادة على ذلك عنايته الخاصة للبعض لاشتمال بعضهم على بعض السمات دون غيرهم من مهارات وقدرات بشرية، فسنة التفضيل بين الخلق من قبيل التسخير والتكميل فيما بينهم، ولا يتعبر تنقيصا من قدر الإنسان مهما كان نوعه، بذلك أصبحوا النموذج الأمثل والقدوة الحسنة لمن أتى بعدهم، فالعصر النبوي كله بركة ومنة وفضل على الأمة ومنه استمدت الشخصية الرزينة المتوازنة المتكاملة في القول والعمل.

ولعل السر في ذلك يكمن في تربيته الحكيمة البليغة والحنكة الرصينة في الرعاية الاصطفائية لبعض صحابته الكرام الذين سيكونون رمزا للقوة والمنعة والعزة والصدارة للإسلام والمسلمين، وكتب التاريخ والسنة والسير والمغازي زاخرة بالنماذج فعلى سبيل المثال لا الحصر:

العناية الخاصة للخلفاء الراشدين:

جاء في الحديث الذي رواه البخاري، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إنِّي لَوَاقِفٌ في قَوْمٍ، فَدَعَوُا اللَّهَ لِعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، وقدْ وُضِعَ علَى سَرِيرِهِ، إذا رَجُلٌ مِن خَلْفِي قدْ وضَعَ مِرْفَقَهُ علَى مَنْكِبِي، يقولُ: رَحِمَكَ اللَّهُ، إنْ كُنْتُ لَأَرْجُو أنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مع صاحِبَيْكَ، لأنِّي كَثِيرًا ما كُنْتُ أسْمَعُ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقولُ: كُنْتُ وأبو بَكْرٍ وعُمَرُ، وفَعَلْتُ وأبو بَكْرٍ وعُمَرُ، وانْطَلَقْتُ وأبو بَكْرٍ وعُمَرُ فإنْ كُنْتُ لَأَرْجُو أنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ معهُمَا، فَالْتَفَتُّ فإذا هو عَلِيُّ بنُ أبي طَالِبٍ[1].

وروى الإمام مسلم كذلك، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، كانَ علَى حِرَاءٍ هو وَأَبو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، فَتَحَرَّكَتِ الصَّخْرَةُ، فَقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: «اهْدَأْ فَما عَلَيْكَ إلا نَبِيٌّ، أو صِدِّيقٌ، أو شَهِيدٌ»[2].

(1) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب فضائل الصحابة، رقم الحديث 3677 ص904.

(2) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ، ج 4، رقم الحديث 2417، ص 1880.

من خلال هذه النصوص وغيرها نستشف العناية الخاصة للنبي صلى الله عليه وسلم لبعص أصحابه دون عامة الناس، المبنية على التخفيف والتيسير والرفق والتحبيب والتعزيز والتشويق للتنافس فيما بينهم، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وليجتهد المجتهدون للبلوغ إلى المقصود المحمود، ومن تأمل تاريخ صدر الإسلام وما أعقبه صلى الله عليه وسلم من فتوحات ونشر للإسلام أدرك أثر هذا الاختيار والعناية النبوية التربوية العادلة المتوازنة كل على حسب قدره وحاله.

وتعاملنا مع هذه السمة النبوية ينبغي أن تفهم وتطبق على صورتها المتكاملة لا التجزيئية وإلا لن تبلغ المراد لصاحبها في مجال التربية.

المطلب الثالث: طول النفس والصبر

خلق الله الإنسان من سلاسة من طين ثم جعله نطفة في قرار مكين، فخلق النطفة من علقة، فخلق العلقة مضغة، فخلق المضغة عظاما، فكسى العظام لحما ثم أنشأه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين، فبهذا التركيب البديعي وبهذا التصور الكلي الوجودي لهذا الكائن البشري، وإن دل هذا فإنما يدل على وحدانية الخالق وعلى القدرة المطلقة للصانع البديع.

والإنسان بطبعه ضعيف لا يستقر على حالات واحدة مجبول على التقلبات المتلازمة به بطبعه كائن بشري له نوازع بشرية غير مكتملة وتحتاج إلى تصحيح مسارها بشكل مستمر وينبغي التكيف معها والانتصار عليها والتي تحيط به من كل جانب في كل وقت وحين.

وبناء على هذا التصور الفلسفي التربوي الإسلامي لمنظومة الحياة الإنسانية نحو الاستمرار في التغيير والترشيد السليم له، فهي سنة الله في خلقه، لكنه متوقف على سنة التدرج ويحتاج فقط إلى صبر وتأن ونفس طويل للسير والانتقال به نحو البناء والتغيير السليم، ولنا القدوة الحسنة في المربي الأعظم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، كان إماما في الصبر الجليل في سيرته العملية صلى الله عليه وسلم، وللتوضيح أكثر نقف شيئا ما مع صبره وطول نفسه لنستقي منها العبر والعظات، وخير ما نقف عندنه تلك المدة الزمنة الطويلة التي مكث فيها النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة يدعوا فيها أهل مكة للدخول إلى الإسلام، فاعتنى

بأولئك الذين آمنوا به وعزروه ونصروه رغم كونه لم يسلم من أذى قريش له بسبب دعوته إلى اتباع الحق فربى وتحمل صلى الله وصبر واحتسب ذلك الأجر والثواب لله وحده.

روى الشيخان في صحيحهما، عن عبد الله بن رضى الله عنهما قال: «بُعِثَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لأَرْبَعِينَ سَنَةً، فَمَكُثَ بمَكَّةَ ثَلاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوحَى إليه، ثُمَّ أمر بالهجرة فَهاجَرَ عَشْرَ سِنِينَ، وماتَ وهو ابنُ ثَلاثٍ وسِتِّينَ»[1].

نعم دعى إلى الإسلام لفترة طويلة في العهد المكي، وأوذي صلى الله عليه وسلم بشتى أنواع الوسائل المباشرة وغير المباشرة وكان لا يخاف في الله لومة لائم، فأسلم من أسلم من إخوانه وحمد الله وشكر، وبعد فترة من الزمن غير المكان لحكمة إلهية يريدها الله، ولعل السبب والله تعالى هي عدم وجود تربة خصبة وطرية صالحة للنبات وقابلة للزرع وإخراج التمر المرجوة. فأمر بالهجرة وهاجر صلى الله عليه وسلم إلا أن هذه المرحلة لم تكن عندنه محطة نهاية الصبر وطول النفس، بل بقي صلى الله عليه متسما بالاستمرارية مثل ما كان عليه قبل في مكة، وهذا جلي أثره عليه صلى الله عليه وسلم، جاء في الحديث الذي رواه عبد الله بن شفيق قال: قلت لعائشة رضي الله عنها: هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي وهو قاعد؟ قالت -أمنا عائشة: نعم، بعدما حطمه الناس[2].

وقف الإمام النووي عند هذه الجملة الأخيرة فقال رحمه الله: ((قولها: (قعد بعد ما حطمه الناس) قال الراوي في تفسيره: يقال: حطم فلانا أهله: إذا كبر فيهم، كانه لما حمله من أمورهم وأثقالهم والاعتناء بمصالحهم، صيروه شيخا محطوما، والحطم: الشيء اليابس))[3].

---

(1) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب مناقب الأنصار، رقم الحديث 3902 ص955. / صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ، ج 4، كتاب فضائل الصحابة، رقم الحديث 2417، ص2351.

(2) المصدر نفسه: رقم الحديث 732 ص 506.

(3) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف النووي دار مؤسسة قرطبة، ط 2 1414هـ-1994م، ج 6 كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ص19

وللإشارة فإن صبره هذا صلى الله عليه وسلم لم يكن مقتصرا على ما كان بينه وبين أعداء الإسلام بل نجده صلوات ربي وسلامه عليه، يجسده مع الجميع ويتعامل به مع الصحابة الكرام أحيانا إذا صدرت منهم بعض المواقف بدون قصد وتسرع في الحكم

المطلب الرابع: التدرج

إن مسألة تزكية النفوس لدي الفرد، وإصلاحه وحصوله على تربية مكتملة بجميع مكوناتها، وامتلاكه المعرفة الموسعة أو شبه الموسعة في فترة وجيزة يعتبر أمرا عسيرا وفي الوقت نفسه إجحافا في حق الإنسانية بشكل عام، وبالأخص لدى الناشئة نظرا لأحوالهم الخاصة التي لا تقبل الاستيعاب الكامل لكل شيء في آن واحد، بل تحتاج إلى سلم التسلسل والتدرج والانتقال من الأسفل وصولا إلى القمة، فبذلك تحتاج للوقت والاستمرارية.

إذن فالتربية متوقف حصولها بشكل كامل على مدى تكونه وتوجيهه، والمواكبة المستمرة طويلة الأمد، وتكييفها مع تغير الأحوال والأفهام فحصول الاستقرار المعرفي الموسوعي والاتصاف بالخلق الأحسن في وقت وجيز لن يتحقق لأن سنة الحياة مبينة على مبدإ التدرج والمرونة في الانتقال: تربية وتعليما وإصلاحا في جميع مجال الحياة.

وللتربية النبوية وجود حقيقي ومجسد بشكل منطقي وعملي مبرزة فيه أهمية السير على نحو هذا الاتجاه، متبعا فيه طريق الصواب، مظهرة الآثار المترتبة عنه في النهاية فتناولت هذه القضية وفق مستويات:

1. مستوى التدرج في التشريع الإسلامي:

فالتشريع الإسلامي الحنيف قائم أساسا على سنة التدرج، ولعل الهدف من ذلك ليبرز مدى أهمية التدرج في مناحي الحياة، فبسنة التدرج يتحقق المطلوب، روى الإمام البخاري في صحيحه عن يوسف بن ماهَك قال: إنِّي عِنْدَ عَائِشَةَ أُمِّ المؤمنينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، إذْ جَاءَهَا عِرَاقِيٌّ، فَقالَ: أي الكَفَنِ خَيْرٌ؟ قالَتْ: ويْحَكَ، وما يَضُرُّكَ؟ قالَ: يا أُمَّ المؤمنينَ، أرِينِي مُصْحَفَكِ؟ قالَتْ: لِمَ؟ قالَ: لَعَلِّي أولفُ القُرْآنَ عليه، فإنَّه يُقْرَأُ غيرَ مُؤَلَّفٍ، قالَتْ: وما يَضُرُّكَ أيهُ قَرَأْتَ قَبْلُ؟ إنما نَزَلَ أول ما نَزَلَ منه سُورَةٌ مِنَ المُفَصَّلِ، فِيهَا ذِكْرُ الجَنَّةِ والنَّارِ، حتَّى إذا ثَابَ النَّاسُ إلى الإسلام نَزَلَ الحَلَالُ والحَرَامُ، ولو نَزَلَ أول شيءٍ: لا تَشْرَبُوا الخَمْرَ، لَقالوا: لا نَدَعُ الخَمْرَ

أبدا، ولو نَزَلَ: لا تَزْنُوا، لَقالوا: لا نَدَعُ الزِّنَا أبدا، لقَدْ نَزَلَ بمَكَّةَ على مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وإنِّي لَجَارِيَةٌ ألْعَبُ: {بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ والسَّاعَةُ أدْهَى وأمر} وما نَزَلَتْ سُورَةُ البَقَرَةِ والنِّسَاءِ إلا وأَنَا عِنْدَهُ، قالَ: فأخرجتْ له المُصْحَفَ، فأمْلَتْ عليه أي السُّوَرِ[1].

وكذلك نجد المشرع راعى في جانب المعاملات المالية سنة التدرج في تحريم التعامل بالربا بين المسلمين فلم يحرمها مباشرة، وإنما سلك مسلك التدرج، فعن سعيد بن المسيب-سيد التابعين في زمانه- قال: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: كان آخر ما نزل من القرءان آية الربا، وإن نبي الله صلى الله عليه وسلم قبض قبل أن يفسرها، فدعوا الربا والريبة[2].

فالشرع الحنيف في بداية أمره راعى هذه السنة الحميدة وسار على منوالها في شتى مناحي الحياة، فالمشرع يعلم علم اليقين أن الدين لم يكتمل، وأن الإنسان ما زال لم تستقر قدماه بالشكل الصحيح على ما ينبغي أن يكون عليه نظرا لما كانوا عليه قبل بعثة خير العباد عليه أفضل الصلاة وأزكي السلام، يعني هذا قبل أن يستقر الإسلام في النفوس بشكل عام، ويتغلغل في العقول وتنقاد القلوب إلى رب القلوب الذي لا تخفى عليه خافية، عاملهم بسنة التدرج، لكن بعد أن استقر الإسلام في النفوس واكتمل الدين الحنيف لم يعد هناك إمكان بالعمل وفق سنة التدرج في الإباحة والتحريم بالنسبة للأحكام الشرعية.

إلا أن هذه الخاصية في مجال التربية والتقويم والإصلاح ما زالت دلالتها قائمة وموجودة نظرا لطبيعة البشر وحاجاته، الذي يحتاج دائما إلى التنبيه والتوجيه والإرشاد بالتي هي أحسن لإصلاح ما يمكن إصلاحه وما يمكن تعديله عند وجود الأسقام والأمراض في النفوس البشرية.

قال جويرية: حدثنا نافع، قال: قال عبد الملك بن عمر لأبيه: «ما يمنعك ان تمضي للذي تريد؟ والذي نفسي بيده ما ابالي لو غلت بي وبك القدور، فقال: الحمد لله الذي جعل لي من ذريتي من يعينني على هذا الأمر، يابني لو تأهب الناس بالذي تقول لم آمن أن تنكروها، فإذا

(1) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب فضائل القرءان، رقم الحديث 4993، ص1277.

(2) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط -عادل مرشد، دار مؤسسة الرسالة، ج1، رقم الحديث: 246 ص361.

أنكروها لم أجد بدا من السيف، ولا خير في خير لا يجئ إلا بالسيف، إني أروض الناس رياضة الصعب، فإن يطل بي عمر، فإني أرجو أن ينفذ الله مشيئتي، وأن تغدو علي منية فقد علم الله الذي أريد»[1].

فالنفوس البشرية بطبعها دائمة غير مستقرة وفي تصاعد وهبوط نظرا لاتباعها مقومات الإيمان ونقصها أثناء البعد عن الطاعات والقربات، فإيمان العبد يزيد وينقص على حسب ما يقوم به. فينبغي دائما تذكريها وتقويهما واستقامة اعوجاجها إن وجد وفق مبدإ التدرج وطيب الكلام وحسن الأقوال والأفعال.

2. التدرج في محتوى الدعوى والمدعوين ومراحل الدعوة:

ويأتي بعد مستوى التدرج مستوى آخر، يجسده الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم فقد كان صلى الله عليه وسلم يتعامل بمبدإ التدرج في محتوى الدعوى والمدعوين ومراحل الدعوة.

فمن التدرج في محتوى الدعوى تلك الوصية البليغة الموجزة للصحابي الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه على اليمن، فعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا رضي الله عنه عن اليمن قال: « إنَّكَ تَقْدَمُ علَى قَوْمٍ أهل كِتَابٍ ، فَلْيَكُنْ أول ما تَدْعُوهُمْ إليه عِبَادَةُ اللَّهِ، فإذا عَرَفُوا اللَّهَ، فأخْبِرْهُمْ أنَّ اللَّهَ قدْ فَرَضَ عليهم خَمْسَ صَلَوَاتٍ في يَومِهِمْ ولَيْلَتِهِمْ، فإذا فَعَلُوا، فأخْبِرْهُمْ أنَّ اللَّهَ فَرَضَ عليهم زَكَاةً مِن أمْوالهمْ وتُرَدُّ علَى فُقَرَائِهِمْ، فإذا أطَاعُوا بهَا، فَخُذْ منهمْ وتَوَقَّ كَرَائِمَ أمْوَالِ النَّاسِ»[2].

وفي تدرجه في ما يخص المدعوين، فبدأ صلى الله عليه وسلم بعشيرته الأقربين، ثم قومه ثم سائر عامة الناس، فبدأ صلى الله عليه وسلم من الأقرب إلى الأقرب إلى أن وصل إلى العامة البشرية. وذلك تدرج صلى الله عليه وسلك في مراحيل الدعوة، فبدأ سرا، ثم جهرا، ثم الدفاع عن الإسلام وجهاد في سبيل الله وفق ما تقتضيه الحاجة.

---

(1) تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي، ط 1 سنة 2003، ج 2 ص 1136.

(2) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب الزكاة، رقم الحديث: 1458ص355.

وللإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى كلام نفيس في هذا الصدد حيث يقول رحمه الله: فإذا حصل من يقوم بالدين من العلماء أو الأمراء أو مجموعهما كان بيانه لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم شيئا فشيئا بمنزلة بيان الرسول لما بعث به شيئا فشئيا، ومعلوم أن الرسول لا يبلغ إلا ما أمكن علمه والعمل به ولم تأت الشريعة جملة، كما يقال: إذا أردت أن تطاع فامر بما يستطاع، فكذلك المجدد لدينه والمحي لسنته لا يبلغ إلا ما أمكن علمه والعمل به كما أن الداخل في الإسلام لا يمكن حين دخوله أن يلقن جميع شرائعه ويؤمر بها كلها، وكذلك التائب من الذنوب والمتعلم والمستزيد لا يمكن في أول الأمر أن يؤمر بجميع الدين ويذكر له جميع العلم، فإنه لا يطيق ذلك وإذا لم يطقه لم يكن واجبا عليه في هذه الحال وإذا لم يكن واجبا لم يكن للعالم والأمير ان يوجبه جميعه ابتداء، بل يعفو عن الأمر والنهي بما لا يمكن علمه وعمله إلى وقت الإمكان(1).

3. مستوى التدرج في العقوبة:

وبعد هذا المستوى يأتي مستوى آخر من التدرج: ألا وهو التدرج في العقوبة: فبما أن التشريع الإسلامي في البداية سلك ملسك التدرج، وكذلك دعوته صلى الله عليه وسلم، في المقابل نجده صلى الله عليه وسلم أمر به كذلك في مجال العقوبة لمن ارتكب ما يوجب ذلك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله عليه وسلم: «إذا زَنَتِ الأمة فَتَبَيَّنَ زِناها فَلْيَجْلِدْها ولا يُثَرِّبْ، ثُمَّ إنْ زَنَتْ فَلْيَجْلِدْها، ولا يُثَرِّبْ، ثُمَّ إنْ زَنَتِ الثَّالِثَةَ، فَلْيَبِعْها ولو بحَبْلٍ مِن شَعَر»(2).

ونجد كذلك مبدأ عقوبة التدرج في كتابه العزيز بالنسبة للزوج حين يخاف نشوزها فقال سبحانه: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾(3).

---

(1) مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية، تحقيق: عبد الرحمان بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف-المدينة المنورة- سنة 1425هـ-2004، ج20ص59.

(2) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب البيوع، رقم الحديث 2152 ص516.

(3) سورة النساء الآية 34.

ومن كثرة حب النبي صلى الله عليه وسلم الخير والصلاح والفلاح لهذه الأمة المحمدية حث مربيها بشكل خاص بالتعامل وفق بمبدإ التدرج مع متلقيهم في مختلف مستوياتهم، ولذلك فالقارئ يتلمس هذه الإشارات والتوجيهات النبوية الموجهة بشكل مباشر إلى المدرسة الأولى للتربية والمتمثلة في الأسرة فهي النواة الأولى لصلاح الفرد وفساده، فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع»[1].

ويستشف من هذا الحديث الذي يوجه فيه النبي المربي هذا الخطاب إلى الآباء للسهر على أبنائهم وتربيتهم تربية صالحة متكاملة، فهي بدون شك تتبنى منهجية متسلسلة في كيفية التعامل مع الأبناء، فتحبيب الصلاة إليهم مثلا في مرحلة عمرية معينة مستعملا الأدوات والآليات المناسبة تراعى فيه أحوالهم نظرا لصغر سنهم، وبعده تأتي مرحلة العقوبة للتعزيز وإن كان الأصل في الصلاة أنها مازالت غير واجبة في حقهم إلا أنها من باب أهميتها وقيمتها يستحسن تعويد الناشئة على هذا الفرض الذي يعتبر من أهم عناصر الإسلام، يقول الإمام الخطيب البغدادي: ((لأن الأمر بالصلاة والضرب عليها إنما هو على وجه الرياضة لا على وجه الوجوب)). [2]

المطلب الخامس: الواقعية

جاء الدين الإسلامي بعقائده وشرائعه وآدابه لعامة الناس أجمعين، فأوحي به على خاتم النبيئين والمرسلين بواسطة جبريل عليه السلام، يأمرهم ويدعوهم للدخول فيه وقبوله موضحا لهم أحكامه وتعاليمه، فهو دين واقعي شامل جاء بالخير والصلاح والفوز بلقاء رب العباد يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

---

(1) السنن، أبو داوود سليمان بن الأشعت الأزدي السجستاني، تحقيق محمد عوامة، دار مؤسسة الريان -بيروت- ط 1 1419هـ-1998م، ج1، رقم الحديث 495 ص384.

(2) الكفاية في معرفة علم أصول الرواية، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت(الخطيب البغدادي)، تحقيق: أبو إسحاق إبراهيم بن مصطفى آل بحبح الدمياطي، دار الهدى، ط: 1 1423هـ-2003، ج2ص225

ولنا وقفة موجزة مع هذه السمة التي من خلالها نستشف أهم الصور الواقعية في التربية النبوية وإلا فالأصل أن السنة القولية والفعلية والتقريرية مملوءة بها أينما فتشت إلا وتلمستها، ويكفي في هذا ما يلي:

1. واقعية الشريعة الإسلامية:

فالواقعية تظهر جليا في منهج النبي صلى الله عليه وسلم في تربية أمته في واقعية الشريعة ابتداء، توجيها وتعاملا وتواصلا فقد جاء صلى الله عليه وسلم بالتيسير وتخفيف الثقل على أمته بشتى الوسائل النبوية في جميع المجالات التي تهتم بالإنسان، المبنية أساسا على الواقعية الوجودية العملية، قال تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأمي الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإنجِيلِ يَأمرهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهم عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالاغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمنوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أنزل مَعَهُ أولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

فهذا لا شك أنه منبثق عن واقع حقيقي ملموس، فوضع عنهم الإصر والأغلال التي كانت على من سبقهم من الأمم الماضية، فهو دائما حريص على المؤمنين رؤوف رحيم بهم، يحب لهم السعادة في الدارين، والفوز بالجنان.

2. المأسسة المشروعية لقبول توبة التائب:

لقد شرع الله التوبة الصادقة فقال: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أنفسهم لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنِيبُوا إِلى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ﴾[2]، وأمر بها الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، وحث عليها وبين أهميتها ومكانتها ومنزلة التائب عن الذنب الذي اقترفه، فربه كريم جواد عفو غفور رحيم، يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات ويعلم ما تفعلون، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «للَّهُ أشد فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إليه، مِن أحدكُمْ كانَ علَى رَاحِلَتِهِ بأرض فلاةٍ، فَانْفَلَتَتْ منه وعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فأيسَ منها، فأتى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ في ظِلِّهَا، قدْ أيسَ مِن رَاحِلَتِهِ، فَبيْنَا هو كَذلكَ

(1) سورة الأعراف الآية 157.
(2) سورة الزمر الآية 54.

إذا هو بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فأخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قالَ مِن شِدَّةِ الفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِن شِدَّةِ الفَرَحِ»[1].

ولم يكتف بذكر هذا فقط صلى الله عليه وسلم بل بين حتى حال الإنسان المقترف للذنب وتكراره مرارا، جاء في الحديث القدسي الذي رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه قال: «أذنبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي ذَنْبِي، فَقالَ تَبارَكَ وَتعالى: أذنبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أنَّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فأذنبَ، فَقالَ: أي رَبِّ اغْفِرْ لي ذَنْبِي، فَقالَ تَبَارَكَ وَتعالى: عَبْدِي أذنبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أنَّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فأذنبَ فَقالَ: أي رَبِّ اغْفِرْ لي ذَنْبِي، فَقالَ تَبارَكَ وَتعالى: أذنبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أنَّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بالذَّنْبِ، اعْمَلْ ما شِئْتَ فقَدْ غَفَرْتُ لَكَ، قالَ عبدُ الأعْلَى: لا أَدْرِي أَقالَ في الثَّالِثَةِ أو الرَّابِعَةِ: اعْمَلْ ما شِئْتَ»[2].

والمراد من ذكرنا لهذه الأحاديث السالفة الذكر أن الإنسان بطبعه ضعيف يخطئ ويرجع إلى الصواب، وبأن المشرع الحكيم وضع له الطريق الصحيح لدينه الحنيف الذي ينبغي اتباعه قبل فوات الأوان، فصلى الله عليه وسلم أتم وأكمل الدين على أحسن وجه ورضي له الإسلام دينا، ولم يترك لأمته أي عذر تقدمه يوم القيامة على أنها لم تجد من يوضح لها تعاليم الدين الإسلامي.

3. بنو آدم خطاء:

من صور الواقعية في التربية النبوية تقريره صلى الله عليه وسلم أن بني آدم خطاء مهما بلغ من العلم والزهد والورع، فلا يحجبه ذلك من الوقوع في الخطأ، وعلى كل المهم رحم الله من أحس بخطئه واستغفر الله وأناب إليه، فرحمة الله قريبة به فخير الخطائين التوابون، ولنا القدوة الحسنة في الجيل الأول فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول إله

(1) مسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج 4 كتاب التوبة، رقم الحديث 2747 ص2104.
(2) المصدر نفسه: رقم الحديث2758، ص 2112.

صلى الله عليه وسلم: ((والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم))[1].

لكن الأمر الذي ينبغي التنبيه عنه والإشارة له، أن لا تستغل تلك الزلات والهفوات التي صدرت من الصحابة المنصوصة في القرءان الكريم، فهم كسائر البشر يعتريهم ما يعتري البشر، حتى وإن بلغوا من الصلاح والفلاح، هذه سنة الله في خلقه، في بعض الحالات وقع لهم ما وقع فتاب الله عليهم، ونص في آيات عديدة فقال: ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأنصار الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾[2]. فمقام التأدب معهم في القول والعمل، ينبغي أن يكون حاضرا في كل وقت وحين والنبي صلى الله عليه وسلم تعامل مع أخطائهم بما يناسب الحال والمقام، وهو أعلم بحالهم لأنه صاحب المقام المحمود العالم بما يصلح لأمته.

وكذلك أن هذا التقرير من لدن خير الأنام هو من قبيل بيان طبيعة البشرية لا أقل ولا أكثر فهي إشارة على أنه يمكن للإنسان أن يقع منه الخطأ، فالأصل الوجودي له مشروط بالابتلاء ليبلوكم أيكم أحسن عملا، وهذا ما سار عليه صحابته الكرام الذي شربوا من حوض التربية النبوية إيمانا واعتقادا، فتواصوا بها وعملوا بها فنالوا ما نالوا من فضل السبق والأجر والثواب.

وفي مقابل ذلك هذا لا يعني أن الإنسان بشكل عام، أن هذه الحياة أبوابها مفتوحة له متى شاء دخلها ومتى شاء خرج منها بدون حسيب أو رقيب، ولا ضابط له يؤطره ويحتكم إليه، بل الاحتكام إلى تعاليم الإسلام الكلية واجب وفق القدرة والاستطاعة والموازنة ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها.

إذن فالتربية النبوية أو المنهج النبوي لا شك أنه مؤطر ومحصن بهذه القاعدة الكلية التي أبرزت التعامل الكلي المراعي للأحوال والظروف المتغيرة من وقت لحين لدى الأفراد في جميع المجالات: الدينية، والتعليمية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية.. مجسدا صلى

(1) مسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م،: ج4 رقم الحديث 2749، ص2106.
(2) سورة التوبة الآية 117.

الله عليه وسلم ذلك برزانة ومسؤولية وبصورة واقعية معتمدا دراسة تأصيلية حقيقية وواقعية، وتصورا دقيقا وشاملا لكل الحاجيات الإنسانية ما دامت الحياة البشرية مستمرة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

المطلب السادس: التربية الإيجابية والقيادية

إن المنهج النبوي يستم بالواقعية كما أشرنا آنفا أنه لم يكتفي بالتوجيه النظري والتأصيل العلمي فقط، بل جسد ذلك صلى الله عليه وسلم مع صحابته الكرام، فرباهم على منهج القرءان وزكاهم بأخلاق القرءان وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون قبل الإسلام وأصبحوا بذلك من الناس الشرفاء العظام الذين وقف لهم التاريخ وقفة إجلال واحترام وهذا لا ينكره إلا جاحد حاقد على الإسلام والمسلمين، واعتبروا خير مجتمع عرفته البشرية.

نعم لقد أسهمت التربية النبوية اسهاما فريدا من نوعه في إخراج جيل فاعل متواصل خادم للإسلام وتعاليمه قولا وعملا بكل ما أوتي من قوة ومن فصل الخطاب، تاركين بذلك أثره على تاريخ الأمة أجمع.

والمقصود بهذه الخاصية هي: تلك الممارسة التربوية التي تأخذ بيد المتلقي ليكون منتجا فاعلا مؤثرا في نفسه وفي غيره

ولها بعدين:

البعد الأول: يتعلق بعامة الأفراد الذي ينبغي تنشئتهم على الفاعلية وكل ما هو إيجابي، فينشنا الفرد آنذاك مؤمنا يستم بالإيجابية، مؤثرا في مجتمعه أيا كان مستوى هذا التأثير.

والبعد الثاني: يهتم بفئات النخب والخاصة، باصطفاء من يتسمون ببعض المواهب، وتخصيص الرعاية لهم والاهتمام بهم اهتماما خاصا، ليصبحوا بعد ذلك ذا شأن ومكانة يعول عليهم ويستفاد من ملكاتهم المعرفية وما يتوفرون عليها من أفكار وإبداعات وتوظيفها توظيفا يعود على الأمة بالخير، فبذلك يكونوا قد وضعوا في المكان المناسب الذي يليق بمكانتهم، فيكون بذلك النموذج الأمثل للقيادة الصالحة في اتخاد القرارات الحكيمة في أي مجال من المجالات القيادية بمختلف مجالاتها.

والمجال الإيجابي في التربية النبوية يمكن الحديث فيه وفق ثلاث مجالات محورية:

1. مجال متعلق بالهدف التربوي:

بحيث إن التربية الإيجابية على مستوى الأهداف تعطي أولوية البناء، وتنمية شخصية المتربي والارتقاء والسير بها نحو العلا، ويظهر جليا حينما نلقي نظرة كلية على مواقف التعليم والتوجيه النبوي التربوي المبثوث في السنة النبوية وسيرته العطرة، فعلى سبيل المثال اعتناؤه صلى الله عليه وسلم بالتربية الإيمانية في نفوس صحابته الكرام وتعليمهم القرءان الكريم، فهذا جندب بن عبد الله يقول رضي الله عنه: « كُنَّا معَ النَّبِيِّ-صلَّى اللَّهُ عليهِ وعلى إله وسلَّمَ - ونحنُ فتيانٌ حَزاوِرَةٌ، فتعلَّمنا الإيمان قبلَ أن نتعَلَّمَ القرآنَ ثمَّ تعلَّمنا القرآنَ فازدَدنا بِهِ إيمانا» (1).

2. المجال المتعلق بالواقعية العملية:

أن تحصيل التربية الإيجابية لدى الفرد في العملية التربوية مقرونة بتفعيل ما يتم رسمه من أهداف مشروعة وتنزيلها تنزيلا سليما على أرض الواقع.

فالمربي وعلاقته بالمتربي ينبغي أن تكون مبنية على هذا الأساس، أساس زرع الأمل في النفس واستشعارها بأنها خلقت لوظيفة أسمى في هذا الحياة بتكريم الله لها وصلاحها متوقف عليها، ومستقبلها بين يديها في صنع الشخصية المستقبلية التي يتمناها أي فرد من الأفراد صالحا ومصلحا.

والمنهج النبوي يوجد فيه الكثير والكثير من الصور الإيجابية التي تجسد جانب التنزيل الحقيقي للأهداف المسطرة ومنها:

أ. إسناده وتكليفه مهاما لبعض الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين في مختلف المجالات:

لقد كلف رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بمهام مختلقة بمختلف مستوياتهم دون النظر إلى عامل النسب والعشيرة، أو المكانة بل مزج بين هذا وذاك، وأناط إليهم

(1) سنن ابن ماجة، أبو عبد الله بن يزيد بن ماجة القزويني، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة، دار الحضارة للنشر والتوزيع-الرياض-، ط: 2 1436هـ-2015،، رقم الحديث 52ص16.

مسؤوليات عليا لتوظيف ما يتوفرون عليه من ملكات وقدرات عقلية وأفكار إيجابية قادة الأمة الإسلامية إلى الصدارة بين الشعوب، وأصبحت ذات سيادة في قراراتها، وهذا راجع لتوفر هؤلاء الصحابة على قدر عال من تحمل المسؤولية في الصغر والكبر، الرجل المناسب في المكان المناسب. ففي مجال العبادات على سبيل المثال: تولي عمرو بن سلمة مسؤولية إمامة الناس في الصلاة التي ليس شأنها شأن الوظائف الأخرى ولا يتولاها كل من هب ودب، فأسندت إليه وهو ما يزال في ريعان شبابه لإعطاء صورة نموذجية في إشراك الشباب في مسارات الحياة والاعتراف بقدراتهم البشرية الإيجابية وتسخيرها واستثمارها وعدم الاستهانة بها، فعن أيوبَ، عن أبي قِلابَةَ، عن عَمْرِو بنِ سَلَمَةَ، قالَ: قالَ لي أبو قِلابَةَ: ألا تَلْقاهُ فتَسْأله؟ قالَ فَلَقِيتُهُ فَسَأَلْتُهُ فقالَ: «كُنَّا بماءٍ مَمَرَّ النَّاسِ، وكانَ يَمُرُّ بنا الرُّكْبانُ فَنَسْألُهمْ: ما لِلنَّاسِ، ما لِلنَّاسِ؟ ما هذا الرَّجُلُ؟ فيَقولونَ: يَزْعُمُ أنَّ اللَّهَ أرسله، أوحَى إليه، أو: أوحَى اللَّهُ بكَذا، فَكُنْتُ أحْفَظُ ذلكَ الكَلامَ، وكَأنَّما يُقَرُّ في صَدْرِي، وكانَتِ العَرَبُ تَلَوَّمُ بإسْلامِهِمُ الفَتْحَ، فيَقولونَ: اتْرُكُوهُ وقَوْمَهُ، فإنَّه إنْ ظَهَرَ عليهم فَهو نَبِيٌّ صادِقٌ، فَلَمَّا كانَتْ وقْعَةُ أهل الفَتْحِ، بادَرَ كُلُّ قَوْمٍ بإسْلامِهِمْ، وبَدَرَ أبي قَوْمِي بإسْلامِهِمْ، فَلَمَّا قَدِمَ قالَ: جِئْتُكُمْ واللَّهِ مِن عِندِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ حَقًّا، فقالَ: صَلُّوا صَلاةَ كَذا في حِينِ كَذا، وصَلُّوا صَلاةَ كَذا في حِينِ كَذا، فإذا حَضَرَتِ الصَّلاةُ فَلْيُؤَذِّنْ أحدكُمْ، ولْيَؤُمَّكُمْ أكثركُمْ قُرْآنًا. فَنَظَرُوا فَلَمْ يَكُنْ أحد أكثر قُرْآنًا مِنِّي، لِما كُنْتُ أتَلَقَّى مِنَ الرُّكْبانِ، فَقَدَّمُونِي بيْنَ أيدِيهِمْ، وأنا ابنُ سِتٍّ أو سَبْعِ سِنِينَ، وكانَتْ عَلَيَّ بُرْدَةٌ، كُنْتُ إذا سَجَدْتُ تَقَلَّصَتْ عَنِّي، فَقالتِ امرأَةٌ مِنَ الحَيِّ: إلا تُغَطُّوا عَنَّا اسْتَ قارِئِكُمْ؟ فاشْتَرَوْا فَقَطَعُوا لي قَمِيصًا، فَما فَرِحْتُ بشيءٍ فَرَحِي بذلكَ القَمِيصِ»(1).

ب-اعتداله في معالجة أخطاء صحابته الكرام:

من طبيعة الإنسان المبادر إلى أي عمل كيف ما كان نوعه يمكن أن يعتريه القصور، والوقوع أحيانا في الخطأ، ومن الخطأ يتعلم الإنسان ولا يمكن اعتباره عقبة وحاجزا للاستمرار في العمل بل ينبغي اعتباره وسيلة للعلاج وتدارك ما وقع فيه وإتمام الطريق، وأن المربي الأعظم عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام كان يتعامل مع الخطإ على حسب ما يقتضيه

(1) صحيح البخاري،، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب المغازي، رقم الحديث 4302 ص1052.

المقام، فيراعي الاعتدال في تصحيح الخطأ الصادر من صاحبه ويعينه على تجاوزه بأوجز السبل.

ج. تشجيعه المبادرات:

كان صلى الله عليه وسلم المبادر الأول في كل شيء، وهو السند الأول لصحابته الكرام يشجعهم ويحفزهم على كل عمل صالح ينتفع به في دنياه ويدخل صاحبه الجنة. ذات يوم تأخر النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة، وصلى الصحابة رضوان عليهم، فلم يعب عليهم ما قاموا به، بل أثنى على عملهم هذا وزكى مبادرتهم، لأنه أصلا صلى الله عليه وسلم كله بركة وكله خير، وحاشا أن يقول ما لا يرضي ربه في كل وقت وحين، فعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، عن أبيه قال: «تَخَلَّفَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ وتَخَلَّفْتُ معهُ فَلَمَّا قَضَى حاجَتَهُ قالَ: أمعكَ ماءٌ؟ فأتَيْتُهُ بمِطْهَرَةٍ، فَغَسَلَ كَفَّيْهِ ووَجْهَهُ، ثُمَّ ذَهَبَ يَحْسِرُ عن ذِراعَيْهِ فَضاقَ كُمُّ الجُبَّةِ، فأخرج يَدَهُ مِن تَحْتِ الجُبَّةِ، وأَلْقَى الجُبَّةَ علَى مَنْكِبَيْهِ، وغَسَلَ ذِراعَيْهِ، ومَسَحَ بناصِيَتِهِ وعلَى العمامة وعلَى خُفَّيْهِ، ثُمَّ رَكِبَ ورَكِبْتُ فانْتَهَيْنا إلى القَوْمِ، وقدْ قامُوا في الصَّلاةِ، يُصَلِّي بهِمْ عبدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ وقدْ رَكَعَ بهِمْ رَكْعَةً، فَلَمَّا أحَسَّ بالنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ ذَهَبَ يَتَأخر، فأومَأَ إليه، فَصَلَّى بهِمْ، فَلَمَّا سَلَّمَ قامَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ وقُمْتُ، فَرَكَعْنا الرَّكْعَةَ الَّتي سَبَقَتْنا»[1].

د. التعليم الإيجابي:

كان صلى الله عليه سلم إيجابيا في تعاليمه لأصحابه، فمع أنه كان يحذرهم ويخوفهم أحيانا بعقوبة الآخرة، إلا أنه كثيرا ما كان يرغبهم بنعيم الآخرة وجزاء الدنيا لمن أطاع الله ورسوله، فهو صلى الله عليه وسلم يتعامل دائما على حسب ما يقتضيه المقام والحال، فكان حكيما في كل شيء. بدون زيادة أو نقصان.

هـ. التحفيز على العمل:

(1) مسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج 1 كتاب الطهارة رقم الحديث: 274ص230.

كان صلى الله عليه وسلم يحفز صحابته على كل عمل صالح ويحثهم عليه، وتدور أساليب التحفيز في: تشجيع العمل اليسير، وعدم احتقاره، وتنويع مجالات العمل، عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « تَبَسُّمُكَ في وجهِ أخيكَ لك صدقةٌ، وأمركَ بالمعروفِ ونَهْيُكَ عن المنكرِ صدقةٌ، وإرشادُك الرجلَ في أرض الضلالِ لك صدقةٌ، وبَصَرُكَ للرجلِ الرّدِيءِ البصرِ لك صدقةٌ، وإماطتُكَ الحَجَرَ والشَّوْكَ والعَظْمَ عن الطريقِ لك صدقةٌ، وإفراغُكَ من دَلْوِكَ في دَلْوِ أخيك لك صدقةٌ»[1].

وفي حديث آخر للبخاري، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه وأرضاه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ »: أرْبَعُونَ خَصْلَةً أعْلَاهُنَّ مَنِيحَةُ العَنْزِ، ما مِن عَامِلٍ يَعْمَلُ بخَصْلَةٍ منها رَجَاءَ ثَوَابِهَا، وتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا، إلا أدْخَلَهُ اللَّهُ بهَا الجَنَّةَ».

قالَ حَسَّانُ: فَعَدَدْنَا ما دُونَ مَنِيحَةِ العَنْزِ، مِن رَدِّ السَّلَامِ، وتَشْمِيتِ العَاطِسِ، وإمَاطَةِ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ، ونَحْوِهِ فَما اسْتَطَعْنَا أنْ نَبْلُغَ خَمْسَ عَشْرَةَ خَصْلَةً [2].

علق ابن حجر على هذا الحديث قائلا: قال ابن بطال-ما ملخصه-: ليس في قول حسان ما يمنع من وجدان ذلك، وقد حض صلى الله عليه وسلم على أبواب من أبواب الخير والبر لا تحصى كثرة، ومعلوم أنه صلى الله عليه وسلم عالما بالأربعين المذكورة، وإنما لم يذكرها لمعنى هو أنفع لنا من ذكرها، وذلك خشية أن يكون التعيين لها مزهدا في غيرها من أبواب البر [3].

و. مبدإ المشاورة:

لقد تحدث القرءان الكريم عن أهمية الشوري بين المسلمين في أمور دنياهم وأخراهم، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأمرهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهم

(1) سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق رائد صبري ابن أبي علفة، دار الحضارة للنشر والتوزيع -الرياض-، ط2 1436هـ-2015م، كتاب البر والصلة رقم الحيث1956ص395.

(2) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها رقم الحديث 2631ص638.

(3) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: د. محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث -القاهرة- 1424هـ-2004م، ج5 ص275.

يُنْفِقُونَ﴾[1]، فجسدها النبي صلى الله عليه وسلم أحسن تجسيد، فكان كثير المشاورة لأصحابه، روى الإمام الترمذي في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ما رأيت أحدا أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم»[2].

ومجال المشاورة الذي كان يستشير فيه النبي صحابته لا يخلو من:

أ. المشاورة فيما يتعلق بحياته الخاصة، كالقصة مثلا: الذي استشار فيه علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد، تقول أمنا عائشة رضي الله عنها: «.... فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله... »[3].

ب. مجال العبادات: كان يستشيرهم في الأمور التي تحتاج إلى اجتهاد لعدم ورود النص فيه، مثل: قضية جمع الناس للصلاة برفع الآذان، عن ابن عمير بن أنس عن عمومة له من الأنصار قال: « اهتمّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم للصلاةِ كيفَ يجمعُ الناسُ لها، فقيلَ له: انصبْ راية عندَ حضورِ الصلاةِ فإذا رأوهَا إذن بعضهُم بعضا، فلم يعجبهُ ذلك، قال: فذكرَ له القنعُ يعني الشبُّورُ، وقال زياد: شبورُ اليهود، فلم يعجبهُ ذلكَ، قال: هو من أمر اليهود، فذُكرَ له الناقوسُ فقال: هو من أمر النّصارى، فانصرفَ عبد الله بن زيدٍ وهو مهتمٌّ بِهمّ النبيِّ صلى الله عليه و سلم فأُرِيَ الآذانَ في مَنامِهِ، قال: فغَدا على رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فأخبرهُ فقال: يا رسولَ اللهِ إني ليس بنائمٍ ولا يقظانٍ إذ أتاني آتٍ فأرانيَ الآذانَ، قال: وكان عمرُ بن الخطابِ قد رَآهُ قبلَ ذلك فكتمهُ عشرين يوما ثم أخبرَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم، فقال: ما منعكَ أن تخبرنا؟ فقال: سبقني عبد الله بن زيدٍ فاستحييتُ فقال رسولُ اللهَ صلى الله عليه وسلم: يا بلالُ قم فانظرْ ما يأمركَ به عبد الله بن زيدٍ فافعلهُ، قال: فإذن بلال » [4].

---

(1) سورة الشورى الآية 38.

(2) سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق رائد صبري ابن أبي علفة، دار الحضارة للنشر والتوزيع -الرياض-، ط2 1436هـ-2015م كتاب الجهاد، رقم الحديث 1714 ص357

(3) صحيح البخاري،، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب الشهادات رقم الحديث 2661، ص648

(4) سنن أبي داوود، أبو داوود سليمان بن الاشعث الازدي السجستاني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، دار الرسالة العلمية، ط1 1430هـ-2009ج 1 رقم الحديث 498. ص369.

ج. مجال الجهاد في سبيل إعلاء راية الإسلام: استشار صحابته في أول غزوة قادها ضد قريش، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم شاورهم حين بلغه إقبال أبي سفيان، قال«: فَتَكَلَّمَ أبو بَكْرٍ، فأعْرَضَ عنْه، ثُمَّ تَكَلَّمَ عُمَرُ، فأعْرَضَ عنْه، فَقَامَ سَعْدُ بنُ عُبَادَةَ، فَقالَ: إيانَا تُرِيدُ يا رَسولَ اللهِ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ، لو أمرتَنَا أَنْ نُخِيضَهَا البَحْرَ لأَخَضْنَاهَا، ولو أمرتَنَا أَنْ نَضْرِبَ أَكْبَادَهَا إلى بَرْكِ الغِمَادِ لَفَعَلْنَا»[1].

ويتجلى في هذا الموقف أثر التربية النبوية عند الصحابة الكرام، الذين باعوا نفوسهم نصرة للنبي عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام. وبرهنوا على مدى قدرتهم في التعامل مع كل المتغيرات بثقة وعزيمة.

د. الأمور بالخواتم: إن الإحساس بوجود عنصري الفاعلية الإيجابية والنموذجية الأمثلية المستقاة من التربية النبوية لجدير بالذكر، الاعتراف بتلك الشخصية الإنتاجية والبحث عن المقومات التي أسهمت في نجاحها عبر تحديدها الأهداف الحقيقية المرجوة، وسيرها وفق رؤية منهجية منتظمة قابلة للتنزيل وترجمتها ترجمة حقيقية، وبذلك استطاعت في نهاية المطاف الحصول على الهدف الأسمى الذي يتمناه أي فرد في هذا العالم المتغير.

3. الهدف المتعلق بالإنتاج التربوي:

فالمنتج التربوي في حقيقة الأمر الذي نتحدث عنه وتبحث عنه الشعوب المتقدة في مشارق الأرض ومغاربها، ذلك المنتج الذي يكون له أثر حقيقي في نفسه ومع غيره، فتجده متفاعلا مع نفسه منتجا في غيره بتربية صالحة يضرب بها المثل عند القاصي والداني، وهذا أحسن ما يمكن الاستدلال به لدي المربي من حيث حسن الخواتم والعبرة بالنتائج، فتجد أثرا لذلك بشكل ملموس على أرض الواقع بمنظور إسلامي محض.

والناظر في المنهج النبوي التربوي يلمس أثر التربية الإيجابية وحسن نجاعة التسيير، وبالمثال يتضح المقال: «حسن الاختيار في ولآية أمر المسلمين في الكوفة بعد وفاة المغيرة بن شعبة، فقام جرير بن عبد الله فخطب في الناس، ودعاهم أن ينظروا من يؤمر عليهم»، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «سَمِعْتُ جَرِيرَ بنَ عبدِ اللَّهِ، يقول يَومَ مَاتَ

---

(1) مسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج3 كتاب الجهاد والسير، رقم الحديث 1779 ص1403.

المُغِيرَةُ بنُ شُعْبَةَ، قَامَ فَحَمِدَ اللَّهَوأَثْنَى عليه، وقال: علَيْكُم باتِّقَاءِ اللَّهِ وحْدَهُ لا شَرِيكَ ل ه، والوَقَارِ، والسَّكِينَ، حتَّى يَأْتِيَكُمْ أمِيرٌ، فإنَّما يَأْتِيكُمُ الآنَ. ثُمَّ قالَ: اسْتَعْفُوا لأمِيرِكُمْ، فإنَّه كانَ يُحِبُّ العَفْوَ، ثُمَّ قالَ: أمَّا بَعْدُ، فإنِّي أتَيْتُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قُلتُ: أُبَايِعُكَ علَى الإسْلَامِ فَشَرَطَ عَلَيَّ: والنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ فَبَايَعْتُهُ علَى هذا، ورَبِّ هذا المَسْجِدِ إنِّي لَنَاصِحٌ لَكُمْ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ ونَزَلَ »[1].

نعم لقد كانوا سباقين للمسارعة إلى فعل كل عمل خيري، دعا إليه النبي صلى الله عليه وسلم، فتجدهم يقدمون الغالي والنفيس للقيام به على أحسن وجه كما سبق وأن أشرت سابقا في بعض الأمثلة التي كان صلى الله عليه وسلم يعلمهم ويزكيهم ويثني عليهم ويشجعهم على كل عمل صالح مصلح قاموا به، وهذا من أهم الدلائل على إيجابية ما صدرت منه هذه المواقف التي كان لها الأثر البليغ في النفوس البشرية في حياته وبعدا مماته صلوات ربي وسلامه عليه، وسيبقى أثرها مستمرا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وفي هذا يقول عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله: فأي معلم من المربين تخرج على يديه عدد أوفر وأهدى من هذا الرسول الكريم الذي تخرج به هؤلاء الأصحاب والأتباع؟ فكيف كانوا قبله؟ وكيف صاروا بعده؟ !إن كل واحد من هؤلاء الأصحاب دليل ناطق على عظم المعلم المربي الفريد الأوحد[2].

المطلب السابع: الاعتدال

يمكن اعتبار هذه الخاصية أهم عنصر في المعالم النبوية والتي بسببها تميزت بشكل أخص عن جوهر وحقيقة التربويات الأخرى بمختلف مناهجها التربوية وبفلسفاتها المتجددة وبتجاربها البشرية المعاصرة.

ومن أبرز ما تتميز به خاصية الاعتدال في المنهج النبوي عن غيرها اتسامها بالرسالة الاعتدالية التي جاء بها خاتم النبيئين والمرسلين، فالدين الإسلامي كله دعا ويدعو إلى الوسطية، عقيدة وشريعة وحكما ورأيا، فأينما فتشت تجد النصوص الشرعية تحت

(1) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب الإيمان، رقم الحديث 58 ص25.

(2) الرسول المعلم وأساليبه في التعليم، د. عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية-بيروت لبنان، ط: 1 سنة الطبع: 1417هـ-14996م، ص14.

المسلمين بالامتثال والإذعان لهذه الخاصية النبيلة والمزية العظيمة، وفهمها فهما سليما بعيدا عن توظيفها توظيفا لا تحتمل معناه، قال الله تبارك وتعالى واصفا حال أمة خير العباد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أمة وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[1]، طالبا منهم على وجه الحتم واللزوم، العمل بتعاليم الإسلام التي جاء بها هذا المنهج الرباني، ومفصلا خير الأنام ما جمل منها في سننه العظام، تصورا وفهما وشمولا وتنزيلا، وفق ما أراده الله ورسوله لا كما يريد الإنسان.

وأبرز شخصية على مر التاريخ جسدت مبادئ الوسطية والاعتدال في جميع المجالات: بناء وتكوينا وتعاملا، هي شخصية النبي صلى الله عليه وسلم حتى وصفه صحابته الكرام في مجال العبادة بالقصد والاعتدال، فعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: كنت أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان صلاته قصدا، وخطبته قصدا [2].

ولم يكن الاعتدال في حياة النبي صلى الله عليه وسلم قاصرا على العبادة فقط من خلال ما ذكرنا، بل الاعتدال كان سمة لحياته كلها، ففي السيرة النبوية ما يشفي الغليل لمن أراد التفصيل.

فالهدف من ذكرنا للمثال في مجال العبادة فقط لنبرهن على أن اتصافه صلى الله عليه وسلم بالاعتدال يبقى أثره ظاهرا وجليا في التربية النبوية الذي تربى عليها الصحابة الكرام الأجلاء الأفذاذ. حيث إنهم أثبتوا هذه السمات في مواقف مختلفة شديدة الخطورة مر بها التاريخ الإسلامي، وخير مثال نسوقه: تباثهم على الدين في اليوم الذي تقلبت فيه الموازين، بعد وفاته صلى الله عليه وسلم بخروج بعض العرب عند دائرة الإسلام، ورجعوا إلى ما كانوا عليه قبل، فنعتهم القرءان الكريم بقوله: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمنا قُلْ لَمْ تؤمنوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإيمان فِي قُلُوبِكُمْ﴾[3].

---

(1) سورة البقرة الآية 143.

(2)صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج2 رقم الحديث: 866ص591.

(3) سورة الحجرات الآية 14.

فكل ما لاقته الأمة الإسلامية بعد وفاته صلى الله عليه وسلم من انقسام وضرب في الإسلام، لم يزد هؤلاء الصحابة إلا تباثا واعتدالا في مواقفهم، بلا شك فهم تربوا على قاعدة الاعتدال المتصفة بالصفاء ونقاء القلوب والعقول، فلم يوجد لا إفراط ولا تفريط بينهم، لا في الاعتقاد ولا في التعبد ولا في مجال السلوك ولا حتى في مجال المعاملات، فتأكد لأعداء الإسلام والمسلمين بهذا وذاك أنهم نشئوا على تربية أصيلة، وقاعدة رصينة غرسها فيهم النبي المختار، ولا يمكن أن تسير بهم الرياح فيما تشتهي السفن، بل هم في طريق صحيح لا يزيغ عنه أي أحد منهم، ولا يمكن أن تدحضه الرياح العابرة. حتى وإن افترضنا جدلا أنه بطبيعة الإنسان دائما معرض لبعض الأخطار التي يمكن أن تكون سببا في التعثر ونقص في الهمم، ولذلك حثهم عن ما يمكن له أن يشحذ الهمم في إصلاح هذه الاختلالات، بأن الإسلام كله يدعوا إلى اليسر والاعتدال.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، ولَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أحد إلا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وقَارِبُوا، وأَبْشِرُوا، واسْتَعِينُوا بالغَدْوَةِ والرَّوْحَةِ وشيءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ»[1].

فحين سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أحب الدين إلى الله أجاب بما يعبر عن الاعتدال والوسطية، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الأديان أحب إلى الله؟ قال: الحنفية السمحة» [2].

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سَدِّدُوا وقارِبُوا، وأعلموا أنْ لَنْ يُدْخِلَ أحدكُمْ عَمَلُهُ الجَنَّةَ، وأنَّ أحب الأعمال إلى اللَّهِ أدْوَمُها وإنْ قَلَّ» [3].

فكل هذه النصوص النبوية وغيرها، تحث الفرد على إتيان هذه الخصلة النبيلة والمكانة الرفيعة، التي نشأ عليها صحابته الكرام، وسار على منوالها كل من اقتفى أثره صلى الله

(1) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب الإيمان، رقم الحديث 39 ص19.

(2) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط -عادل مرشد، دار مؤسسة الرسالة، ج 4رقم الحديث 2107 ص17.

(3) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب الرقاق رقم الحديث 6464، ص1609.

واهتدى بهديه واستن بسنته. مذكرا إخوانه عن التفريط والتساهل في العبادات والطاعات، أو الحلال والحرام، أو سائر حقوق الله عزوجل، وحقوق المخلوقين أضعاف نهيه عن الغلو والتشدد في تعاليم الدين لأن الأغلب لدي كثير من الناس هو التساهل والتهاون.

الفصل الثاني

المنهج النبوي ومجالاته

المبحث الأول: مجالات التربية النبوية

المبحث الثاني: الأساليب والوسائل في التربية النبوية

المبحث الأول: مجالات التربية النبوية

المطلب الأول: المجال الإيماني والعبادة

إن أساس الوجودي الإنساني في هذا الكون البديع، متوقف على العبادة المطلقة لله سبحانه، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإنس إلا لِيَعْبُدُونِ﴾[1]، ولذلك كان من أهم دور التربية النبوية أن تهيئ الإنسان تهيئة توافق هذا البعد الوظيفي للقيام به على أحسن وجه[2].

والتربية الإيمانية هي محورها، وعنوانها، ومنطلقها، ومنتهاها، فغاية ما اشتغل عليه النبي صلى الله عليه وسلم مع إخوانه هو تعريفهم حقائق الإيمان بالله تعالى وتربيتهم عليه قولا وعملا بتعليمهم مقتضياته من العلم والعمل به.

فالإيمان بالله ربا، وبالنبي رسولا عليه الصلاة والسلام، هي أفضل الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى ربه، جاء في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: «قال صلى الله عليه وسلم عندما سئل: أي العمل أفضل؟ فقال: إيمان بالله ورسوله، قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله، قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور»[3].

فالإيمان به وحده لا شريك له سبحانه هو مناط دخول الجنة، ومطلب أي أنسان عاقل في هذه الحياة الفانية فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: « لا تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حتَّى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتَّى تَحابوا، أولا أدُلُّكُمْ علَى شيءٍ إذا فَعَلْتُمُوهُ تَحابَبْتُمْ؟ أفْشُوا السَّلامَ بيْنَكُمْ»[4]،

ومن كرم الله على أهل الإيمان في الجنة أنهم ليسوا في مرتبة واحده، كل يجازى على حسب ما قدمه في الدنيا.

---

(1) سورة الذاريات الآية 56.

(2) التربية في مدرسة النبوة، محمد متولي الشعراوي، إعداد: د. حمال إبراهيم، دار الحرية والنشر -مصر-، ط 1، سنة1419هـ-1999، ص15. بتصرف.

(3) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب الإيمان، رقم الحديث 26 ص16.

(4) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج 1كتاب الإيمان رقم الحديث54 ص74.

فعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ أ هل الجَنَّةِ لَيَتَراءَوْنَ أهل الغُرَفِ مِن فَوْقِهِمْ، كما تَتَراءَوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغابِرَ مِنَ الأفُقِ مِنَ المَشْرِقِ أو المَغْرِبِ، لِتَفاضُلِ ما بيْنَهُمْ قالوا: يا رَسولَ اللهِ، تِلكَ مَنازِلُ الأنبياء لا يَبْلُغُها غَيْرُهُمْ، قالَ بَلَى، والذي نَفْسِي بيَدِهِ رِجالٌ آمنوا باللَّهِ وصَدَّقُوا المُرْسَلِين»[1].

إذن فالتربية الإيمانية التي ربى عليها النبي صلى الله عليه صحابته كانت عنوان بداية الانطلاقة في هذه الحياة، للسير نحو الوصول إلى مفتاح السعادة الأبدية وهي الدخول إلى الجنة بفضل من الله وكرم منه، والتمتع بخيراتها التي لا تعد ولا تحصى، فيها ما تشتهيه الأنفس وتلد الأعين وكل ما يخطر على قلب البشر، واصفا حالهم في الدنيا قبل الآخرة. روي عن الصحابي الجليل رضي الله عنه قال: «كنَّا معَ النَّبيِّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ ونحنُ فتيانٌ حز اورةٌ فتعلَّمنا الإيمان قبلَ أن نتعلَّمَ القرآنَ ثمَّ تعلَّمنا القرآنَ فازددنا بِه إيمانا»[2].

وعلى نفس المنوال يسير بن عمر رضي الله تعالى عنهما واصفا حال بعض الناس معه صلى الله عليه وسلم فيقول: «لقد لبِثنا بُرهةً من دهرٍ وأحدنا ليؤتَى الإيمان قبل القرآنِ، تنزلُ السورةُ على محمدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلم فنتعلمَ حلالها وحرامَها وأمرها وزاجِرَها وما ينبغي أنْ يوقفَ عنده منها كما يتعلمُ أحدكم السورةَ، ولقد رأيتُ رجالا يؤتَى أحدهم القرآنَ قبل الإيمان يقرأُ ما بين فاتحتهِ إلى خاتمتهِ ما يعرفُ حلاله ولا حرامَه ولا أمره ولا زاجِرَه ولا ما ينبغي أنْ يوقفَ عنده منه وينثرهُ نثرَ الدَّقْلِ»[3].

وهذا البعد الإيماني الذي كان ينطلق منه النبي صلى الله عليه لتربيتهم ولتعليمهم إياه قبل كل شيء يتكون من ثلاث مكونات:

(1) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج4، كتاب الجنة وصفات نعيمها وأهلها، رقم الحديث 2831 ص2177.

(2) سنن ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني، تحقيق: رائد صبري، دار الحضارة للنشر والتوزيع-الرياض-، ط2 1436هـ-2015م، كتاب المقدمة رقم الحديث 61 ص17.

(3) المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط 2 1422هـ-2002م، ج 1 كتاب الإيمان، رقم الحديث 101ص91.

1. المكون المعرفي:

لقد أمر الله تعالى نبيه بالعلم بمسائل الإيمان والتوحيد، قال سبحانه في كتابه العزيز: ﴿فَأعلم نَّهُ لا إله إلا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالمؤمناتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾[1]، والشواهد على ذلك كثيرة منها، حديث جبريل المشهور، حين جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم في شكل صورة رجل يسأله ويجيبه النبي صلى الله عليه وسلم: وفيه: قال: «.. فأخبرني عن الإيمان ما الإيمان؟ قال: الإيمان أنْ تؤمن باللهِ وملائكتِه وكتبِه ورسلِه واليومِ الآخر والقدرِ كلِّه خيرِه وشرِّه. قال: صدقتَ[2]. »

فالإيمان بالله ربا وبالنبي صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا ليس مجرد مشاعر ووجدان فقط، بل هو تربية عميقة تحتاج إلى أدوات البحث وإعمال العقل الذي أكرمه الله به بما لم يكن يعلم، فبالعلم تحي القلوب ويعرف رب الوجود وتؤمن برب المعبود الذي لا معبود سواه.

ونظرا للأهمية التي يحظى به البعد الإيماني في النفوس البشرية، استعمل النبي صلى الله عليه وسلم البعد المعرفي في بعض تساؤلاته التي كان يوجهها لبعض الصحابة أو لعامة الناس، الذي ينبغي على الإنسان أن يستعمل فيه رأيه ويحرك فيه عقله، فيقول صلى الله عليه وسلم: أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ أتدرون من المفلس؟، ولعل الهدف من ذلك شحذ الهمم للطلاع إلى معرفته بالتوجيه السديد بالعقل الرشيد، والاعتناء بتعلمه وتعليمه لغيرهم.

ففي حديث معاوية بن الحكم السلمي قال: «وكَانَتْ لي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لي قِبَلَ أحد والْجَوَّانِيَّةِ، فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَومٍ فإذا الذِّيبُ قدْ ذَهَبَ بشَاةٍ مِن غَنَمِهَا، وأَنَا رَجُلٌ مِن بَنِي آدَمَ، آسَفُ كما يَأْسَفُونَ، لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً، فأتَيْتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ فَعَظَّمَ ذلكَ عَلَيَّ، قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، أفلا أُعْتِقُهَا؟ قالَ: ائْتِنِي بهَا فأتَيْتُهُ بهَا، فَقالَ لَهَا: أينَ اللَّهُ؟ قالَتْ: في السَّمَاءِ، قالَ: مَن أنَا؟ قالَتْ: أنْتَ رَسولُ اللهِ، قالَ: أعْتِقْهَا، فإنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»[3].

(1) سورة محمد الآية 19.

(2) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج 1كتاب الإيمان رقم الحديث 8 ص37.

(3) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج 1كتاب المساجد ومواضع الصلاة رقم الحديث537ص381.

فالنبي صلى الله عليه وسلم يربي ويعلم بأساليب وأدوات مختلفة مراعيا الخصائص الفردية والتعامل معها تعاملا مبنيا على الواقعية، وتحديد أولياتها على حسب ما يقتضيه الحال والمقام.

2. المكون السلوكي:

فالعلم بالشيء والمعرفة به هما ركنا الإيمان، فبه يعرف الإنسان صاحب هذا الكون البديع المتفرد بالعظمة والأجلال.

لكن هذه المعرفة تبقى ناقصة من جانب من الجوانب لعدم ارتباطها بجانب روحاني يختلج في الصدور، ولهذا جاءت التربية الإيمانية لتقوم بهذا الدور، فاعتنت بما يكمن أن يحس به القلب من شعور، وركزت على كل ما يمكن تحريك القلوب، ولم تكتف فقط بما له علاقة بالمكون المعرفي العقلاني، بل عملت كل ما في وسعها ليكون هناك نوع من الترابط والتلاحق والتكامل بينهما.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال جاءَ ناسٌ مِن أصحاب النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فَسَأَلُوهُ: إنَّا نَجِدُ في أنْفُسِنا ما يَتَعاظَمُ أحدنا أنْ يَتَكَلَّمَ به، قالَ: وقدْ وجَدْتُمُوهُ؟ قالوا: نَعَمْ، قالَ: ذاكَ صَرِيحُ الإيمان»[1].

قال النووي: المقصود بقوله: « ذاك صريح الإيمان»: استعظامكم الكلام به هو صريح الإيمان، فإن استعظام هذا وشدة الخوف منه ومن النطق به-فضلا عن اعتقاده-إنما يكون لمن استكمل الإيمان استكمالا محققا، وانتفت عنه الريبة والشكوك[2].

وعلق علي بن رسلان المقدسي في شرحه سنن أبي داوود قائلا: قوله: «ذاكَ صَرِيحُ الإيمان»: الصريح هو المحض الخالص الصافي، والمعنى كاستعظام الكلام به هو صريح الإيمان فإن

(1)المصدر نفسه: ج 1كتاب الإيمان رقم الحديث 132ص. 119

(2)المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف النووي، دار مؤسسة قرطبة، ط 2: 1414 – 1994، ج2ص205

استعظام هذا وشدة الخوف منه من النطق به فضلا عن اعتقاده، إنما يكون لمن استكمل الإيمان استكمالا محققا، وانتفت عنه الريبة والشكوك الباطنة[1].

وفي هذا المنوال يسير د. الخطابي فيقول: المقصود بقوله: « ذاك صريح الإيمان»: هو الذي يمنعكم من قبول ما يلقيه الشيطان في انفسكم والتصديق به حتى يصير ذلك وسوسة لا يتمكن في قلوبكم ولا تطمئن إليه أنفسكم وليس معناه أن الوسوسة نفسها صريحة الإيمان، وذلك أنها إنما تتولد من فعل الشيطان وتسويله، فكيف يكون إيمانا صريحا؟ وقد روي في حديث آخر: «إنهم لما شكوا إليه ذلك قال: الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة»[2].

إذن فإن من صريح الإيمان أن يقود صاحبه إلى الشعور بالاستقرار النفسي والوجداني والإحساس به والذوق النقي والارتقاء به في عالم الملكوت، والتسليم والاذعان له للوصول إلى السعادة المطلقة التي يجدها أصحاب الإيمان الحقيقي الذي وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: ذاق طعم الإيمان وحلاوته من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبحمد نبيا ورسولا، قال تعالى في سورة الأنفال: ﴿ إِنَّمَا المؤمنونَ الَّذِينَ إذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتهُ زَادَتْهُمْ إيمانا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهم يُنْفِقُونَ، أولئِكَ هُمُ المؤمنونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[3].

3. السلوك والقيم:

يعتبر السلوك من مكونات التربية الإيمانية، فالإيمان الحقيقي عند الفرد، لابد وأن يترك أثره على سلوك صاحبه، فصلاح القلب هو بمثابة صلاح للجسد كله وفساد القلب هو فساد لسائر جوارحه، يقول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله إلا وهي القلب» [4].

(1) شرح سنن أبي داوود، شهاب الدين أبي العباس أحمد بن حسين بن علي بن رسلان، تحقيق جماعة من المحققين، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث -الفيوم-مصر، ط 1 1437هـ-2015م، ج19ص372.
(2) معالم السنن، أبو سليمان محمد بن محمد الخطابي، تحقيق: محمد راغب الطباخ، دار المطبعة العلمية -حلب- ط1 1351هـ-1932، ج 4 ص147.
(3) سورة الأنفال الآية4.
(4) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب الإيمان، رقم الحديث52 ص23.

ولذلك فالنبي صلى الله عليه وسلم ركز على هذا المكون وجعله معيار لمعرفة العبد هو مؤمن صادق أم لا؟، روى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم والمهاجر من هجر السوء فاجتنبه»[1].

فاعتبار السلوك معيارا لتعريف الإيمان يوحي إلى أهمية السلوك ومنزلته الرفيعة، فاتصاف العبد المؤمن بالأخلاق الحسنة هي علامة لكمال إيمانه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم أخلاقا»[2].

وكثيرا ما كان صلى الله عليه وسلم يربط السلوك بالإيمان في توجهاته لأصحابه، فعلى سبيل المثال: عبارة: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر» فقد استعملت في: الإحسان إلى الجار، وقول الخير أو ليصمت، وإكرام الضيف، والاستتار عند دخول الحمام، محبة الأنصار، رعاية حرمة مكة، ترك لبس الذهب والحرير...

وهذا الارتباط بين الإيمان والسلوك يتطلب أن يتناول السلوك في إطار صلته بالإيمان فهو يواقف المنهج النبوي والنصوص الشرعية، كما أنه يسهم في مراعاة السلوك ومكانته الشرعية.

وأهم الوسائل التي استند إليه النبي صلى الله عليه وسلم في تلقين التربية الإيمانية لأصحابه الكرام:

1. ربط الإيمان باليوم الآخر: فكانت هذه أهم آليات لبناء الإيمان العقدي وترسيخه في حياة الفرد المسلم، فالإيمان لا شك أنه يدفع المؤمن إلى الإقبال عن كل عمل ينقل صاحبه إلى الصلاح، والاجتهاد في أدائها على أحسن وجه، والابتعاد عن كل ما يغضب الله ورسوله، تصورا وفهما واعتقادا وإيمانا، فلا مناط إذن لتحقيق السعادة في الدارين إلا بالإيمان بالله واليوم الآخر وما فيه من الكرامات الإلهية ومنح ربانية لمن وفقه الله وسار من أهل الجنة.

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط -عادل مرشد، دار مؤسسة الرسالة، ج 11رقم الحديث6925ص521

(2)سنن أبي داوود، أبو داوود سليمان بن الاشعث الأزدي السجستاني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، دار الرسالة العلمية، ط1 1430هـ-2009ج 7 رقم الحديث 4682ص70.

كما أن السير وراء الشهوات المحرمة قد تكون نهايته دخول النار والعياذ بالله، قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمنوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ إلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾[1].

وبهذا يتحقق المراد لمن تأمل في التوجيهات النبوية المرتبط باليوم الآخر قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا، إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا، إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾[2].

وأهم الوسائل التي استعملها النبي صلى الله عليه وسلم كذلك بعد ربطه إيمان العبد باليوم الآخر، تركيزه على الخصوصية الفردية في لغة التواصل بدل التواصل الجماعي رغم أهميته وآثاره على الفرد إلا أن النفس البشرية مجبولة بالتنويع وتعدد الوسائل التواصلية، وكل أسلوب له مميزاته إلا أن الخطاب الانفرادي يرى فيه النبي صلى الله عليه كثير الفؤاد باعتباره أنه يساعد على إيصال المراد، وتوفر مبدإ الإصغاء والاستماع وعدم تشتت الهدف بين المربي والمتربي، مما يساعد علة وجود قناة تواصل مشتركة بينهم واستغلال أكبر وقت ممكن لإيصال المرغوب فيه بأوجز السبل بدل الجماعة التي تحتاج إلى مجهودات جبارة.

ومن صور الوعظ الفردي النبوي موعظته الشهيرة لابن عباس رضي الله عنهما قال: «كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظك الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سالت فأسال الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، وأعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف»[3].

---

(1) سورة البقرة الآية 214.

(2) سورة الأنسان الآية 10.

(3) سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق رائد صبري ابن أبي علفة، دار الحضارة للنشر والتوزيع -الرياض-، ط2 1436هـ-2015م كتاب صفات القيامة والرقائق، رقم الحدث 2516ص493.

لكن ينبغي للمربي أن يتعامل مع هذا التوجيه النبوي الذي يتعلق بالجماعة أو الأفراد، لا أن يجعل الاعتناء بأحدهما دون الآخر يعني أنه يلغي الطرف الأول أو الثاني، لأن لكل وسيلة أثارها المناسب إذا استعملت في وقتها المناسب، وما يلائم موقفا قد لا يلائم غيره، والمتربي بحاجة أن يتعامل معهما معا لتترك كل منهما أثره المناسب في شخصيته.

إن للمجالس الإيمانية دور مهم في تكوين الناشئة تكوينا سليما بعيدا عن الإفراط والتفريط فهي تؤسس تربية سليمة فتتوحد فيها القلوب وتتمثل فيها المعاني الجماعية في صور متعددة، كان صلى الله عليه وسلم يعطيها رعاية خاصة، لعلمه لما تقوم به من أثر داخلي في نفس الإنسان.

وهذا يظهر جليا في الحديث الذي رواه أبو هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَن نَفَّسَ عن مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِن كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّهُ عنْه كُرْبَةً مِن كُرَبِ يَومِ القيامة، وَمَن يَسَّرَ علَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عليه في الدُّنْيَا وَالآخرة، وَمَن سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ في الدُّنْيَا وَالآخرة، وَاللَّهُ في عَوْنِ العَبْدِ ما كانَ العَبْدُ في عَوْنِ أخيهِ، وَمَن سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فيه عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ له به طَرِيقًا إلى الجَنَّةِ، وَما اجْتَمع قَوْمٌ في بَيْتٍ مِن بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بيْنَهُمْ، إلا نَزَلَتْ عليهِم السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَن عِنْدَهُ، وَمَن بَطَّأَ به عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ به نَسَبُهُ»[1].

وفي حديث آخر: يبن صلى الله عليه وسلم أن إدراك بركة المجالس الإيمانية لا يتوقف أثرها على من يحضرها، بل حتى لأولئك الخطائين المقصرين الذين لا يأتونها رغبة فيها، بل حاجة في نفوسهم، إن هؤلاء تشملهم هذه البركة الإيمانية النورانية.

روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«إنَّ لِلَّهِ مَلائِكَةً يَطُوفُونَ في الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أهل الذِّكْرِ، فإذا وجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنادَوْا: هَلُمُّوا إلى حاجَتِكُمْ قالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بأَجْنِحَتِهِمْ إلى السَّماءِ الدُّنْيا قالَ: فَيسألهمْ رَبُّهُمْ، وهو أعلم منهمْ، ما يقولُ عِبادِي؟ قالوا: يقولونَ: يُسَبِّحُونَكَ ويُكَبِّرُونَكَ ويَحْمَدُونَكَ

(1) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج4كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار رقم الحديث2699 ص2074.

ويُمَجِّدُونَكَ قالَ: فيَقولُ: هلْ رَأَونِي؟ قالَ: فيَقولونَ: لا واللَّهِ ما رَأَوكَ؟ قالَ: فيَقولُ: وكيفَ لو رَأَونِي؟ قالَ: يقولونَ: لو رَأَوكَ كانُوا أشد لكَ عِبادَةً، وأشد لكَ تَمْجِيدًا وتَحْمِيدًا، وأكثر لكَ تَسْبِيحًا قالَ: يقولُ: فَما يسألوني؟ قالَ: يسألونَكَ الجَنَّةَ قالَ: يقولُ: وهلْ رَأَوها؟ قالَ: يقولونَ: لا واللَّهِ يا رَبِّ ما رَأَوها قالَ: يقولُ: فَكيفَ لو أنَّهُمْ رَأَوها؟ قالَ: يقولونَ: لو أنَّهُمْ رَأَوها كانُوا أشد عليها حِرْصًا، وأشد لها طَلَبًا، وأعظم فيها رَغْبَةً، قالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قالَ: يقولونَ: مِنَ النَّارِ قالَ: يقولُ: وهلْ رَأَوها؟ قالَ: يقولونَ: لا واللَّهِ يا رَبِّ ما رَأَوها قالَ: يقولُ: فَكيفَ لو رَأَوها؟ قالَ: يقولونَ: لو رَأَوها كانُوا أشد مِنْها فِرارًا، وأشد لها مَخافَةً قالَ: فيَقولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أنِّي قدْ غَفَرْتُ لهمْ قالَ: يقولُ مَلَكٌ مِنَ المَلائِكَةِ: فيهم فلان ليسَ منهمْ، إنَّما جاءَ لِحاجَةٍ. قالَ: هُمُ الجُلَساءُ لا يَشْقَى بهِمْ جَلِيسُهُمْ»[1].

ويصور الصحابي الجليل رضي الله عنه أثر المجالس النبوية في التربية الإيمانية فيقول: « قلنا يارسولَ اللَّهِ إنَّا إذا رأيناكَ رقَّت قلوبُنا وَكُنَّا من أهل الآخرة، وإذا فارقناكَ أعجبَتْنا الدُّنيا، وشمَمنا النِّساءَ والأولادَ قالَ: لَو تَكونونَ أو قالَ: لَو أنَّكم تَكونونَ على كلِّ حالٍ على الحالِ الَّتي أنتُمْ عليها عندي، لصافحتْكمُ الملائِكَةُ بأَكُفِّهِم، ولزارتْكُم في بيوتِكُم، ولَو لَم تُذنِبوا، لجاءَ اللَّهُ بقَومٍ يذنِبونَ كَيْ يُغفَرَ لَهُم»[2].

واليوم مع تنوع وسائل الاتصال وحلول كثير من أساليب التواصل عن بعد محل اللقاء المباشر، يتأكد اعتناء المربين بمجالس الإيمان وإحيائها والسعي لإيجاد الوسائل المعينة على تحقيقها وتطوير بدلائل ملائمة المحققة للأثر الإيماني للمجالس التربوية.

إن من نتائج التربية الإيمانية في الأوقات الحالكة حفظها للإنسان من الوقوع في المحظور، فهي بمثابة العدة التي من خلالها لا يجتر الإنسان في المهالك فهي أداة مساعدة تحفظه وتقيه من كل سوء ومكروه لا قدر الله، لذلك كان يوصي النبي صلى الله عليه وسلم صحابته بتغليب جانب الإيمان والتشبث بكل عمل صالح يقرب العبد إلى ربه في مثل هذه المواقف وعدم الخوض في الأمور التي لا خير منها يرجى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول

(1) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب الدعوات رقم الحديث 6408 ص1596.

(2) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط -عادل مرشد، دار مؤسسة الرسالة، ج13رقم الحديث 8043ص410

الله صلى الله عليه وسلم: «بَادِرُوا بالأعمال فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أو يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا »[1].

وقال الإمام النووي: معنى الحديث: الحث على المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل تعذرها والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة، كتراكم ظلام الليل المظلم لا المقمر ووصف صلى الله عليه وسلم نوعا من شدائد تلك الفتن وهو إنه يمس مؤمنا ثم يصبح كافرا أو عكسه-شك الراوي-، وهذا لعظم الفتن ينقلب الإنسان في اليوم الواحد هذا الانقلاب[2].

فمن الواجب على المربي وقت ظهور الفتن العامة والخاصة، أن يقدم للناشئة الدعم النفسي والمعرفي ويحثهم على العبادة، لأنها تزكي النفوس واللجوء إليه سبحانه في السراء والضراء دليل على إيمان صادق للعبد بالله وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، وأنه إليه يرجع الأمر كله وهو بكل شيء عليم.

فطلب العون والنصر من الله للخروج من ضيق الدنيا إذا حل، لا يتم إلا بالتوجه إلى الواحد القهار بالدعاء الخالص لأنه سبحانه إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون.

والدعاء له شأن عظيم فقد وصفه الله في كتابه العزيز بالعبادة فقال: ﴿ وَإذا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إذا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[3].

---

(1) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج1 كتاب الإيمان، رقم الحديث 118ص110.
(2) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف النووي، دار مؤسسة قرطبة، ط 2: 1414 – 1994، ج2ص175.
(3) سورة البقرة الآية 186.

وفي الحديث الذي رواه النعمان بن بشير لرضي الله عنهما سمعت رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يقول: « إنّ الدعاءَ هو العبادةُ». ثم قرأ ﴿ادْعُوني أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلونَ جَهَنّم دَاخرينَ﴾[1].

فالتربية الإيمانية التي بينها لنا الحبيب المربي عليه الصلاة والسلام وربى صحابته عليها جعلها بمثابة شعاع يضيئ صاحبه، وذلك لا يكون إلا بدعاء الإنسان ربه آناء اليل وأطراف النهار بقلب صادق متضرع لله خاشع متذلل يرجوا رحمته ويخاف عذابه، يربي صاحبه ويلين قسوة قلبه كما ذكر ذلك سبحانه واصفا حال الأنبياء والصالحين عند الدعاء فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [2]. فأثر الدعاء ليس متوقفا على تلبية حاجة العبد موضع الدعاء بتكراره مرارا وتكرارا يزيد صاحباه إيمانا وقربا من ربه سبحانه ولجوءا إليه عزوجل كما أنه يرقق القلب ويزيل قسوته.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا المؤمنونَ الَّذِينَ إذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتهُ زَادَتْهُمْ إيمانا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[3].

المطلب الثاني: المجال الخلقي والسلوكي

يمثل المجال الخلقي والسلوكي مجالا مهما من مجالات التربية النبوية، حيث عده صلى الله عليه من مهمات بعثته إلى البشرية جمعاء، وحث صحابته على التحلي بمكارم الأخلاق وجعل له منزلة خاصة وربطه بالإيمان.

إن البناء الخلقي له اتصال وثيق بمجال التربية، ولذلك كل من يتحدث عن السلوك ومجال الأخلاق الفاضلة، يتبادر إلى ذهنه مباشرة أنه يندرج ضمنيا تحت لواء التربية النبوية، فاستيعاب التربية النبوية في المجال الخلقي يضيق به المقام، كيف لا وقد بعث خير الأنام عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام متمما لمكارم الأخلاق.

(1) سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق رائد صبري ابن أبي علفة، دار الحضارة للنشر والتوزيع -الرياض-، ط2 1436هـ-2015م كتاب تفسير القرءان رقم الحديث 2969 ص574

(2) سورة الأنبياء الآية 90.

(3) سورة البقرة الآية2.

وسأقف في هذا المطلب على بعض الإشارات من التربية النبوية في مجال الأخلاق[1] من باب التذكير فقط، وأهم هذا الإشارات:

الإشارة الأولى: جعل محاسن أو مكارم الأخلاق من أولويات الدعوة التي جاء بها الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، لتركيزه على الاعتناء به في صدر الإسلام إلى جانب الدعوة إلى وحدانية صاحب الوجود، فكان لا يفرق بينهم الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، فمحاسن الأخلاق الإسلامية كانت تتلغلغ في الخطاب النبوي في كل وقت وحين، فلذلك اعتبره بعض الصحابة الوافدين على النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة من مقاصد بعثته صلى الله عليه وسلم.

فعن ابن عباس رصي الله عنهما قال: لَمَّا بَلَغَ أبَا ذَرٍّ مَبْعَثُ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، قالَ لأخيهِ: ارْكَبْ إلى هذا الوَادِي فَأعلم لي عِلْمَ هذا الرَّجُلِ الذي يَزْعُمُ أنَّه نَبِيٌّ، يَأْتِيهِ الخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ، واسْمَعْ مِن قَوْلِهِ ثُمَّ ائْتِنِي، فَانْطَلَقَ الأخُ حتَّى قَدِمَهُ، وسَمِعَ مِن قَوْلِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إلى أبِي ذَرٍّ فَقالَ له: رَأَيْتُهُ يَأمر بمَكَارِمِ الأخلاق، وكَلَامًا ما هو بالشِّعْر... »[2].

فالشاهد عندنا في هذا الحديث النبوي الطويل الذي يحمل الكثير والكثير من الدلائل والإشارات هو أن أبا ذر الغفاري رضي الله عنه، وأرضاه جعل الأمر بمكارم الأخلاق شعارا وعنوان لدعوة الحبيب المصطفى صلى الله عليه.

واعتناء النبي صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى مكارم الأخلاق في الفترة المكية لم ينفرد بها أبا ذر رضي الله عنه فقط بل كانت من نصيب عمرو بن عبسة عندما وفد إلى صلى الله عليه وسلم وهو في مكة المكرمة في صدر دعوته صلى الله عليه وسلم، وحكى رضي الله عنه جزءا مما علمه إياه الحبيب عليه الصلاة والسلام من محاسن الأخلاق.

فعن أبي أمامة قال: عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه: «كُنْتُ وَأَنَا في الجاهلية أَظُنُّ أ نَّ النَّاسَ علَى ضَلَالَةٍ، وَأنَّهُمْ لَيْسُوا علَى شيءٍ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الأوثان، فَسَمِعْتُ برَجُلٍ بمَكَّةَ يُخْبِرُ

(1) الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمان حنبكة الميداني، دار القلم -دمشق-، ط5 سنة 1420هـ-19992م، ص435 بتصرف.
(2) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب مناقب الأنصار، رقم الحديث 3861 ص944.

أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ علَى رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عليه، فإذا رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ مُسْتَخْفِيًا جُرَءَاءُ عليه قَوْمُهُ، فَتَلَطَّفْتُ حتَّى دَخَلْتُ عليه بمَكَّةَ، فَقُلتُ له: ما أَنْتَ؟ قالَ: أَنَا نَبِيٌّ، فَقُلتُ: وَما نَبِيٌّ؟ قالَ: أَرْسَلَنِي اللَّهُ، فَقُلتُ: وَبِأَيِّ شيءٍ أَرْسَلَكَ، قالَ: أَرْسَلَنِي بصِلَةِ الأرْحَامِ، وَكَسْرِ الأوْثَانِ، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللَّهُ لا يُشْرَكُ به شيءٌ، قُلتُ له: فمَن معكَ علَى هذا؟ قالَ: حُرٌّ، وَعَبْدٌ، قالَ: وَمعهُ يَومَئذٍ أبو بَكْرٍ، وَبِلَالٌ مِمَّنْ آمَنَ به، فَقُلتُ: إنِّي مُتَّبِعُكَ، قالَ: إنَّكَ لا تَسْتَطِيعُ ذلكَ يَومَكَ هذا، إلا تَرَى حَالِي وَحَالَ النَّاسِ، وَلَكِنِ ارْجِعْ إلى أهلكَ فإذا سَمِعْتَ بي قدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي، قالَ: فَذَهَبْتُ إلى أهلي وَقَدِمَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ المَدِينَةَ، وَكُنْتُ في أهلي فَجَعَلْتُ أَتَخَبَّرُ الاخْبَارَ، وَأَسْأَلُ النَّاسَ حِينَ قَدِمَ المَدِينَةَ، حتَّى قَدِمَ عَلَيَّ نَفَرٌ مِن أهل يَثْرِبَ مِن أهل المَدِينَةِ، فَقُلتُ: ما فَعَلَ هذا الرَّجُلُ الذي قَدِمَ المَدِينَةَ؟ فَقالوا النَّاسُ: إليه سِرَاعٌ وَقَدْ أَرَادَ قَوْمُهُ قَتْلَهُ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا ذلكَ، فَقَدِمْتُ المَدِينَةَ فَدَخَلْتُ عليه، فَقُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، أَتَعْرِفُنِي؟ قالَ: نَعَمْ، أَنْتَ الذي لَقِيتَنِي بمَكَّةَ، قالَ: فَقُلتُ: بَلَى... الحديث»[1].

ومما يوكد هذا المعنى عناية القرءان المكي بالجانب الخلقي، ففي سورة المطففين جاء الوعيد الشديد فيها لمن يكتال في الميزان، وربط القرآن الكريم ذلك باليوم الآخر، قال تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ، الَّذِينَ إذا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ، وَإذا كَالُوهُمْ أو وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ، إلا يَظُنُّ أولئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ، لِيَوْمٍ عَظِيمٍ، يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[2].

وفي وصية لقمان لابنه وهو يعظه بوحدانية الوجود ولا ربا سواه، فتضمنت مجموعة من الوصايا الخلقية قال سبحانه: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأمر بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأصبر عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأمور، وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأرض مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ، وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾[3].

نعم لقد جعل النبي المجتبى الأخلاق الفاضلة عنوانا لدعوته، ومن مقاصد بعثته صلى الله عليه وسلم، ففي الحديث الصحيح المتصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره، عن

---

(1) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج1كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم الحديث 832 ص569.
(2) سورة المطففين الآية6
(3) سورة لقمان الآية19

مالك بن أنس، أنه قد بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بعثت لأتمم حسن الأخلاق»[1].

وفي حديث هرقل حين سأل أبا سفيان رضي الله عنه عما يدعوهم إليه النبي صلى الله عليه وسلم، ذكر في نص الحديث الجانب الخلقي، ((ثم قال: بما يأمركم؟ قال: قالت: يأمرنا بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف))[2].

ولزرع الأخلاق في النفوس البشرية لا بد من الاعتماد على آليات ناجعة تساعد على البناء السليم، والنبي سلى الله عليه وسلم كان سباقا إلى هذا التنوع من حيث الوسائل في البناء الخلقي، منها:

الوسيلة الأولى: القدوة العملية:

فالنبي صلى الله عليه وسلم كان قدوة حسنة في مجال التحلي بالأخلاق الحسنة ومكارمها، ويكفيه التزكية الربانية من لدن صاحب الشهادة العظمى، قال سبحانه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [3]. وهذا من فضل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم حيث قال: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأمر فإذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[4]، زيادة على ذلك تلك الشهادات المتعددة في حقه صلى الله عليه وسلم من لدن أصحابه رضوان الله عليهم بحسن الخلق، منها شهادة خادمه أنس رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا وكان لي أخ يقال له: أبو عمير -قال أحسبه فطيما-وكان إذا جاء قال: يا أبا عمير، ما فعل النغير؟ نغر كان يلعب به فربما حضر الصلاة وهو في بيتنا فيأمر بالبساط الذي تحته فينكس وينضح ثم يقوم ونقوم خلفه فيصلي بنا[5].

---

(1) الموطأ، مالك بن أنس، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت-لبنان-1406هـ-1985م، ج 2كتاب حسن الخلق، رقم الحديث8 ص904.

(2) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج 3 كتاب الجهاد والسير رقم الحديث 1773 ص1395.

(3) سورة القلم الآية 4.

(4) سورة ال عمران الآية159.

(5) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب الأدب رقم الحديث 6203 ص1547.

إذن فالقدوة العلمية في المجال الأخلاقي أمر مرغوب فيه، لأنها هي مفتاح النجاح ولذلك فينبغي للعالم والمربي والناصح وكل من له شأن في تقوية وزرع حسن الأخلاق ومكارمها يطلب منه على وجه الحتم أن يحسن نفسه بداية بالأخلاق الفاضلة ويتخلق بها ويقوم سلوكه، وسيرى في نهاية المطاف الأثر البليغ في نفس مربيه، قال تعالى: ﴿يَأيهَا الَّذِينَ آمنوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾[1].

لأن التأثير الفاعل في القدوة مرتبط ارتباطا وثيقا بخلق الصدق في القول والعمل، فهو بمثابة المرآة الحقيقية بالنسبة للمتربي اتجاه مربيه، فالخلق الصادق عن محبة حقيقية للإحسان إلى الآخرين وتوقيرهم، والاتصاف بسمة التواضع له أثر بليغ على المتلقي، وله أضعاف مضاعفة على أثر الخلق الذي يمكن أن يتقمصه المربي، لكن غير صادر من صميم قلب صادق.

الوسيلة الثانية: بيانه صلى الله عليه وسلم أهمية الاتصاف بمحاسن الخلق:

إن العلم بمنزلة حسن الخلق وأهميته، لمن أعظم ما يحفز ويسهم على التحلي والالتزام بمحاسن الأخلاق، ومجاهدة النفس على ذلك والمحافظة عليه، ومن صور بيانه صلى الله عليه وسلم مكانة حسن الخلق:

أولا: ربطه بالإيمان: جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أكمل الناس إيمانا أحسنهم خلقا، وخيارهم خيارهم لنسائهم»[2].

ثانيا: أنه أكثر الأسباب التي تساعد صاحبها لدخول الجنة، وترفع من قدره ومكانته عند الله، عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا زعيمٌ ببيتٍ في رَبَضِ الجنَّةِ لمن ترك المِراءَ وإن كان مُحقًّا وأنا زعيمٌ ببيتٍ في وسطِ الجنَّةِ لمن ترك الكذبَ وإن كان مازحًا وأنا زعيمٌ ببيتٍ في أعلى الجنَّةِ لمن حسُن خلُقُه»[3].

(1) سورة الصف الآية3.
(2) سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق رائد صبري ابن أبي علفة، دار الحضارة للنشر والتوزيع -الرياض-، ط2 1436هـ-2015م كتاب الرضاع رقم الحديث1162ص244.
(3) سنن أبي داوود، أبو داوود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، دار الرسالة العلمية، ط1 1430هـ-2009ج 7 رقم الحديث 4800ص178.

فدخول العبد إلى الجنة موقوف على الإيمان، والإيمان موقوف على خلق المحبة الصادق. عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: «سُئِلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم عن أكثر ما يُدْخِلُ الناسَ الجنةَ؟ فقال: تَقْوَى اللهِ وحُسْنُ الخُلُقِ، وسُئِلَ عن أكثر ما يُدْخِلُ الناسَ النارَ، قال: الأَجوَفَانِ الفَمُ والفَرْجُ»[1].

فحسن الخلق جعله النبي صلى الله عليه في أعلى الدراجات، وأفضل ما يعطى للعبد، فعن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال: «أتيتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وإله وسلَّمَ وأصحابه ع ندَهُ كأنما على رؤوسهمُ الطيرُ قال فسلَّمتُ عليهِ وقعدتُ قال فجاءتِ الأعراب فسألوهُ فقال يا رسولَ اللهِ نتداوى قال نعم تَداووا فإنَّ اللهَ لم يضعْ داءً إلا لهُ دواءٌ غيرَ داءٍ واحد الهرَمُ قال: وكان أسامة حين كَبُرَ يقولُ هل ترونَ وُضِعَ لي من دواءٍ الآن قال: وسألوهُ من أشياءٍ هل علينا حرجٌ في كذا وكذا؟ قال عبادُ اللهِ وَضَعُ اللهُ الحرجَ إلا رجلًا اقتضى امرءًا مسلمًا ظُلْمًا فذلك حرجٌ وهلكٌ وقالوا ما خيرُ ما أُعْطِيَ الناسُ يا رسولَ اللهِ قال خُلُقٌ حسنٌ»[2].

ثالثا: هذه الصور أنه فسره صلى الله عليه وسلم وجعله من قبيل البر، فعن النواس بن سمعان الأنصاري رضي الله عنه قال: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، عَنِ البِرِّ والإثم فَقالَ«: البِرُّ حُسْنُ الخُلُقِ، والإثم ما حَاكَ في صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عليه النَّاسُ»[3].

الوسيلة الثالثة: الثناء والتعزيز:

إن من وسائل البناء الخلقي عند النبي صلى الله عليه وسلم الثناء على من تخلق بالخلق الحسن، عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال-للأشج أشج عبد القيس-: «إنك فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم، والأناة»[4].

(1) المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسأبوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطار، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط 2 1422هـ-2002م، ج4 كتاب الرقائق رقم الحديث 7912 ص360.

(2) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط -وآخرون، دار مؤسسة الرسالة، ج30 رقم الحديث 18454ص394.

(3) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج 4 كتاب البر والصلة والآداب رقم الحديث 2553ص1980.

(4) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج1 كتاب الإيمان، رقم الحديث 17 ص48

فكان صلى الله عليه وسلم يثني على كل عمل صالح ينقل صاحبه إلى التحلي بالأخلاق الحسنة، ويذكرهم دائما أنه من أسباب استحقاق الإنسان رحمة الله تعالى بتحليه بالرحمة مع نفسه وما مخلوقات الله، عن معاوية بن قرة عن أبيه أنَّ رجُلًا قال: يا رسولَ اللهِ، إنّي لَأَذبَحُ الشاةَ وأنا أَرحَمُها، أو قال: إنّي لَأَرحَمُ الشاةَ أنْ أَذبَحَها، فقال: والشاةَ إنْ رَحِمْتَها رَحِمَك اللهُ، والشاةَ إنْ رَحِمْتَها رَحِمَك اللهُ[1].

الوسيلة الرابعة: بيان الجزاء في الآخرة:

فالنبي صلى الله عليه وسلم من كثرة حبه لإخوانه وللبشرية جميعا، دائما يرغب بحسن الحسن، ويحث عليه مبينا جزاءه في الدار الباقية، نسأل الله تعالى أن لا يحرم منها كل من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم، جاء في الحديث، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن نفَّسَ عن أخيهِ كُربةً من كُرَبِ الدُّنيا نفَّسَ اللَّهُ عنهُ كُربةً من كُرَبِ يومِ القيامة، ومن سترَ مسلِمًا سترَهُ اللَّهُ في الدُّنيا والآخرة، ومن يسَّرَ على مُعسرٍ يسَّرَ اللَّهُ علَيهِ في الدُّنيا والآخرة، واللَّهُ في عونِ العبدِ ما كانَ العبدُ في عونِ أخيهِ، ومَن سلَكَ طريقًا يلتَمسُ فيهِ عِلمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طريقًا إلى الجنَّةِ، وما قعدَ قومٌ في مسجِدٍ يتلونَ كتابَ اللَّهِ ويتدارسونَهُ بينَهُم، إلا نزلت علَيهِمُ السَّكينةُ، وغشيتهمُ الرَّحمةُ، وحفَّتهمُ الملائِكَةُ، ومن أبطأَ بِهِ عملُهُ لم يُسرِعْ بِهِ نسبُهُ»[2].

هذا من جانب الإيجاب ومن باب التحذير من مساوئ الأخلاق، فقد بين صلى الله عليه وسلم عقوبتها في الآخرة، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إياكُم والظُّلمَ، فإنَّ الظُّلمَ ظلماتٌ يومَ القيامة وإياكُم والفحشَ والتَّفحُّشَ، وإياكُم والشُّحَّ فإنَّما هلَكَ مَن كانَ قبلَكُم بالشُّحِّ، أمرهُم بالقطيعةِ فقَطعوا، وبالبُخلِ فبَخِلوا، وبالفُجورِ ففجَروا فقامَ رجلٌ فقالَ: يا رسولَ اللَّهِ، أي الإسلام أفضل؟ قالَ: أن يَسلمَ المسلمونَ من لسانكَ ويدِكَ. فقالَ ذلِكَ الرَّجلُ أو غيرُهُ: يارسولَ اللَّهِ أي الهجرة أفضل؟ قالَ: أن تَهْجُرَ ما كرِهَ ربُّك قالَ: والهجرة هجرتانِ: هِجرةُ الحاضرِ، وَهِجرةُ البادي،

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط -عادل مرشد، دار مؤسسة الرسالة، ج24رقم الحديث 15592ص359.

(2) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج 4 كتاب الجهاد والسير رقم الحديث 2699 ص2074

فَهِجرةُ البادي: أن يُجيبَ إذا دُعيَ، ويطيعَ إذا أمر، وَهِجرةُ الحاضرِ أعظمهُما بليَّةً وأفضلهُما أجرًا»[1].

الوسيلة الخامسة: بيان الجزاء المتعلق بالحياة الفانية:

من وسائل تحفيزه صلى الله عليه وسلم الصحابة الكرام على محاسن الخلق، بيان ثمرة حسن الخلق وعاقبته في الدنيا قبل الآخرة، فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عائِشَةُ إنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، ويُعْطِي علَى الرِّفْقِ ما لا يُعْطِي علَى العُنْفِ، وما لا يُعْطِي علَى ما سِواهُ[2].

ففي هذا الحديث النبوي الشريف بين فيه أثر الرفق ونتائجه وجعله من أسباب توفيق الله وتيسيره، فسر الإمام النووي رحمه الله هذا الحديث بقوله: ومعنى «يعطي على الرفق» أي: يثيب عليه مالا يثيب على غيره وقال القاضي: معناه يتأتى به من الأغراض ويسهل من المطالب ما لا يتأتى بغيره[3].

ومع أهمية تربية النفس على التجرد والتعلق بالآخرة وجزائها، إلا أن من طبيعة النفس البشرية أن يؤثر فيها الجزاء الدنيوي ويحفزها لابتغاء الرزق، جاء في القرءان الكريم حفز الناس على العمل الصالح ووعدهم بالجزاء في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أهل الْكِتَابِ آمنوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهم جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ والإنجيل وَمَا أنزل إليهمْ مِنْ رَبِّهِمْ لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أمة مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾[4].

وفي السنة النبوية حفز النبي صلى الله عليه وسلم على الجهاد بالغنيمة والسلب للقاتل، والثناء على من أحسن وأصاب من أصحابه ونحو ذلك.

(1) المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسأبوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطار، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط 2 1422هـ-2002م، ج1 رقم الحديث 26 ص55.
(2) مرجع سابق، صحيح مسلم بن الحجاج، ج 4 كتاب البر والصلة والأدب رقم الحديث 2593 ص2004.
(3) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف النووي، دار مؤسسة قرطبة، ط 2: 1414 – 1994، ج16 ص220.
(4) سورة المائدة الآية 66.

الوسيلة السادسة: إبراز الصور الإيجابية لمن يتحلى بمكارم الأخلاق:

كان يظهرها لأولئك الذي يحافظون على محاسن أخلاقهم من أجل إعطاء بهم سورة نموذجية يسير على منها الآخرين، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: « ليسَ الشَّدِيدُ بالصُّرَعَةِ، إنَّما الشَّدِيدُ الذي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ»[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «كذلك الشدة والقوة محبوبة، فبين أن قوة النفوس أحق بالمدح من قوة البدن، وهو أن يملك نفسه عند الغضب كما قيل لبعض سادات العرب: ما بال عبيدك أصبر منكم عند الحرب وعلى الأعمال؟ قال: هم أصبر أجسادا ونحن أصبر أنفاسا»[2].

وقال أيضا رحمه الله: « والشجاعة ليست هي قوة البدن فقد يكون الرجل قوي البدن ضعيف القلب، وإنما هي قوة القلب وثباته فإن القتال مداره على قوة البدن وصنعته للقتال وعلى قوة القلب وخبرته به، والمحمود منهما ما كان بعلم ومعرفة دون التهور الذي لا يفكر صاحباه، ولا يميز بين المحمود والمذموم، ولهذا كان القوي والشديد هو الذي يملك نفسه عند الغضب حتى يفعل ما يصلح دون مالا يصلح، فأما المغلوب حين غضبه فليس هو بشجاع ولا شديد»[3].

الوسيلة السابعة: عدم الاستخفاف بما هو يسير:

كان صلى الله عليه وسلم يربي صحابته على عدم احتقار محاسن الأخلاق اليسيرة، فكان يحثهم على البذل والإحسان ولو كان يسيرا، عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: سمعت

(1) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب الأدب رقم الحديث6114 ص1529.
(2) مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية، تحقيق: عبد الرحمان بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف-المدينة المنورة- سنة 1425هـ-2004، ج18ص280.
(3) كتاب الاستقامة، ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، إدارة الثقافة والنشر، ط2 1411هـ-1991م، ج2 ص271.

رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقول: «مَنِ اسْتَطاعَ مِنكُم أنْ يَسْتَتِرَ مِنَ النَّارِ ولو بشِقِّ تَمْرَةٍ، فَلْيَفْعَلْ». [1]

فنجد المصطفى صلى الله عليه وسلم يحث النساء ويزرع فيهن سنة التهادي بينهن، حتى ولو كانت الهدية شيئا يسيرا، المهم في هذا إبراز سمات التربية النبوية وأثرها في النفوس البشرية، وعدم الاحتقار أي معروف الإخلاص في العمل، وربط العلاقة الإنسانية الأخوية بين المسلمات فيما بينهن ولو بالشي القليل، فالبركة في القليل.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا نِساءَ المُسْلِماتِ، لا تَحْقِرَنَّ جارَةٌ لِجارَتِها، ولو فِرْسِنَ شاةٍ»[2].

فعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: « لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»[3].

والمعروف في الشريعة الإسلامية لا يقتصر على بذل المال فقط وهذا ما عناه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كلُّ معروفٍ صدقةٌ وإن من المعروفِ أن تَلْقَى أخاك بوجهٍ طَلْقٍ وأن تُفْرِغَ من دَلْوِكَ في إناءِ أخيكَ»[4].

فالاعتناء عند النبي صلى الله عليه وسلم بتعزيز الإحسان والبذل ولو بشيء قليل لدي صحابته لرضوان الله عليهم لا يعني ضعف الهمة عندهم والاكتفاء ببذل اليسير وفضلة المال بل هو أكثر مما يمكن تصوره، فهو صلى الله عليه وسلم يحثهم على السخاء والعطاء من نفيس ما كانوا يملكونه رضوان الله عليهم، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سَأَلْتُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أي العَمَلِ أفضل؟ قالَ: «إيمان باللَّهِ، وجِهَادٌ في سَبيلِهِ، قُلتُ: فأي الرِّقَابِ أفضل؟ قالَ: أعْلَاهَا ثَمَنًا، وأَنْفَسُهَا عِنْدَ أهلِهَا، قُلتُ: فإنْ لَمْ أفْعَلْ؟ قالَ:

(1) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج 2 كتاب الزكاة رقم الحديث 1016 ص703

(2) المصدر نفسه: ج 2 كتاب الزكاة، رقم الحديث 1030ص714.

(3) المصدر نفسه: ج4 كتاب البر والصلة والآداب رقم الحديث2626 ص2026.

(4) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط -عادل مرشد، دار مؤسسة الرسالة، ج23رقم الحديث 14877ص161.

تُعِينُ ضَايِعًا، أو تَصْنَعُ لأخرقَ،. قالَ: فإنْ لَمْ أفْعَلْ؟ قالَ: تَدَعُ النَّاسَ مِنَ الشَّرِّ، فإنَّهَا صَدَقَةٌ تَصَدَّقُ بهَا علَى نَفْسِكَ»[1].

الوسيلة الثامنة: مبدإ الواقعية ومراعاته حال الناس:

سبق الإشارة في المبحث السابق عن الواقعية ومراعاة أحوال الناس في التربية النبوية، وتتجلي خاصية الواقعية في البناء الخلقي، فهو صلى الله عليه وسلم يراعي حال الإنسان فيعطي من يرى أنه يستحق لظروفه الخاصة وهو أدرى به صلى الله عليهم وسلم، فهو س يد الكونين والثقلين والفريقين من عرب ومن عجم، عن عمر بن غلب رضي الله عنه قال: أنَّ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أُتِيَ بمَالٍ - أو سَبْيٍ - فَقَسَمَهُ، فأعطى رِجَالا وتَرَكَ رِجَالا، فَبَلَغَهُ أنَّ الَّذِينَ تَرَكَ عَتَبُوا، فَحَمِدَ اللَّهَ، ثُمَّ أثنى عليه، ثُمَّ قالَ: أمَّا بَعْدُ فَوَاللَّهِ إنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ، وأَدَعُ الرَّجُلَ، والذي أدَعُ أحب إلَيَّ مِنَ الذي أُعْطِي، ولَكِنْ أُعْطِي أقْوَامًا لِما أرَى في قُلُوبِهِمْ مِنَ الجَزَعِ والهلَعِ، وأَكِلُ أقْوَامًا إلى ما جَعَلَ اللَّهُ في قُلُوبِهِمْ مِنَ الغِنَى والخَيْرِ، فيهم عَمْرُو بنُ تَغْلِبَ فَوَاللَّهِ ما أحب أنَّ لي بكَلِمَةِ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ حُمْرَ النَّعَمِ» [2].

الوسيلة التاسعة: استثمار الموقف: كان صلى الله عليه وسلم يستثمر المواقف ذات التأثير البليغ في النفوس فينميها في المجال الأخلاقي، فمثلا: وصيته للمرأة التي فقدت أعز ما تملك فحثها على الصبر، مبينا لها أن الصبر يكون عند الصدمة الأولى، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال لامرأة مِن أهلِهِ: تَعْرِفِينَ فلانةَ؟ قالَتْ: نَعَمْ، قالَ: فإنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مَرَّ بهَا وهي تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ، فَقالَ: فإنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مَرَّ بهَا وهي تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ، فَقالَ: اتَّقِي اللَّهَ، وأصبري، فَقالَتْ: إلَيْكَ عَنِّي، فإنَّكَ خِلْوٌ مِن مُصِيبَتِي، قالَ: فَجَاوزَهَا ومَضَى، فَمَرَّ بهَا رَجُلٌ فَقالَ: ما قالَ لَكِ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ؟ قالَتْ: ما عَرَفْتُهُ؟ قالَ: إنَّه لَرَسو لُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، قالَ: فَجَاءَتْ إلى بَابِهِ فَلَمْ تَجِدْ عليه بَوَّابًا، فَقالَتْ: يا رَسولَ اللَّهِ، واللَّهِ ما عَرَفْتُكَ، فَقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: إنَّ الصَّبْرَ عِنْدَ أول صَدْمَةٍ. [3]

---

(1) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب العتق، رقم الحديث2518ص610.

(2) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب الجمعة، رقم الحديث923ص223.

(3) المصدر نفسه: كتاب الأحكام، رقم الحديث 7154، ص1767.

ولنا في الموقف الشريف للنبي صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة في مواقف تقشعر منها الجلود وتتأثر بها القلوب وتدمع لسماعها العيون، فعن أبي أسامة رضي الله عنه قال: "كُنَّا عِنْدَ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، فأرْسَلَتْ إليه أحدى بَنَاتِهِ تَدْعُوهُ، وَتُخْبِرُهُ أنَّ صَبِيًّا لَهَا، أو ابْنًا لَهَا في المَوْتِ، فَقالَ لِلرَّسُولِ: ارْجِعْ إليها، فأخبِرْهَا: أنَّ لِلَّهِ ما أخذَ وَلَهُ ما أعطى، وَكُلُّ شيءٍ عِنْدَهُ بأجل مُسَمًّى، فَمُرْهَا فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ، فَعَادَ الرَّسُولُ، فَقالَ: إنَّهَا قدْ أَقْسَمَتْ لَتَأْتِيَنَّهَا، قالَ: فَقَامَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، وَقَامَ معهُ سَعْدُ بنُ عُبَادَةَ، وَمُعَاذُ بنُ جَبَلٍ، وَانْطَلَقْتُ معهُمْ، فَرُفِعَ إليه الصَّبِيُّ وَنَفْسُهُ تَقَعْقَعُ كَأنَّهَا في شَنَّةٍ، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، فَقالَ له سَعْدٌ: ما هذا يا رَسولَ اللهِ؟ قالَ: هذِه رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ في قُلُوبِ عِبَادِهِ، وإنَّما يَرْحَمُ اللَّهُ مِن عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ"[1].

الوسيلة العاشرة: تصحيح المفاهيم عن الأخلاق:

من الأمور التي كان صلى الله عليه وسلم يركز عليه مع إخوانه تبيينه ما استشكل عليهم من مفاهيم حول الأخلاق وغيرها فكان صلى الله عليه وسلم مفتاحا للخير في كل شيء.

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «مَرَّ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ علَى رَجُلٍ، وهو يُعَاتِبُ أخاهُ في الحَيَاءِ، يقولُ: إنَّكَ لَتَسْتَحْيِي، حتَّى كَأنَّهُ يقولُ: قدْ أضَرَّ بكَ، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: دَعْهُ، فإنَّ الحَيَاءَ مِنَ الإيمان». [2]

وقد أشار عدد من شراح الحديث إلى أن المراد من قوله: «الحياء» قد يلتبس بما ليس فيه قال الإمام النووي: «وأما م كون الحياء خيرا كله ولا يتأتى إلا بخير فقد يشكل على بعض الناس من حيث إن صاحب الحياء قد يستحي أن يواجه بالحق من يجله فيترك أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وقد يحمله الحياء على الإخلال ببعض الحقوق وغير ذلك مما هو معروف في العادة وجواب هذا ما أجاب به جماعة من الأئمة منهم الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله: إن هذا المانع الذي ذكرناه ليس بحياء حقيقة، بل هو عجز وخور ومهانة، وإنما تسميه

(1) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج 2 كتاب الجنائز رقم الحديث 923 ص635

(2) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب الأدب، رقم الحديث6118ص1529.

حياء من إطلاق بعض أهل المعروف أطلقوه مجازا لمشابهة الحياء الحقيقي، وإنما حقيقة الحياء خلق يبعث على ترك القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق ونحو هذا[1].

الوسيلة الحادية عشرة: التوجيه العملي:

فإذا كان من الطبيعي أنه اعتنى صلى الله عليه وسلم بكل هو من قبيل القول لأصحابه الكرام وحثهم عليه، فهو بلا شك الهدف الأسمى لحديثه عن جانب الأخلاق من حيث التنظير وصولا إلى جانب التنزيل في نهاية المطاف.

فخير مثال نسوقه لكي نؤكد ما قلناه آنفا، نأخذ الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري رضي الله عنه فنجد الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم يرشده ويحثه على إتيان محاسن الأخلاق ومكارمها مع جيرانه، فعن عبد الله بن الصامت، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: «إِنَّ خَلِيلِي أوصَانِي أَنْ أَسْمع وَأُطِيعَ، وإنْ كانَ عَبْدًا مُجَدَّعَ الأَطْرَافِ، وَأَنْ أصلي الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا، فإنْ أدركتَ القَوْمَ وَقَدْ صَلَّوْا كُنْتَ قدْ أَحْرَزْتَ صَلَاتَكَ، وإلا كَانَتْ لكَ نَافِلَةً». [2]

وأرشد صلى الله عليه وسلم من استنصحه بعمل ينفعه ويدخله الجنة إلى خلق عملي في كف الأذى، عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قُلتُ: يا نَبِيَّ اللهِ عَلِّمْنِي شيئًا أَنْتَفِعُ به، قالَ: «اعْزِلِ الأذى عن طَرِيقِ المُسْلِمِينَ»[3].

وفي رواية لأحمد: قال: قالت: يارسولَ اللَّهِ، دُلَّني على عملٍ يدخلني الجنة -أو أنتفعُ بِهِ-، قالَ: «اعزلِ الأذى عن طريقِ المسلِمينَ»[4].

وحدثهم صلى الله عليه وسلم عن صورة عملية لمن أماط الأذى عن طريق المسلمين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كانت شجرةٌ تؤذي أهل الطَّريقِ فقطعَها رجلٌ فنحَّاها عنِ الطَّريقِ فدخل الجنَّةَ»[5].

(1) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف النووي، دار مؤسسة قرطبة، ط 2: 1414 – 1994، ج 2 كتاب الإيمان، ص7.

(2) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج 2 كتاب المساجد ومواضع الصلاة رقم الحديث 648 ص448

(3) المصدر نفسه: ج 4 كتاب البر والصلة والآداب، رقم الحديث 2618 ص2022.

(4) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط -وآخرون، دار مؤسسة الرسالة، ج33رقم الحديث19791ص35.

(5) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط -وآخرون، دار مؤسسة الرسالة ج14 رقم الحديث 8520ص207.

الوسيلة الثانية عشرة: المقارنة الخلقية:

يقارن النبي صلى الله عليه وسلم في توجيهه لأصحابه بين محاسن الأخلاق ومساوئها في صورتين متقابلتين، فيقارن بين الحياء والبذاء يبين فيه من المصير كل فريق منهما، عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « الحياءُ من الإيمان، والإيمان من الجنَّةِ، والبذاءُ من الجفاءِ، والجفاءُ في النَّارِ»[1].

فيقارن بين صاحب الإيمان، وبين صاحب الفجور في أخلاقهما، فيقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضى الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسم« إنَّ المؤمن غِرٌّ كريمٌ، وإنَّ الفاجرَ خَبٌّ لئيمٌ»[2].

علق الخطابي في كتابه معالم السنن على هذا الحديث، فقال ما نصه: «معنى هذا الكلام أن المومن المحمود هو من كان طبعه وشيمته الغرارة وقلة الفطنة للشر وترك البحث عنه وأن ذلك ليس منه جهلا لكنه كرم وحسن خلق وأن الفاجر من كانت عادته الخب والدهاء والوغول في معرفة الشر وليس ذلك منه عقلا لكنه خب ولؤم»[3].

المطلب الثالث: المجال العقلي:

يتعبر الاهتمام ببناء العقل الإنساني ذو الفكر السليم في البلدان النامية وغيرها أهم شيء ينبغي ان تعمل عليه الآن في عصرنا الحاضر والتركيز عليه، لتوجيه وإنشاء وتحقيق أهداف المجتمعات العربية والاسلامية وتطلعاتها وفق تصوراتها ومعتقداتها.

فالاهتمام ببناء العقل له أهمية عظيمة ومأسسة نبيلة، باعتباره ضروري في البناء الفكري الناجح، ومكون من مكونات الشخصية الإنسانية، ونظرا لآثاره الإيجابية والسلبية في المجتمع الانتمائي له.

(1) سنن ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني، تحقيق: رائد صبري دار الحضارة للنشر والتوزيع-الرياض-، ط2 1436هـ-2015م، كتاب الزهد، رقم الحديث 4184ص649.

(2) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط -وآخرون، دار مؤسسة الرسالة، ج15رقم الحديث9118ص59.

(3) معالم السنن، أبو سليمان محمد بن محمد الخطابي، تحقيق: محمد راغب الطباخ، دار المطبعة العلمية -حلب- ط1 1351هـ-1932، ج 4 ص108.

إن الحاجة ملحة وماسة لبناء العقل وتمنية قدراته الإبداعية بناء متكاملا يواجه التحديات التي تواجهه في الحياة.

فالشرع الإسلامي تعامل مع العقل بمبدإ المسؤولية العقلانية محذرا إياه عن التيه والزيغ والهلاك.

فالعقل هو مناط التكليف وبه يتم التميز ما بين الصواب والخطأ، روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رُفِعَ القلَمُ عن ثلاثٍ: عنِ النَّائمِ حتَّى يستيقِظَ، وعنِ الصَّغيرِ حتَّى يكبَرَ، وعنِ المجنونِ حتَّى يعقِلَ ويُفِيقَ» (1).

ولأهمية العقل ومكانته ربط النبي صلى الله عليه وسلم إقامة الحد على المعتدي بتمام العقل، فعن عبد الله بن أبي بريدة رضي الله عنه، عن أبيه، أن ماعز بن مالك الأسلمي رضي الله عنه، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: « إنِّي قدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَزَنَيْتُ، وإنِّي أُرِيدُ أَنْ تُطَهِّرَنِي، فَرَدَّهُ، فَلَمَّا كانَ مِنَ الغَدِ أَتَاهُ، فَقالَ: يا رَسولَ اللهِ، إنِّي قدْ زَنَيْتُ، فَرَدَّهُ الثَّانِيَةَ، فأرْسَلَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ إلى قَوْمِهِ، فَقالَ: أَتَعْلَمُونَ بعَقْلِهِ بَأْسًا، تُنْكِرُونَ منه شيئًا؟ فَقالوا: ما نَعْلَمُهُ إلا وَفِيَّ العَقْلِ مِن صَالِحِينَا فِيما نُرَى، فأتَاهُ الثَّالِثَةَ، فأرْسَلَ إليهم أيضا فَسَأَلَ عنْه، فأخبَرُوهُ أنَّهُ لا بَأْسَ به، وَلَا بعَقْلِهِ، فَلَمَّا كانَ الرَّابِعَةَ حَفَرَ له حُفْرَةً، ثُمَّ أمر به فَرُجِمَ... »(2)

ونص علماء الشريعة على ارتباط التكليف وصحة العبادة والعقود بالعقل، روي في الموطأ: قال يحي: سمعت مالكا يقول: « الأمر المجتمع عليه عندنا أن الضعيف في عقله والسفيه والمصاب تجوز وصاياهم إذا كان معهم من عقولهم ما يعرفون ما يوصفون به فأما من ليس معه من عقله ما يعرف بذلك ما يوصي به وكان مغلوبا على عقله فلا وصية له»(3).

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط -وآخرون، دار مؤسسة الرسالة، ج41رقم الحديث24694ص224.

(2) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج 3 كتاب الحدود، رقم الحديث 1695 ص1321.

(3) الموطأ، مالك بن أنس، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت-لبنان-1406هـ-1985م، ج 2 كتاب الوصية: رقم: 3 ص763.

وهذا الارتباط الذي استشفه العلماء فالنبي صلى الله عليه وسلم حث عليه وبين منزلته وربي صحابته عليه وفق ما أشار إليه منهج القرءان في آيات كثيرة عندما قال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأرض وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيات لأولي الالْبَابِ﴾[1].

فجعل هذا الآية الكريمة وغيرها بمثابة إقامة الحجة على إعمال العقل والفكر في ملكوت الله، فيمكن اعتباره من باب الوعيد لمن استمع إلى هذه الآية ولم تترك فيه أي أثر داع إلى التفكير والتفكر في معاني القرءان الكريم، من خلال الوقوف على الآيات التي تتحدث عن الأمم الماضية وما وقع لها، وكذلك النظر في كمال وجمال هذا الكون البديع وما يدور في فلكه، فسبحان الخالق الذي أحسن كل شيء، فالنظر والتفكر نعمة من الله على الإنسان أودعها الله في قلب الإنسان الذي كرمه بالعقل والتميز عن سائر المخلوقات، فأمره بالهداية واتباع المنهج القويم.

ولا شك أن بناء الفكر الإنساني عندما يبنى على هذا التصور الوجودي المذكور في القرءان وفي السنة النبوية، المبني على التسخير والتكريم والتفضيل، سيعمل جاهدا الوقوف على هذه المعاني الربانية التي تخاطب العقل بالتأمل والاستنباط، لزيادة الإيمان ونمو القدرة والملكة لإدراك عظمة الخالق وجمال خلق وكماله وحكمة التشريع وإعجازه، وسنن الله في الأنفس والآفاق.

وحتى لا يجول هذا التفكير في عالم لا نهاية له ولا فائدة منه ترجى، جعل المشرع له مسالك يسلكها حتى لا يحيد عن الطريق، فتوظيف العقل فيما لم يخلق له لا يوصله في النهاية إلى نتيجة، ولا يحقق المراد بل يقوده إلى الهلاك والضلال المبين، فاستثنى البعض، وأهمها:

1. مجال التفكير في ذات الله عز وجل:

لقد نهى صلى الله عليه وسلم عن التفكير في ذات الله، وأمر بصرف العقل إلى ما تحسنه وينتفع به.

(1) سورة آل عمران الآية 190.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « يأتي الشيطانُ أحدكم فيقول: مَن خلق كذا؟ مَن خلق كذا؟ حتى يقول: مَن خلق ربُّك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته»[1].

والتساؤل أو التفكر هو: عملية إكسابية فكرية عند الإنسان، تقوده إلى الفكر والاستنباط، إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يجعل هذه العملية بدون نهاية، بل وضع لها ضابطا تحتكم إليه، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَنْ يَبْرَحَ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حتَّى يقولوا: هذا اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شيءٍ، فمَن خَلَقَ اللَّهَ؟ »[2].

2. مجال التفكر في الأمور الغيبة:

إذا كان الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز يقول: ﴿وعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إلا هُوَ﴾[3]. والنبي صلى الله عليه وسلم أشار إلى هذا، فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم: «مَفاتِيحُ الغَيْبِ خَمْسٌ، لا يَعْلَمُها إلا اللَّهُ: لا يَعْلَمُ ما تَغِيضُ الأرحام إلا اللَّهُ، ولا يَعْلَمُ ما في غَدٍ إلا اللَّهُ، ولا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتي المَطَرُ أحد إلا اللَّهُ، ولا تَدْرِي نَفْسٌ بأي أرض تَمُوتُ إلا اللَّهُ، ولا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إلا اللَّهُ»[4].

إن من يتساءل عن الغيب أو يبحث عن الإجابة بإعمال عقله فيما يخص الأسئلة الغيبية فهو مخطئ في نفسه ومع ذاته البشرية فلكل شيء حدود، ولكل عقل حدود لا يمكن أن يتجاوزها الإنسان مهما أوتي: تدبرا وتأملا..، والاشتغال به يخرج صاحبه عن عين الصواب والرشاد.

3. ذم التقليد الأعمى:

تقليد الآخرين الذي يطلق عليه عند العلماء بالتقليد الأعمى لأنه لا يوصل صاحبه إلى نتائج سليمة، فقد ذم النبي صلى الله عليه وسلم هذا النوع، فعن أبي سعيد الخدري رضي

(1) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب بدء الخلق، رقم الحديث 3276 ص807.

(2) المصدر نفسه: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة رقم الحديث 7296 ص1801.

(3) سورة الأنعام الآية 59.

(4) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب التوحيد رقم الحديث: 7379ص1822.

الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن قَبْلَكُمْ شِبْرًا بشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بذِرَاعٍ، حتَّى لسَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ، قُلْنَا يا رَسُولَ اللَّهِ: اليهود، وَالنَّصَارَى؟ قالَ: فَمَنْ؟ »[1].

4. مجال ذم اتباع الظن:

إن من آفات التفكير السلبي اتباع كل ما هو من قبيل الظن والوهم والسير وراءه، لقد حذر صلى الله عليه وسلم من اتباع الظن، وأخبر أنه لا يقود إلى الصدق والحق، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله عليه وسلم: « إياكُمْ والظَّنَّ، فإنَّ الظَّنَّ أكْذَبُ الحَديثِ، ولا تَحَسَّسُوا، ولا تَجَسَّسُوا، ولا تَنافَسُوا، ولا تَحاسَدُوا، ولا تَباغَضُوا، ولا تَدابَرُوا، وكُونُوا عِبادَ اللهِ أخوانًا». [2]

المطلب الرابع: المجال الجسمي:

إن الجسد في أصله ذاك الوعاء الذي يحمل قلب الإنسان ومشاعره، وهو الأداة التي من خلالها يؤدي الإنسان ما عليه اتجاه ربه، الذي كان سببا في وجوده، وبه تقضى مصالح دنياه وآخراه. بالحفاظ عليه وتسخيره فيما يحبه الله ورسوله، وهو من أهم عناصر النعم التي أنعم الله بها على البشرية، فصحة الجسد وسلامة البدن نعمة لا تقدر بثمن ولا تباع وتشترى، من أصبح سالما في بدنه كأنما أحيزت له الدنيا بحذافيرها، ولا تظهر قيمته إلا بعد فقده وهذا طبعا عند ذوي أهل العقول وأصحاب الأفهام التي تتعظ بالوقائع والأحداث وترجع إلى الصواب وطريق الرشاد.

فإن الاعتناء بالجسد الذي اعتبره الشرع ضمن الكليات الخمس، فأمر بالحفاظ عليه والاعتناء به عناية تامة في جميع مكوناته الهادفة إلى: النماء والاستقرار والعطاء.

وللتربية النبوية دور هام في هذا النمو الشامل للإنسان، بناء وتربية وسلوكا، ولهذا فالحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم اعتنى به وأكد عليه واعتبر صلى الله عليه وسلم

(1) المصدر نفسه: كتاب احاديث الانبياء، رقم الحديث 3456 ص856.
(2) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412ه 1991م، ج 4 كتاب البر والصلة والآداب، رقم الحديث 2563 ص1985.

حق البدن من الحقوق الواجبة المنوطة إلى الإنسان، وهو مسؤول عن رعايتها أمام الله وأمام العبد.

لقد اعتنت واهتمت التربية النبوية وعالجت قضية الجسمانية لدى الفرد باعتباره كيان وجودي لها دور وظيفي في هذه الحياة، وأهم هذه الخطوط العريضة والمبادئ التي رسمها المنهج النبي يمكن أجملها في النقاط الآتية[1]:

1. تأكيد المسؤولية عن الجسم:

لقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن الإنسان سيسأل عن جسمه يوم القيامة، عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه وأرضاه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزول قدما عبدٍ حتى يسأل عن عمُرِهِ فيما أفناهُ، وعن علمِه فيما فعل، وعن ماله من أين اكتسَبه وفيما أنفقَه، وعن جسمِه فيما أبلاهُ»[2].

والشاهد في هذا الحديث عندنا أن النبي صلى الله عليه وسلم حث الإنسان على مراعاة هذه النعمة، وينبغي أن تستثمر في طاعة الله ورسوله، لأن الإنسان سيحاسب عن كل صغيرة وكبيرة فيقتضي أن يكون هذا التوظيف الجسماني باغتنام نشاط الجسم وحيويته في الطاعات. ثم الحفاظ عليه والاعتناء به، فذلك وسيلة ابتلائه نحو القربات. وعدم الإفراط في وظائفه فالجسم أمانة بين رقبة الإنسان، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ياعَبْدَ اللَّهِ، أَلَمْ أخبَرْ أنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ، وتَقُومُ اللَّيْلَ؟، فَقُلْتُ: بَلَى يا رَسولَ اللَّهِ قَالَ: فلا تَفْعَلْ صُمْ وأَفْطِرْ، وقُمْ ونَمْ، فإنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وإنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وإنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وإنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وإنَّ بحَسْبِكَ أنْ تَصُومَ كُلَّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أيامٍ، فإنَّ لكَ بكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أمثالها، فإنَّ ذلكَ صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ، فَشَدَّدْتُ، فَشُدِّدَ عَلَيَّ قُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ إنِّي أجِدُ قُوَّةً قَالَ: فَصُمْ صِيَامَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوودَ عليه

(1) منهج التربية النبوية للطفل، محمد نور بن عبد الحفيظ سويد، دار طيبة -مكة المكرمة-، ط2 1421هـ-2000م، ص344. بتصرف.

(2) سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق رائد صبري ابن أبي علفة، دار الحضارة للنشر والتوزيع -الرياض-، ط2 1436هـ-2015م كتاب صفة القيامة والرقائق رقم الحدبث2417ص477.

السَّلَامُ، ولَا تَزِدْ عليه، قُلتُ: وما كانَ صِيَامُ نَبِيِّ اللَّهِ دَاُودَ عليه السَّلَامُ؟ قَالَ: نِصْفَ الدَّهْرِ، فَكانَ عبدُ اللَّهِ يقولُ بَعْدَ ما كَبِرَ: يا لَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ»[1].

2. الرياضة والترويح عنه:

مارس النبي صلى الله عليه وسلم الرياضة بنفسه، فقد سابق عائشة رضي الله عنها ولنتركها تروي لنا هذا القصة بنفسها رضي الله عنها وأرضاها، كنت في سفر مع النبي صلى الله عليه وسلم، قالت: «فسابَقْتُهُ فسبَقْتُهُ على رِجْلَيَّ، فلمَّا حمَلْتُ اللَّحْمَ سابَقْتُهُ فسبَقني، فقال: هذه بتِلك السَّبْقةِ»[2]

وفي سياق آخر أذن النبي صلى الله عليه وسلم للحبشة بأن يلعبوا بحرابهم في المسجد ونهى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن منعهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينا الحبشة يلعبون عند النبي صلى الله عليه وسلم بحرابهم دخل عمر فأهوى إلى الحصى فحصبهم بها فقال: دعهم يا عمر»[3]. وفي روآية للحميدي: «الْعَبوا يا بَني أَرْفِدةَ، يَعلَمِ اليهود والنَّصارى أنَّ في دِينِنا فُسْحةً»[4].

إن الاعتناء بممارسة الرياضة بمتخلف أنواعها أمر مرغوب فيه، فهو يبني الجسم وينميه من جانب المظهر الخارجي له، وفي الوقت نفسه تعتبر متنفسا لبعض الصعوبات أو الضغوطات التي يعيشها بعض الأطفال أو الأفراد في محيطهم، ولذلك ينبغي استغلال هذه الوظيفية التركيبة لدى الجسم، وخاصة في الترويح عن النفس إن كانت تحتاج إلى راحة نفسية وتغيير نمط الحياة المملوءة بأتعاب الحياة مع التركيز عن عدم الإفراط فيها بل التأكيد على مبدإ التوازن في كل شيء.

(1) صحيح البخاري، محمد بن إسماعي، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب الصوم، رقم الحديث1975ص474

(2) سنن أبي داوود، أبو داوود سليمان بن الاشعث الازدي السجستاني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد كامل، دار الرسالة العلمية، ط1 1430هـ-2009ج 4 رقم الحديث 2578ص223.

(3) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج 2 كتاب صلاة العيدين الصلاة رقم الحديث 893 ص610

(4) مسند الحميدي، أبو بكر عبد الله بن الزبير القرشي، تحقيق: حسن سليم أسد الدَّارَانيّ، دار المغني للنشر والتوزيع -الرياض-، ط 2 1423هـ-2002م، ج3رقم الحديث 256ص286.

3. الاعتدال في الطعام والشراب:

فكل ما يضر الإنسان قد نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم، نهى عن الإكثار في تناول الطعام وأمر بالاقتصاد والتوازن فيه القائم على القاعدة الفقهية التي تقول: «لا ضرر ولا ضرار».

عن المقدام بن عدي كرب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما ملأ آدميّ وعاءً شرا من بطنٍ بحسبِ ابنِ آدمَ أكلاتٌ يُقمنَ صُلبهُ، فإن كان لا محالةَ، فثلثُ طعامٍ، وثلثُ شرابٍ، وثلثُ لنفسهِ»[1].

4. حماية الطفل مما يضر به:

يأمر الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم الأسرة بحماية أبنائها عما يضرها، ومن ذلك: اللعيب في الأوقات الغير المناسبة له.

روى جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا كانَ جُنْحُ اللَّيْلِ، أو أمْسَيْتُمْ، فَكُفُّوا صِبْيَانَكُمْ، فإنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ، فإذا ذَهَبَتْ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ فَخَلُّوهُمْ، وأَغْلِقُوا الأبواب وأذكروا اسْمَ اللَّهِ، فإنَّ الشَّيْطَانَ لا يَفْتَحُ بَابًا مُغْلَقًا. قالَ: وأخبَرَنِي عَمْرُو بنُ دِينَارٍ، سَمِعَ جَابِرَ بنَ عبدِ اللَّهِ، نَحْوَ ما أخبَرَنِي عَطَاءٌ، ولَمْ يَذْكُرْ: وأذكروا اسْمَ اللَّهِ»[2].

5. أخذ الوقاية:

أرشد النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى الوقاية مما يضر بهم، فعن ابن وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن تَصَبَّحَ كُلَّ يَومٍ سَبْعَ تَمَراتٍ عَجْوَةً، لَمْ يَضُرَّهُ في ذلكَ اليَومِ سُمٌّ ولا سِحْرٌ»[3].

---

(1) سنن الترمذي،، تحقيق: رائد صبري ابن أبي علفة، دار الحضارة للنشر والتوزيع -الرياض-، ط2 1436هـ-2015م كتاب صفة الزهد، رقم الحدبث2380ص469.

(2) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب بدا الخلق، رقم الحديث3280ص808

(3)المصدر نفسه: كتاب الأطعمة، رقم الحديث 5445ص1386.

6. التداوي:

حث النبي صلى الله عليه وسلم التداوي من الأمراض التي يمكن أن يصاب بها الجسم، ووجه صحابته إلى ذلك وحثهم عليه وفعله هو بنفسه فهو بذل للسبب ورعاية للصحة. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء»[1].

وفي رواية لمسلم: عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله تعالى»[2].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أنه سئل عن أجر الحجام، فقال: «احْتَجَمَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، حَجَمَهُ أبو طَيْبَةَ، وأَعْطَاهُ صَاعَيْنِ مِن طَعَامٍ، وكَلَّمَ مَوَاليه فَخَفَّفُوا عنْه، وقَالَ: إنَّ أمْثَلَ ما تَدَاوَيْتُمْ به الحِجَامة، والقُسْطُ البَحْرِيُّ»[3].

يقول ابن القيم رحمة الله عليه: «فكان من هديه صلى الله عليه وسلم فعل التداوي في نفسه والأمر به لمن أصابه مرض من أهله وأصحابه...، وكان علاجه صلى الله عليه وسلم للمرض ثلاثة أنواع: أحدها بالأدوية الطبيعية والثاني بالأدوية الأهلية والثالث بالمركب من الأمرين»[4].

7. النظافة:

لقد أكد صلى الله عليه وسلم على معاني النظافة والطهارة وجسدها صلى الله عليه وسلم قولا وعملا، كما صورها القرءان الكريم، لأنه القدوة الحسنة في كل شيء ولا ينطق عن الهوي، فبين صلى الله عليه وسلم أنه من السنن الفطرية التي ينبغي الإنسان أن يلتزم ويحافظ عليها، والمحافظة لا تكون إلا بالرعاية في كل وقت وحين، عن عائشة رضي الله

---

(1) المصدر نفسه، كتاب الطب رقم الحديث 5678 ص 1441.

(2) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج 4 كتاب السلام رقم الحديث 2204 ص1729.

(3) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج 3 كتاب المساقاة رقم الحديث 1577 ص1204.

(4) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم الحوزية، دار الفجر للتراث-القاهرة-ط1 1425هـ-2004م، ج3 ص157.

عنها قالت: قال رسول الله صلى الله علسه وسلم: «عَشْرٌ مِنَ الفِطْرَةِ: قَصُّ الشَّارِبِ، وإِعْفاءُ اللِّحْيَةِ، والسِّواكُ، واسْتِنْشاقُ الماءِ، وقَصُّ الأظفار، وغَسْلُ البَراجِمِ، ونَتْفُ الإبط، وحَلْقُ العانَةِ، وانْتِقاصُ الماءِ. قالَ زَكَرِيّا: قالَ مُصْعَبٌ: ونَسِيتُ العاشِرَةَ إلا أنْ تَكُونَ المَضْمَضَةَ. زادَ قُتَيْبَةُ، قالَ وكِيعٌ: انْتِقاصُ الماءِ: يَعْنِي الاسْتِنْجاءَ. زاد قتيبة: قال وكيع: انتقاص الماء يعني الاستنجاء»[1].

المطلب الخامس: المجال النفسي

يتعبر المجال النفسي جانبا مهما في بناء الشخصية المتوازنة، لأن الاستقرار النفسي لدى الفرد يولد، ويترك فيه أثر العطاء والابتكار وبذل الجهود، وإعطاء صورة تكاملية مجتمعية تؤمن بنفسها وبقدراتها الخارقة المكنونة في باطنها، لذلك كان صلى الله عليه وسلم دائما يلح ويدعو ربه آناء اليل وأطراف النهار، من أجل تحقيق الاستقرار النفسي، ويطلب من الله أن يبعد عنه الهموم والكروب، وكل ما يمكن أن يكون حاجزا عن تحقيق مصالح دينه ودنياه، فكان يردد تلك الكلمة الجامعة المانعة، روى أنس بن مالك رضي الله عنه، أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، قالَ لأبي طَلْحَةَ: «التَمِسْ غُلَامًا مِن غِلْمَانِكُمْ يَخْدُمُنِي حتَّى أخرج إلى خَيْبَرَ فَخَرَجَ بي أبو طَلْحَةَ مُرْدِفِي، وأَنَا غُلَامٌ رَاهَقْتُ الحُلُمَ، فَكُنْتُ أخدُمُ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، إذا نَزَلَ، فَكُنْتُ أسْمَعُهُ كَثِيرًا يقولُ: اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ مِنَ إلهمّ والحَزَنِ، والعَجْزِ والكَسَلِ، والبُخْلِ والجُبْنِ، وضَلَعِ الدَّيْنِ، وغَلَبَةِ الرِّجَالِ... »[2].

وتحقيق الاستقرار النفسي لا بد وأن يؤسس على مقومات تفاعلية إنمائية، تتطور وتنتقل من مرحلة إلى أخرى، لتكون كتلة منسجمة متفاعلة منفتحة ومواكبة لواقع التغيير في العالم المتغير، وأهم هذه المقومات[3]:

(1)مرجع سابق، صحيح مسلم بن الحجاج، ج 1 كتاب الإيمان، رقم الحديث 661 ص223.

(2) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب الجهاد والسير، رقم الحديث2893ص714.

(3) أسس التربية الإسلامية، د. عبد الحميد الصيد الزنتاني، دار العربية للكتاب ط2 سنة 1993، ص557.

1. الاهتمام بالدافعية الفطرية لدي الإنسان:

إن أهم شيء ينبغي الالتفاف إليه والحرص عليه هو العانية الخاصة للفطرة الدافعية التي قدفها الله في قلب الإنسان، فالنفس البشرية بطبعها تحتوي على دوافع غريزية فطرية، وتلح باستمرار لتلبية دوافعها، وإهمال هذه الدوافع لا ريب أنه سيؤثر في عدم الاستقرار، ولذلك وجه النبي صلى الله عليه وسلم صحابته إلى التعامل معها تعاملا إيجابيا يراعي النتائج المراد حصولها، مركزا على أهم دعائمها المساعدة لتلبية الدوافع دون الحيلولة في النظم التركيبية التي تتسارع عليها المكونات الفيزيولوجية المتناحرة من خلال مستويات متقاطعة في النمو الإنساني في جميع مراحله.

فالدافع الجنسي أهم عنصر يدعوا إلى القبول في تلبية متطلباته المشروعة، طبعا جاء في الحديث الذي يحث فيه النبي صلى الله عليه الشباب القادرين على تحمل المسؤولية المجتمعية فيقول: « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» [(1)].

فانتقل بعد ذلك صلى الله عليه وسلم إلى مرحلة أخرى تلبى فيها الدافعية الغريزة للإنسان وبها يحصل جزء يسير من الاستقرار النفسي، فعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه السائلين له رضي الله عنهم: «وفي بُضعِ أحدكمْ صَدقَةٌ، قالوا يا رسولَ اللَّهِ يأتي أحدنا شهوتَهُ ويكونُ له فيها أجرٌ؟ قال أرأيتُمْ لو وضعها في حرامٍ أكان يكونُ عليه وِزْرٌ؟ قالوا: نعمْ، قال فكذلِكَ إذا وضعها في الحلالِ يكونُ لهُ أجرٌ»[(2)].

وأرشد صلى الله عليه وسلم موجها صاحب من تتحرك دوافعه لغير ما أحل الله لا قدر الله، بأن يبادر إلى الطريق المباح كما هو جلي وواضح في الفقه الإسلامي الذي عني به أكثر وبتفصيل.

---

(1) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب النكاح، رقم الحديث 5065ص1292.

(2) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج 2 كتاب الزكاة، رقم الحديث 1006 ص697.

عن جابر بن عبد الله أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ رَأَى امرأَةً، فأتى امرأته زَيْنَبَ، وَهي تَمْعَسُ مَنِيئَةً لَهَا، فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ خَرَجَ إلى أصحابه، فَقالَ: إنَّ المَرْأَةَ تُقْبِلُ في صُورَةِ شيطَانٍ، وَتُدْبِرُ في صُورَةِ شيطَانٍ، فإذا أَبْصَرَ أحدكُمُ امرأَةً فَلْيَأْتِ أهلهُ، فإنَّ ذلكَ يَرُدُّ ما في نَفْسِهِ. [1]

2. العدالة في الحكم:

إن النفس البشرية بطبيعتها الغريزية تميل إلى الأخذ بالثأر لها إذا وقع عليها ظلم، وهذا نزع طبيعي في البشرية مذ كانوا[2]، نعم لقد أعطى الحبيب المربي صلى الله عليه وسلم حق التلبية لهذا المقوم النفسي وفق ما تقضيه الحاجة لا إفراط ولا تفريط، فأباح الهجر ثلاث ليال، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تَباغَضُوا، ولا تَحاسَدُوا، ولا تَدابَرُوا، وكُونُوا عِبادَ اللهِ أخوانًا، ولا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أنْ يَهْجُرَ أخاهُ فَوْقَ ثَلاث أيام»[3].

يفهم من هذا الحديث النبوي أنه يجوز الهجر فيما دون الثلاث وهذا فيما يتعلق بأمور الدنيا، أما الهجر لله فهو غير مقدر بهذا القدر.

قال النووي رحمة الله عليه: «قال العلماء: في هذا الحديث تحريم الهجر بين المسلمين أكثر من ثلاث ليال وإباحتها في الثلاث الأول بنص الحديث، والثاني مفهومه قالوا: وإنما عفي عنها الثلاث لأن الآدمي مجبول على الغضب وسوء الخلق ونحو ذلك فعفي عن الهجرة في الصلاة ليذهب ذلك العارض»[4].

(1) المصر نفسه: ج2 كتاب النكاح، رقم الحديث 1403 ص1021
(2) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر عبد الرحمان بن خلدون، دار الفكر بيروت-لنان-، 1428هـ-2007م، ص142.
(3) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب الأدب، رقم الحديث6065ص1519.
(4) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف النووي، دار مؤسسة قرطبة، ط: 1414هـ –1994، ج 16 ص177.

ويستشف من هذا واقعية التربية النبوية أو المنهج النبوي، فبالرغم من الإسلام يربي على العزائم ومعالي الأمور إلا أنه يتعامل مع الإنسان وفقا لطبيعته الفسيولوجية فيمنحه مساحة ليفرغ فيها ما هو مشحون لديه في فكره وبدنه.

لقد بين الله تعالى حق المظلوم فقال: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾[1]، فشرع له حق الانتصار: فقال سبحانه: ﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأولئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ، إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأرض بِغَيْرِ الْحَقِّ أولئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2]، ومع هذا الاعتراف بالحق الشرعي، ومراعاة طبيعة الإنسان وضعفه يبقى المنهج الشرعي يربي الإنسان على القيم الإسلامية التي تدل على التسامح والتناصح والتآزر... فشرح لهم الصدر فقال: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأمور﴾[3].

وإن من الضروري أن يتجسد هذا المقوم السلوكي عند المربي في تعامله مع المتلقي وخاصة في تلك المواقف العملية، فالتعرض للظلم أحيانا ينبغي أن تستثمر فيه هذه الآيات السابقة لنزع فتيل الحقد والشحناء لدى المتعلم أو المتربي.

3. الموازنة في تلبية الدوافع

فتضخيم ملذات الحياة لدي النفوس البشرية تعتبر عاملا أساسيا في زرع الرعب والاضطراب والخوف من المستقبل المتغير، ولذلك اعتنى النبي صلى الله عليه وسلم بتهذيب هذا الدافع، فبين وقال صلى الله عليه وسلم كما جاء في الحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وادِيًا مِن ذَهَبٍ أحب أنْ يَكونَ له وادِيانِ، ولَنْ يَمْلَأَ فاهُ إلا التُّرابُ، ويَتُوبُ اللَّهُ علَى مَن تابَ». [4]

---

(1) سورة الاسراء الآية 33.
(2) سورة الشورى الآية 42.
(3) سورة الشورى الآية 43.
(4) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب الرقائق، رقم الحديث6439ص1603

فإذا كانت الدافعية الإنسانية في أصلها دائما تلهث وراء متاع الحياة الدنيا بدون حسيب أو رقيب، فلقد جعل لها المنهج النبوي مقياس القناعة الذي هو نبراس السعادة، وبه يتحقق الأمن والإيمان والعفاف والكفاف، فمن حصل عليهم فكأنما حيز له متاع الدنيا وزخارفها، فعن عبيد الله بن محصن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن أصبح مِنكُم أمنا ف ي سِرْبِه، مُعافًى في جسَدِهِ، عندَهُ قُوتُ يَومِه، فَكأنَّمَا حِيزَتْ له الدُّنْيا»[1].

4. التمتع المحمود شرعا:

فالإسلام يدعوا المؤمنين في كل وقت وحين إلى استغلال ما أحل الله لهم من الطيبات من الرزق، فقال في كتابه العزيز: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ، قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أخرج لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾[2]، وفي سنة خير الأنام روى البخاري معلقا قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: « كلوا واشربوا والبسوا وتصدَّقوا , في غيرِ مَخِيلةٍ ولا سرفٍ»[3]. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «كل ما شئت والبس ما شئت، ما أخطأتك اثنتان: سرف أو مخيلة».

علق ابن حجر على الحديثين، فالأول قال: أورده البخاري مُعَلقا، فقال: هذ الحديث من الأحاديث التي لا توجد في البخاري إلا معلقة ولم يصله في مكان آخر، وقد وصله أبو داوود الطيالسي والحارث بن أبي أسامة في مسنديهما من طريق همام بن يحي عن قتادة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده... وزاد في آخره: «فإن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عباده.. ».

قال الموفق عبد اللطيف البغدادي: هذا الحديث جامع لفضائل تدبير الإنسان، وفيه تدبير مصالح النفس والجسد في الدنيا والآخرة، فإن السرف في كل شيء يضر بالجسد ويضر بالمعيشة فيؤدي إلى الإتلاف ويضر بالنفس إذا كانت تابعة للجسد في أكثر الأحوال والمخيلة،

(1) سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق: رائد صبري ابن أبي علفة، دار الحضارة للنشر والتوزيع -الرياض-، ط2 1436هـ-2015م كتاب الزهد، رقم الحديث2346ص469.

(2) سورة الأعراف الآية32.

(3) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب اللباس، ص1464.

تضر بالنفس حيث تكسبها العجب وتضر بالآخرة حيث تكسب الإثم، وبالدنيا حيث تكسب المقت من الناس [1].

فحينما ذم صلى الله عليه وسلم الكبر عبر له الصحابة الكرام رضي الله عنهم عن حاجتهم للجمال، فبين لهم صلى الله عليه وسلم أن التجمل حق بشري لا يلزم منه وصف صاحباه بالكبر، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ل ا يدخلُ الجنَّةَ من كانَ في قلبِه مثقالُ ذرَّةٍ من خردلٍ من كبرٍ، قال رجل: إن الرجل يجب أن يكون ثوبه ونعله حسنة، قال صلى الله عليه وسلم: إنَّ اللَّهَ جَميلٌ يحِبُّ الجَمالَ، الكِبرَ بطر الحق، وغمط النَّاسَ». [2]

5. تقديم المصلحة الأخروية:

إن القلب إذا تعلق بلقاء ربه لا شك أن الأثر سيخفف على صحابه كل ما من شأنه أن يخلق الاضطراب النفسي والتعلق بمتاع الدنيا، لأنه النفس حينما تتعلق بالآخرة تتضاءل في عينها الأهداف الدنيوية وتهون عندها كثيرا من المصائب التي يمكن أن تواجهها، فعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كانت الآخرة همَّه جعل اللهُ غناه في قلبِه، وجمع له شملَه، وأتته الدُّنيا وهي راغمةٌ ومن كانت الدُّنيا همَّه جعل اللهُ فقرَه بين عينَيْه، وفرَّق عليه شملَه، ولم يأتِه من الدُّنيا إلا ما قُدِّر له»[3].

فالنبي صلى الله عليه وسلم يقرب لصحابته الموازنة بين الدنيا والآخرة، فعن المستورد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «واللَّهِ ما الدُّنْيا في الآخرة إلا مِثْلُ ما يَجْعَلُ أحدكُمْ إصْبَعَهُ هذه وأشار يَحْيَى بالسَّبَّابَةِ، في اليَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بمَ تَرْجِعُ؟ »[4]. إذن فالتعلق بالآخرة والسعي لها له أثر بليغ في النفس.

(1) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، شهاب الدين أحمد بن غلي بن حجر العسقلاني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط- وآخرون، دار الرسالة العلمية ط1 1434هـ-2013م، ج18ص6.
(2) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج 1كتاب الإيمان، رقم الحديث 91ص93
(3) سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق: رائد صبري ابن أبي علفة، دار الحضارة للنشر والتوزيع -الرياض-، ط2 1436هـ-2015م كتاب صفة القيامة والرقائق، رقم الحدبث2465ص485.
(4) صحيح مسلم بن الحجاج، ج 4 كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم الحديث 2858ص2193.

6. المرونة في مواجهة الواقع:

فالإصرار على إتيان الشيء كليا وتاما، يعتبر عاملا أساسيا في تقعيد مبدإ اليأس والإحباط لدى الكثير من الناس، فالموازنة أمر مرغوب فيه لمواكبة الواقع وفق مبدأ المرونة والتيسير.

لأن الخير الذي في حقيقته لا يعلمه الإنسان فأحيانا أريد شيئا ويظهر له فيه الخير والكمال، لكن في باطن الأمر ليس هو كذلك، ولذلك قال الله تبارك وتعالى في سورة البقرة: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[1].

وهذا يدفع الإنسان إلى أن يتجاوز الصورة القريبة لديه ويبحث فيما يواجهه من مصاعب الحياة الدنيا بمبدإ المرونة والمواجهة الواقعية المتوازنة.

7. تلبية الحاجات النفسية: إن تلبية المطالب الإنسانية وعلى رأسها الترويح عن النفس له دور مهم في البناء النفسي الإنساني الوجودي، وهذا ما أفصحت عنه عائشة أم المؤمنين رضي الله وهي تتحدث عن اعتناء النبي صلى الله عليه بأحد الجوانب النفسية لدى المرأة، فقالت: «رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد حتى أكون انا التي اسأم فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو»[2].

8. مراعاة المشاعر الإنسانية:

كان صلى الله عليه وسلم في تعامله مع أصحابه يراعي مبدإ الشعور النفسي ويحترمه، وكان يملك حسا عاليا في الانتباه للمشاعر الإنسانية وما يكتنفها من هموم وأفراح، فيتعامل مع الحالتين على حسب ما يقتضيه المقام فعن مالك بن الحويرث قال: « أَتَيْنا إلى النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ ونَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقارِبُونَ، فأقَمْنا عِنْدَهُ عِشْرِينَ يَوْمًا ولَيْلَةً، وكانَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ رَحِيمًا رَفِيقًا، فَلَمَّا ظَنَّ أنَّا قَدِ اشْتَهَيْنا أهلنا - أو قَدِ اشْتَقْنا - سَأَلَنا عَمَّنْ تَرَكْنا بَعْدَنا، فأخْبَرْناهُ، قالَ: ارْجِعُوا إلى أهليكُمْ، فأقِيمُوا فيهم وعَلِّمُوهُمْ ومُرُوهُمْ - وذَكَرَ

(1) سورة البقرة الآية 216.
(2) صحيح البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب النكاح، رقم الحديث 5236ص1333.

أشْياءَ أحْفَظُها أو لا أحْفَظُها - وصَلُّوا كما رَأيتُمُونِي أصلي، فإذا حَضَرَتِ الصَّلاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أحدكُمْ، ولْيَؤُمَّكُمْ أكبرکُمْ». (1)

9. تقوية الإرادة:

فتكوين الإرادة لا شك أنها تسهم في البناء الذاتي والنفسي للفرد فكان صلى الله عليه وسلم يعتني كثيرا ببناء العزيمة وقوة النفس وكمال الإرادة لدى أصحابه، فعن أبي هريرة رضي الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المؤمن القَوِيُّ، خَيْرٌ وَأحب إلى اللهِ مِنَ المؤمن الضَّعِيفِ، وفي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ علَى ما يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ باللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ، وإنْ أَصَابَكَ شيءٌ، فلا تَقُلْ لو أَنِّي فَعَلْتُ كانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَما شَاءَ فَعَلَ، فإنَّ لو تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ». (2)

فالإرادة القوية عامل أساسي في الدفع للقيام بخطوات النجاح وتسهم بشكل حقيقي في تحقيق الأهداف الدنيوية المشروعة، سواء المتعلق بالبناء النفسي أو الالتزام بالعمل الصالح الذي يقود صاحبه إلى الصلاح والفلاح والنجاح.

10. ضبط الانفعالات:

إن ردود الأفعال ينبغي أن تتعامل معا الأفراد بتفان ومسؤولية، وخاصة في المواقف ذات الطبع الاستعجالي للحفاظ عليها، وهذا ما علمنا الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم في كيفية التعامل معها، واستعمل وسائل التي تحد من قمت التوتر.

فعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: «كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لي بالسَّوْطِ، فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِن خَلْفِي، أعلم، أَبَا مَسْعُودٍ، فَلَمْ أَفْهَمِ الصَّوْتَ مِنَ الغَضَبِ، قالَ: فَلَمَّا دَنَا مِنِّي إذا هو رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، فإذا هو يقولُ: أعلم، أَبَا مَسْعُودٍ، أعلم، أَبَا مَسْعُودٍ، قالَ:

(1) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج 2 كتاب المساجد، رقم الحديث 674ص465.
(2) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج4 رقم الحديث 2664 ص 2052.

فألْقَيْتُ السَّوْطَ مِن يَدِي، فَقالَ: أعلم، أَبَا مَسْعُودٍ، أنَّ اللَّهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ على هذا الغُلَامِ، قالَ: فَقُلتُ: لا أَضْرِبُ مَمْلُوكًا بَعْدَهُ أبدا»[1].

وعن سليمان بن صرد قال: قال رسول الله صلى الله علسيه وسلم: « اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ونَحْنُ عِنْدَهُ جُلُوسٌ، واحدهُما يَسُبُّ صاحبهُ، مُغْضَبًا قَدِ احْمَرَّ وجْهُهُ، فَقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: إنِّي لَأعلم كَلِمَةً، لو قالها لَذَهَبَ عنْه ما يَجِدُ، لو قالَ: أعُوذُ باللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فَقالوا لِلرَّجُلِ: إلا تَسْمَعُ ما يقولُ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ؟ قالَ: إنِّي لَسْتُ بمَجْنُونٍ»[2].

المطلب السادس: المجال الاجتماعي

من سنن الله في هذه الحياة أن جعل بني آدم مدني بطبعه، معتصم بربه مؤتلف بإخوانه منفر للانفراد والخروج عن مجتمعه، فالإنسان يجد في الأنس مع الجماعة ما لا يجده في غيره، عنصر الطمأنينة والإحساس بالسعادة يفتقده صاحب الانعزال والوحدة المتنافرة، فلا يمكن أن تستمر الحياة بدون مخالطة فالإنسان خلق ضعيفا يحتاج إلى من يكمله في وكل وقت وحين ليأخذ بيده إلى دوام الاستمرار وتحقيق الانشراح، فإذا كان الجمع بين الطرفين الغير متجانسين للسكون والمودة والرحمة وبهما يتم التكاثر والتسخير والمؤانسة والمؤازرة وتتحقق المصالح وتدرء المفاسد، واعتبار هذا الاجتماع بينهم آية من آياته الدالة على القدرة والعظمة والانفراد، فالإنسان إذن اجتماعي بطبعه ولا يمكن له الاستغناء عن المشاركة والتواصل مع غيره.

إذن لا يمكن له أن يعيش وحيدا منعزلا بدون مخالطة وبدون مؤانسة وتبادل للمصالح الضرورية والحاجية المشتركة بين البشرية القائمة على العلاقة التشاركية التسخيرية التي قدفها الله في هذا الكون، فتحقيق مصالح الإنسان مرتهن بمدى تفاعله مع نفسه وانسجامه مع محيطه.

(1) المصر نفسه: ج 1 كتاب الإيمان، رقم الحديث 1659ص1280.
(2)صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب الأدب رقم الحديث 6115ص1529.

نعم لقد جاءت الشريعة الإسلامية بتأصيل معاني الاجتماع والحث عليها، وطلب الشكر بالامتنان بأن حقق لنا سنة الاجتماع والتآلف فقال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَأذكروا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأصبحتُمْ بِنِعْمَتِهِ أخوَانًا﴾[1]. وقال: ﴿يَأيها النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أكرمكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[2].

ونهى المولى سبحانه عن كل سبب يفرق بين الجماعة ويزرع بينهما العداوة والبغضاء والفرقة والانشقاق، واعتبره أنه مسلك من مسالك الفشل وذهاب الريح فقال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأصبروا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[3].

وبهذا رعت الأحكام الشرعية تحقيق مقاصد الاجتماع والتآلف بين المسلمين فشرعت لهم الجماعة للصلوات المكتوبة والاجتماع في بيت من بيوت الله، وسنت لهم أكبر اجتماع في كل أسبوع وفي كل مناسبة دينية، واعتنت بتنظيم كل ما من شأنه ان يحافظ على التآلف والتلاحم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها والفقه الإسلامي مفصل لهذه الضوابط والقواعد التي تسهم في الحفاظ على سنة التآلف بين المسلمين.

لقد اعتنى النبي صلى الله عليه وسلم ببناء الجانب الاجتماعي، فتربية الإنسان المسلم لا يمكن أن تنجح بدون مقاربة اجتماعية، ومن أهم جوانب البناء الاجتماعي التي عالجها المنهج النبوي:

1. قوة التماسك الاجتماعي:

لقد ركز صلى الله عليه وسلم منذ بدء الدعوة النبوية إلى تقوية الصلة الاجتماعية، فعن عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه قال: «كُنْتُ وَأَنَا في الجاهلية أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ ع لَى ضَلَالَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا على شيءٍ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الأوثان، فَسَمِعْتُ برَجُلٍ بمَكَّةَ يُخْبِرُ أخبَارًا، فَقَعَدْتُ علَى رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عليه، فإذا رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ مُسْتَخْفِيًا جُرَءَاءُ عليه قَوْمُهُ، فَتَلَطَّفْتُ حتَّى دَخَلْتُ عليه بمَكَّةَ، فَقُلتُ له: ما أَنْتَ؟ قالَ: أَنَا نَبِيٌّ، فَقُلتُ: وَما

(1) سورة آل عمران الآية 103.
(2) سورة الحجرات الآية 13.
(3) سورة الأنفال الآية 46.

نَبِيٌّ؟ قال: أَرْسَلَنِي اللَّهُ، فَقُلْتُ: وَبِأي شيءٍ أَرْسَلَكَ، قال: أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الأرحام، وَكَسْرِ الأوثان، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللَّهُ لا يُشْرَكُ به شيءٌ»[1].

إن اعتناء النبي صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى في بداية دعوته دليل على أهميته بل إنه صلى الله عليه وسلم جعله مما أرسله الله به، فتجده متمسك بأواصر المحبة والتآلف بين الأسرة والأقارب والجيران وكل من له حق التماسك والتآزر والإخاء..، ذات يوم جاءه رجل يريد الجهاد معه فسأله صلى الله عليه وسلم عن حال والديه فأرشده إلى العودة إلى آبائه لقيام بأحوالهم ورعايتهم لأن في ذلك أجرا عظيما، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: « أَقْبَلَ رَجُلٌ إلى نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ فَقالَ: أُبَايِعُكَ علَى الهجرة وَالْجِهَادِ، أَبْتَغِي الأجر مِنَ اللهِ، قالَ: فَهلْ مِن وَالِدَيْكَ أحد حَيٌّ؟ قالَ: نَعَمْ، بَلْ كِلَاهما، قالَ: فَتَبْتَغِي الأجر مِنَ اللهِ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: فَارْجِعْ إلى وَالِدَيْكَ فأحسن صُحْبَتَهُمَا». [2]

2. الحق الاجتماعي بين الأطراف:

لقد أكد صلى الله عليه وسلم على أصحابه رعاية الحقوق الاجتماعية، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حَقُّ المُسْلِمِ علَى المُسْلِمِ سِتٌّ قيلَ: ما هُنَّ يا رَسولَ اللهِ؟ قالَ: إذا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عليه، وإذا دَعاكَ فأجِبْهُ، وإذا اسْتَنْصَحَكَ فانْصَحْ له، وإذا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَسَمِّتْهُ، وإذا مَرِضَ فَعُدْهُ وإذا ماتَ فاتَّبِعْهُ». [3] وفي رواية لمسلم: خمس تجب للمسلم على المسلم.

وفي رواية للبخاري: «حق المسلم خمس: رد السلام وعيادة المريض واتباع الجنائز وإجابة الدعوة وتشميت العاطس»[4].

(1) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج 1 كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم الحديث 832ص569.

(2) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج 4 كتاب البر والصلة والآداب، رقم الحديث 2549 ص1975.

(3) المصدر نفسه: ج 4 كتاب السلام، رقم الحديث 2162ص1705.

(4) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب الجنائز رقم الحديث 1240ص301.

لقد كان صلى الله عليه وسلم نعم القدوة الحسنة فكان يسلم على من لقيه صغيرا أو كبيرا ويعود مرضاهم ويجيب دعواهم وشهد جنائزهم.....

3. تكاثف الجهود في العمل الجماعي:

إن مسألة التعاون فيما بين الجماعة لقد أثنى سبحانه على من أمثل أمره وأمر رسوله فقال في كتابه: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الاثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[1]، وهذا التعاون الجماعي لا يعطي أكله الحقيقي إلا بعد وجود روابط تجمع بين هؤلاء ومن بين الروابط على سبيل المثال: رابطة المحبة الصادقة بين الناس سيعملون جاهدين على تنمية هذا التعاون الجماعي فيما بينهم وفق اليات عملية تجسد معنى الإخاء والتآزر والتعاون بين أفراد المجتمع ولنا القدوة الحسنة في صحابة سول الله صلى الله عليه الذين رباهم على هذا المنهج التربوي العملي الذي بين فيه أن يد الله مع الجماعة فيها يتحقق البعد التسخيري بين البشر، وأهم الوسائل العملية لدي النبي صلى الله عليه وسلم:

أ. التكليف المشترك في المهام:

كان صلى الله عليه وسلم يكلف صحابه بمهام مشتركة وفي مواقف متعددة نأخذ قصة قتل كعب بن الأشرف التي كلف فيها صحابة رسول الله بمهمة مشتركة، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله عليه وسلم: «مَن لِكَعْبِ بنِ الاشْرَفِ؟ فإنَّه قدْ آذَى اللَّهَ ورَسولَهُ، فَقامَ مُحَمَّدُ بنُ مَسْلَمَةَ فقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، أتُحِبُّ أنْ أقْتُلَهُ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: فَإذن لي أنْ أقُولَ شيئًا، قالَ: قُلْ، فأتاهُ مُحَمَّدُ بنُ مَسْلَمَةَ فقالَ: إنَّ هذا الرَّجُلَ قدْ سَأَلَنا صَدَقَةً، وإنَّه قدْ عَنَّانا وإنِّي قدْ أتَيْتُكَ أسْتَسْلِفُكَ، قالَ: وأيضا واللَّهِ لَتَمَلُّنَّهُ، قالَ: إنَّا قَدِ اتَّبَعْناهُ، فلا نُحِبُّ أنْ نَدَعَهُ حتَّى نَنْظُرَ إلى أي شيءٍ يَصِيرُ شأنهُ، وقدْ أرَدْنا أنْ تُسْلِفَنا وسْقًا أو وسْقَيْنِ - وحَدَّثَنا عَمْرٌو غيرَ مَرَّةٍ فَلَمْ يَذْكُرْ وسْقًا أو وسْقَيْنِ أو: فَقُلْتُ له: فيه وسْقًا أو وسْقَيْنِ؟ فقالَ: أُرَى فيه وسْقًا أو وسْقَيْنِ - فقالَ: نَعَمِ، ارْهَنُونِي، قالوا: أي شيءٍ تُرِيدُ؟ قالَ: ارْهَنُونِي نِساءَكُمْ، قالوا: كيفَ نَرْهَنُكَ نِساءَنا وأَنْتَ أجمل العَرَبِ، قالَ: فارْهَنُونِي أبْناءَكُمْ، قالوا: كيفَ نَرْهَنُكَ أبْناءَنا، فيُسَبُّ أحدهُمْ، فيُقالُ: رُهِنَ بوَسْقٍ أو وسْقَيْنِ، هذا عارٌ عَلَيْنا، ولَكِنَّا نَرْهَنُكَ اللَّأمة - قالَ سُفْيانُ: يَعْنِي السِّلاحَ - فَواعَدَهُ أنْ يَأْتِيَهُ، فَجاءَهُ لَيْلًا ومعهُ أبو نائِلَةَ، وهو أخو كَعْبٍ مِنَ

(1) سورة الانعام الآية 2.

الرَّضاعَةِ، فَدَعاهم إلى الحِصْنِ، فَنَزَلَ إليهم، فقالَتْ له امرأته: أينَ تَخْرُجُ هذِه السَّاعَةَ؟ فقالَ إنَّما هو مُحَمَّدُ بنُ مَسْلَمَةَ، وأخي أبو نائِلَةَ، وقالَ غَيْرُ عَمْرٍو، قالَتْ: أسْمَعُ صَوْتًا كَأنَّهُ يَقْطُرُ منه الدَّمُ، قالَ: إنَّما هو أخي مُحَمَّدُ بنُ مَسْلَمَةَ ورَضِيعِي أبو نائِلَةَ إنّ الكَرِيمَ لو دُعِيَ إلى طَعْنَةٍ بلَيْلٍ لَأَجابَ، قالَ: ويُدْخِلُ مُحَمَّدُ بنُ مَسْلَمَةَ معهُ رَجُلَيْنِ- قيلَ لِسُفْيانَ: سَمَّاهم عَمْرٌو؟ قالَ: سَمَّى بَعْضَهُمْ - قالَ عَمْرٌو: جاءَ معهُ برَجُلَيْنِ، وقالَ:

غَيْرُ عَمْرٍو: أبو عَبْسِ بنُ جَبْرٍ، والحارِثُ بنُ أوسٍ، وعَبَّادُ بنُ بِشْرٍ، قالَ عَمْرٌو: جاءَ معهُ برَجُلَيْنِ، فقالَ: إذا ما جاءَ فإنِّي قائِلٌ بشَعَرِهِ فأشَمُّهُ، فإذا رَأيتُمُونِي اسْتَمْكَنْتُ مِن رَأْسِهِ، فَدُونَكُمْ فاضْرِبُوهُ، وقالَ مَرَّةً: ثُمَّ أُشِمُّكُمْ، فَنَزَلَ إليهم مُتَوَشِّحًا وهو يَنْفَحُ منه رِيحُ الطِّيبِ، فقالَ: ما رَأيتُ كاليَومِ رِيحًا، أي أطيب، وقالَ غَيْرُ عَمْرٍو: قالَ: عِندِي أعْطَرُ نِساءِ العَرَبِ وأَكْمَلُ العَرَبِ، قالَ عَمْرٌو: فقالَ أتَأْذن لي أنْ أشُمَّ رَأْسَكَ؟ قالَ: نَعَمْ، فَشَمَّهُ ثُمَّ أشَمَّ أصحابه، ثُمَّ قالَ: أتَأْذن لي؟ قالَ: نَعَمْ، فَلَمَّا اسْتَمْكَنَ منه، قالَ: دُونَكُمْ، فَقَتَلُوهُ»[1].

ففي هذا الحديث يستشف العديد من الفوائد التربوية ومنها: التشاور قبل الإقدام على أي عملية ميدانية...

ب. المسؤولية القيادية للجماعة:

إن مهمة إمارة الجماعة التي كان يسير عليه النبي صلى الله عليه وسلم في جميع المجالات أعطت صورة لدي المجتمعات الأخرى في أحسن حلة وأصبحت الآن في عصرنا تلك الدول النامية تهتدي بهديها في جميع المجالات وخاصة في المجال العسكري، نعم بلا شك فهي بطبيعة الحال مقصد من مقاصد الاجتماع، فعن علي رضي الله عنه قال: »بَعَثَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ سَرِيَّةً فَاسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنَ الأنصار وأمرهُمْ أنْ يُطِيعُوهُ، فَغَضِبَ، فَقالَ: أليسَ أمركُمُ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنْ تُطِيعُونِي؟ قالوا: بَلَى، قالَ: فَاجْمَعُوا لي حَطَبًا، فَجَمَعُوا، فَقالَ: أوقِدُوا نَارًا، فأوقَدُوهَا، فَقالَ: ادْخُلُوهَا، فَهَمُّوا وجَعَلَ بَعْضُهُمْ يُمْسِكُ بَعْضًا، ويقولونَ: فَرَرْنَا إلى النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مِنَ النَّارِ، فَما زَالُوا حتَّى خَمَدَتِ النَّارُ، فَسَكَنَ غَضَبُهُ،

(1) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج 3 كتاب الجهاد والسير، رقم الحديث 1801ص1426.

فَبَلَغَ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَقالَ: لو دَخَلُوهَا ما خَرَجُوا منها إلى يَومِ القيامة، الطَّاعَةُ في المَعروفِ». [1]

ج. المشاركة الجماعية:

كان صلى الله عليه وسلم يشارك صحابه في المهام والعمل فشاركهم في بناء المسجد النبوي عندما هاجر صلى الله عليه وسلم وترك أثرا نفسيا بليغا في نفوس الصحابة رضي الله عنهم، وكانوا دائما وراءه متصافين متراصين متلاحمين...

4. تنمية الهوية الوطنية المجتمعية:

إن أهم شيء زرعه النبي صلى الله عليه وسلم في قلوب صحابته، الاعتزاز بالهوية المجتمعية الوطنية والدفاع عنها بالغال والنفيس، فالفرد لا يمكن أن يكون مواطنا صالحا فاعلا متفاعلا مؤمنا بواجباته وحقوقه إذا لم يحس أصلا بأن له وجود حقيقي في مجتمعه، وهذا لا يتم إلا بالإحساس والشعور الانتمائي للمجتمع، ولهذا كان صلى الله عليه وسلم يعمل جاهدا للرفع من مستوى الاعتزاز بالانتماء المجتمعي للفرد، فكان يحث صحابته على التواصل والاحتكاك والاتصاف بخلق الصبر وأن يكونوا مفاتيح الخير....، فعن يحي بن وثاب عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال-: أظنه ابن عمر-عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المؤمن الَّذي يخالطُ النَّاسَ ويصبرُ على أذاهم أعظم أجرًا منَ الَّذي لاَ يخالطُ النَّاسَ ولاَ يصبرُ على أذاهم»[2].

وفي سياق العمل الصالح، عن أنس بن مالك رض الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم« إنَّ منَ النَّاسِ مفاتيحَ للخيرِ، مغاليقَ للشَّرِّ، وإنَّ منَ النَّاسِ مفاتيحَ للشَّرِّ مغاليقَ للخيرِ، فَطوبى لمن جعلَ اللَّهُ مفاتيحَ الخيرِ على يدَيهِ، وويلٌ لمن جَعلَ اللَّهُ مفاتيحَ الشَّرِّ على يديهِ[3]، والأمثلة كثير في تعزيز الانتماء في المنهج النبوي.

---

(1) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب المغازي رقم الحديث 4340ص1062.

(2) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط -وآخرون، دار مؤسسة الرسالة، ج38رقم الحديث23098ص187.

(3) سنن ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة، تحقيق: رائد صبري، دار الحضارة للنشر والتوزيع- الرياض-، ط2 1436هـ-2015م رقم الحديث 237 ص 42.

إن تعزيز الانتماء وتنميته في نفوس الناشئة الصاعدة أصبح أمرا واجبا لما نراه من مظاهر عدة ابتليت بها الأمة الإسلامية قاطبة، فإعطاء الاهتمام الكبير لهذا العنصر بمختلف الآليات التواصلية لا شك أنه سيقلل وسيسهم وسيهز شعور الناشئة بالانتماء لمجتمعاتهم التي يعيشون فيها، فبهذا يصبح يمتلك أداة لها القابلية لتغيير نمط فكره اتجاه مجتمعه، وحب الانتماء إليه والدفاع عنه.

5. تنمية المسؤولية الاجتماعية:

من الجوانب المهمة في البناء المجتمعي التي اعتنى بها النبي صلى الله عليه وسلم وربى صحابته عليه هي المسؤولية الاجتماعية فصور صلى الله عليه وسلم حال المجتمع تصويرا بليغا وشبهه بالقوم الذين ركبوا سفينة وانطلقوا في الإبحار فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ المُدْهِنِ في حُدُودِ اللَّهِ، وَالوَاقِعِ فِيهَا، مَثَلُ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا سَفِينَةً، فَصَارَ بَعْضُهُمْ في أَسْفَلِهَا وَصَارَ بَعْضُهُمْ في أَعْلَاهَا، فَكانَ الذي في أَسْفَلِهَا يَمُرُّونَ بالمَاءِ علَى الَّذِينَ في أَعْلَاهَا، فَتَأَذَّوْا به، فأخذَ فَأْسًا فَجَعَلَ يَنْقُرُ أَسْفَلَ السَّفِينَةِ، فأتَوْهُ فَقالوا: ما لَكَ، قالَ: تَأَذَّيْتُمْ بي وَلَا بُدَّ لي مِنَ المَاءِ، فإنْ أخذُوا علَى يَدَيْهِ أَنْجَوْهُ وَنَجَّوْا أنفسهم، وإنْ تَرَكُوهُ أهلكُوهُ وَأهلكُوا أنفسهم»[1].

6. رزع الاهتمام بقضايا الأمة الإسلامية: فالنبي صلى الله عليه وسلم نمى لدى صحابته الأخيار الاهتمام بشؤون إخوانهم المتمثل في الإخبار عن أحوالهم ومساعدهم وإمداد اليد المساعدة قولا وعملا وخاصة في وقت الشدة التي يحس فيها المسلم صاحب الضيق والهم بالأخوة الإسلامية وجوهرها...

المطلب السابع: التربية الجمالية

الإنسان بطبعه خلقه الله وفضله وكرمه على جميع المخلوقات وجعله في أحسن صورة وأجمل أبداع من لدن صانع محكم لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير، فقال سبحانه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان فِي أحسن تَقْوِيمٍ﴾[2]، وجاء بصيغة التعجب

(1) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب الشهادات، رقم الحديث 2686ص656.
(2) سورة التين الآية 4.

والإنكار فقال: ﴿يَأيهَا الإنسان مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ، الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أي صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾[1].

من الطبيعي أن يكون هذا الخلق متصف بالجمال والكمال والإتقان، الدال على العظمة والأجلال لله الواحد القهار، وصدق الله العظيم حيث قال في كتابه: ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أحسن الْخَالِقِينَ﴾[2]. فحتى النبات المسخر لمخلوقاته فيه علامات الجمال وبدائع الصنيع فأمر الله الإنسان بالنظر والاعتبار فيه فقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي أنزل مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأخرجنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأخرجنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إلى ثَمَرِهِ إذا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيات لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[3]، والامتنان به علينا بنعمة الجمال حتى في ما خلق لوظيفة معينة مثل الحيوان، فقال: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾[4].

وأي جمال فوق أي جمال أكثر من هذا الإكرام الإلهي للإنسان الذي حير العالم وعسر الآتيان بمثله. المحافظ لخصائه ومميزاته الأصيلة والعارضة له، بحيث نتلمس في الفطرة الخلقية للإنسان مكامن الجمال التي ينبغي أن توظف توظيفا أصيليا للإنسانية لتبرهن على رونق جمالها الحقيقي.

ولنا في النبي المصطفى صاحب الجمال والخلق العظيم، هذا التصور الجمالي الذي يتلغلغ في النفوس، وتوحده القلوب، وتظهره الأجساد خلْقا وخلُقا عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام. يكفينا إلقاء نظرة عابرة لجانب من حياته التربوية التي تدلت عليه بالدليل الذي لا يحتمل التشكيك.

فمجال الجمال والأخلاق نعم بطبعة الحال قد أخذ حقه وحظه من لدن خير الأنام، ليعلمنا الحبيب المجتبى صلى الله عليه وسلم أن الاهتمام وإعطاء العناية بقدر المستطاع

(1) سورة الانفطار الآية 8.
(2) سورة المؤمنون الآية 14.
(3) سورة الانعام الآية 99.
(4) سورة النحل الآية 6.

لهذا الجسم العظيم، والنفس الرقيب، تربية وإيمانا وتنزيلا هي من قبيل التكليف عوض التشريف.

وفي ما يلي بعض جوانب التربية الجمالية في المنهج النبوي:

أولا: تعزيز قيمة الجمال:

لقد عزز صلى الله عليه وسلم قيمة الجمال وأمر بالعناية به، لحب المشرع إلى كل ما فيه جمال وحسن ولباقة تظهر الإنسان في أجمل صورة وأحسن حالة، فالمولى يحب أن تظهر نعمته على عبده في الدنيا والآخرة، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « لا يدخلُ الجنَّةَ من كانَ في قلبِه مثقالُ ذرَّةٍ مِن كِبرٍ قال رجل: إن الرَّجل يحبُّ أن يَكونَ ثوبُه حسنًا ونعلُه حسنةً. قال: إنَّ اللَّهَ جميلٌ يحبُّ الجمالَ، الكبر بطر الحقِّ وغمَط النَّاس»[1].

وروى الإمام الترمذي في سننه من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده»[2].

يستشف من هذا وذاك أن الاهتمام بالجمال والعناية به أمر مطلوب ومحبوب عند الله سبحانه كما وصف ذلك الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم وجعله قربة يتقرب به العبد إلى ربه فطالب الشارع من المكلف بالإتيان به في مجال العبادات مثلا، وهو في أحسن حالة وأجمل ثياب، فقال: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[3].

ثانيا: إظهار الخصوصية الجمالية لعامة الناس:

كان صلى الله عليه وسلم يهتم بالتزين والتجمل في المناسبات واللقاءات العامة التي تجتمع فيها الناس للتراحم والتآزر...، ومن حسنات العلماء والفقهاء رحمة الله على الجميع أنهم استخرجوا من سيرة الحبيب المصطفى الله عليه وسلم عنايته بالجمال الخلقي والخلقي،

(1) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج 1 كتاب الإيمان، رقم الحديث 91ص93.
(2) سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق: رائد صبري ابن أبي علفة، دار الحضارة للنشر والتوزيع -الرياض-، ط2 1436هـ-2015م كتاب الأدب، رقم الحديث2819ص547.
(3) سورة الأعراف الآية 31.

فتجدهم يبوبون لذلك بابا في كتبهم، فالإمام البخاري مثلا خص في صحيحه بابا وسماه: «باب التجمل للوفود «موردا فيه ما على المسلم أن يفعله من قبيل التحسينات لأنها تزيده رونقا وجمالا فوق جمال، فعن سالم بن عبد الله أن ابن عمر رضي الله عنهما قال: « وَجَدَ عُمَرُ حُلَّةَ إسْتَبْرَقٍ تُبَاعُ في السُّوقِ، فأتى بها رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ ابْتَعْ هذِه الحُلَّةَ، فَتَجَمَّلْ بهَا لِلْعِيدِ ولِلْوُفُودِ، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: إنَّما هذِه لِبَاسُ مَن لا خَلَاقَ له، أو إنَّما يَلْبَسُ هذِه مَن لا خَلَاقَ له فَلَبِثَ ما شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أرْسَلَ إليه النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بجُبَّةِ دِيبَاجٍ فأقْبَلَ بهَا عُمَرُ حتَّى أتى بها رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، قُلْتَ إنَّما هذِه لِبَاسُ مَن لا خَلَاقَ له أو إنَّما يَلْبَسُ هذِه مَن لا خَلَاقَ له، ثُمَّ أرْسَلْتَ إلَيَّ بهذِه، فَقالَ: تَبِيعُهَا أو تُصِيبُ بهَا بَعْضَ حَاجَتِكَ» [1].

ذكر الإمام النووي أثناء شرحه لهذا الحديث فقال: «من فوائد حديث ابن عمر رضي الله عنهما: واستحباب لباس أنفس ثيابه يوم الجمعة والعيد وعند لقاء الوفود ونحوهم»[2].

ثالثا: التوجيه النبوي في ترك التجمل:

حينما يرى صلى الله عليه وسلم صحابته يتهاونون ولا يلقون له بالا، يحثهم ويوجههم إلى الركون إليه والعناية به أشد الاهتمام كل على حسب قدرته واستطاعته، فعن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه أنه قال: «خرجْنا معَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وعلى إله وسلم في غزوةِ بَني أنمارٍ. قال جابرٌ: فبيْنَا أنا نازلٌ تحتَ شجرةٍ إذا رسولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى إله وسلم أقبلَ، فقلتْ: يا رسولَ اللهِ هلُمَّ إلى الظلِّ. قال: فنزلَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى إله وسلم فقمْتُ إلى غرارةٍ لنا فالتمستُ فيها شيئًا، فوجدتُ فِيها جَروَ قثاءٍ، فكسرتُهُ، ثمَّ قربتُهُ إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وعلى إله وسلم فقال: مِنْ أينَ لكُمْ هذا؟ قال: فقلتُ: خرجْنا بِهِ يا رسولَ اللهِ مِنَ المدينةِ. قال جابرٌ: وعِندنا صاحب لَنا نجهزُهُ يَذهبُ يَرعى ظَهرَنا، قال: فجهزتُهُ ثمَّ أدبرَ يذهبُ في الظهرِ وعليهِ بردانِ لهُ قدْ خَلقا. قال: فنظرَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى إله وسلم إليه، فقال: أمَا لهُ ثوبانِ غيرُ هذينِ؟ فقلتُ: بلى يا رسولَ اللهِ، لهُ ثوبانِ في العَيبةِ

(1) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج 3 كتاب اللباس، رقم الحديث 2068ص1639.
(2) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف النووي، دار مؤسسة قرطبة، ط 2: 1414 – 1994، ج 14 كتاب اللباس والزينة، ص53.

كسوتُهُ إياهما. قال: فادعُهُ فمرْهُ فليلبسْهُما. قال: فدعوتُهُ فلبسَهُما، ثمَّ ولَّى يذهبُ. قال: فقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى إله وسلم: ما لهُ ضربَ اللهُ عُنقَهُ، أليسَ هذا خيرًا لهُ؟ قال: فسمعَهُ الرجلُ، فقال: يا رسولَ اللهِ في سبيلِ اللهِ؟ فقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: في سبيلِ اللهِ قال: فقُتِلَ الرجلُ في سبيلِ اللهِ»[1].

رابعا: إهداؤه لأصحابه ما يتجملون به:

كان صلى الله عليه وسلم يهدي لصحابته الكرام ما أجمل الله عليه من مكروماته من لباس ونحوه، فعن المسور بن مخرمة رضي الله عنهما قال: «قَسَمَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أَقْبِيَةً، ولَمْ يُعْطِ مَخْرَمَةَ منها شيئًا، فَقالَ مَخْرَمَةُ: يا بُنَيَّ، انْطَلِقْ بنَا إلى رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَانْطَلَقْتُ معهُ، فَقالَ: ادْخُلْ، فَادْعُهُ لِي، قالَ: فَدَعَوْتُهُ له، فَخَرَجَ إليه وعليه قَبَاءٌ منها، فَقالَ: خَبَأْنَا هذا لَكَ، قالَ: فَنَظَرَ إليه، فَقالَ: رَضِيَ مَخْرَمَةُ». [2]

خامسا: القدوة الحسنة في حسن الجمال:

ما كان صلى الله عليه وسلم صاحب القول بعيدا عن الفعل، بل كان يفعل ما يقول لأصحابه، فجمع بذلك بين جمال الخلق والخلق، وبين رعايته صلى الله عليه وسلم لأمور الجمال، وصفه صاحبه صلوات ربي وسلامه عليه، قال: « ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه الشمس تجري في وجهه»[3].

ويحدثنا البراء بن عازب رضي الله عنه، عن جمال النبي صلى الله عليه وسلم فيقول: «ما رأيت أحدا أحسن في حلة حمراء من النبي صلى الله عليه وسلم»[4].

(1) الموطأ، مالك بن أنس، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت-لبنان- 1406هـ-1985م، ج 2كتاب الباس، رقم الحديث: 1 ص910.
(2) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، رقم الحديث 2599ص631.
(3) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط -وآخرون، دار مؤسسة الرسالة، ج14رقم الحديث8943ص506
(4) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج 4 كتاب الفضائل، رقم الحديث 2337ص1818.

سادسا: تحبيبه وتشجيعه على اللباس الأطهر والأطيب:

كان صلى الله عليه وسلم يأمر صحابته بحسن اللباس وأطيبه، وأفضله الثوب الأبيض لأنه أطيب وأطهر، وتكريما للميت عند المسلمين يكفن بهذا اللباس بعد لقاء ربه، فعن ابن عباس رضي الله عنهم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « البَسوا مِن ثيابِكم البَياضَ؛ فإنَّها خيرُ ثيابِكم، وكفِّنوا فيها موتاكم»[1].

قال ابن بطال أثناء حديثه عن الثوب الأبيض على شرح صحيح البخاري: «الثياب البيض من أفضل الثياب وهو لباس الملائكة الذين نصروا النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وغيره والرجلان اللذان كانا يوم أحد عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم وعن شماله كانا ملكين والله أعلم وكان صلى الله عليه وسلم يلبس البياض ويفضله ويحض على لباسه الإحياء ويأمر بتكفين الأموات فيه»[2].

7. الاعتدال في التجمل:

من سمات النبي المربي صلى الله عليه وسلم الاعتدال في كل شيء حتى في التربية الجمالية، فلم يفضلها على غيرها بل كان يراعي حالة الإنسان وظروفه الاجتماعية والاقتصادية، وكان يحثهم على التربية الجمالية وفق ما يستطيعون ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها سواء التربية الجمالية المتعلقة بالظاهر أو الباطن، فكان يذكرهم في كل وقت من التزين والتجمل بشيء كان من الحرام كما في لباس أهل الكفر، الذي يصفه لنا الصحابي الجليل عبد الله بن عمرو بن العاص، حيث قال ذات يوم رأى على النبي صلى الله عليه وسلم ثوبين من عصفرين فقال لي: إن هذا من ثياب الكفر فلا تلبسه ومثل ذلك، إنه كان ينهى عن اللباس الذي يحس به صاحبه بالتكبر والعلو عن إخوانه، فقال عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه أبو

(1) سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق: رائد صبري ابن أبي علفة، دار الحضارة للنشر والتوزيع -الرياض-، ط2 1436هـ-2015م كتاب الجنائز، رقم الحديث994ص211.
(2) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، تحقيق: أبو تميم ياسر بن ابراهيم، دار الرشد -الرياض، ج9 ص104.

هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار». وفي رواية أخرى: «من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة»[1].

فبين الحبيب صلى الله عليه وسلم وكان عادلا مراعيا الأحوال والظروف في إعطاء الأحكام على حسب ما يقتضيه الطلب والشأن.

وفي الوقت نفسه نجده صلى الله عليه وسلم مجسدا قمة العدالة الجمالية النبوية فلم يترك المرأة المسلمة تسير على هواها وتترك نفسها، بل حثها على الاهتمام بنفسها وفق ما شرع لها المشرع، ونهاها عن الخروج عن هذه الضوابط الشرعية المفصلة في الفقه الإسلامي.

وتجدر الإشارة من سمات الاعتدال في التربية الجمالية أنه نبه ونهى الإنسان من الانجرار في مهب الريح المبالغ في الإنفاق والإسراف والتجمل والترف، روى البخاري في صحيحه تعليقا، باب قول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أخرج لِعِبَادِهِ﴾؟ وقال النبي صلى الله عليه وسلم: كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة» [2].

ومن قمة الاعتدال الجمالي في التربية النبوية نهيه الشديد عن تغيير خلق الله في جملة من الحالات والصور، وعلل صلى الله عليه وسلم بتغيير خلق الله، فمثلا: الوشم الذي يغير به خلق الله، فوصفهم النبي بالمغيرين لخلق الله الذي ما أرداه، ولو أراده لما خلقه على تلك الهيئة، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "لَعَنَ اللَّهُ الوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالنَّامِصَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ المُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللهِ قالَ: فَبَلَغَ ذلكَ امرأَةً مِن بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهَا: أُمُّ يَعْقُوبَ وَكَانَتْ تَقْرَأُ القُرْآنَ، فأتَتْهُ فَقالَتْ: ما حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ لَعَنْتَ الوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالْمُتَنَمِّصَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ، لِلْحُسْنِ المُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللهِ، فَقالَ عبدُ اللهِ: وَما لي لا أَلْعَنُ مَن لَعَنَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ؟ وَهو في كِتَابِ اللهِ فَقالتِ المَرْأَةُ: لقَدْ قَرَأْتُ ما بيْنَ لَوْحَيِ المُصْحَفِ فَما وَجَدْتُهُ فَقالَ: لَئِنْ كُنْتِ قَرَأْتِيهِ لقَدْ وَجَدْتِيهِ، قالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَما آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهَاكُمْ عنه فَانْتَهُوا﴾، فَقالتِ المَرْأَةُ: فإنِّي أَرَى شيئًا مِن

(1) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب اللباس، رقم الحديث 5787ص1465.

(2) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب اللباس، الباب الأول، ص1464.

هذا علَى امرأَتِكَ الآن، قالَ: اذْهَبِي فَانْظُرِي، قالَ: فَدَخَلَتْ علَى امرأَةِ عبدِ اللهِ فَلَمْ تَرَ شيئًا، فَجَاءَتْ إليه فَقالَتْ: ما رَأيتُ شيئًا، فَقالَ: أَما لو كانَ ذلكَ لَمْ نُجَامِعْهَا" [1].

(1) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج 3 كتاب اللباس والزينة، رقم الحديث 2125ص1678.

المبحث الثاني: الأساليب والوسائل في التربية النبوية

إن التربية النبوية ليست مجرد تأسيس نظري أو معرفي أو أفكار مثالية، بل هي مشروع عملي واقعي يتجلى في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وأقواله، وأفعاله، وأحواله وفي تعامله صلى الله عليه وسلم مع صحابته الكرام الذي كان لهم دواء شافيا لكل داء سقيم، في جميع مجال الحياة الدنيوية والأخروية، فسلك أساليب متنوعة ووسائل كثيرة حتى لا يمل المخاطب، وهي أساليب متكاملة تؤدي دورا موحدا فيما بينها وهو: الارتقاء بالفرد، وتوجهيه الوجهة الصحيحة السليمة، والسلف الصالح خير نموذج لهذه التربية النبوية.

وفي ما يلي نذكر بعض الأساليب والوسائل التي استخدمها النبي المربي عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام

المطلب الأول: التربية بالمحبة

إن من أعظم الأساليب النبوية التربوية أسلوب التربية بالحب، فحينما يفهم الابن أنك تحبه بصدق لا شك أنه سيقتنع وسيكون كالخاتم في أصبعك تفعل فيه ما تشاء تربيه كيف تشاء ومتى تشاء، فهو يتفاعل ويستجيب لك لأنك امتلكت قلبه وهذا هو سر النجاح عند الكثير من المربين الذين جسدوا تعاليم رسول الله صلى الله عليه وسلم[1]، مثل ما كان يفعل مع صحابته الكرام الذين كانوا حوله في السراء والضراء، فأنشأ وربى جيلا ليس بعده جيل. وفي الحقيقة وأنا أقف على هذه النماذج من الصحابة ترجع بي الذكريات الجميلة، وأتذكر تلك العلاقة التي كنت أعيشها مع شيوخي الفضلاء وخاصة أولئك الذين حفظت على ايدهم القرءان الكريم جزاهم الله عني خير الجزاء، تجد نفسك بكثرة الحب والاحترام والتوقير الذي يجمعك بالشيخ المربي المحفظ يدفعك الى القبول والامتثال له، لأنك تعلم علم اليقين أنه لن يأمرك إلا ما فيها الخير والصلاح لك في الدنيا والآخرة، فالمحبة الصادقة الخالصة لوجه الله تعالى تغرس بين الأطراف خيوط الوصال التي لا يمكن أن تتوقف في وقت من الأوقات حتى وإن تباعدت الأجساد، فالقلوب تجدها ما زالت مقتنعة بما قدم لها، ممتنة له

(1) الأساليب النبوية في تربية الأبناء والدرية،، خالد بن هشام أل عرفة، ص57.

وتسأل المولى ان يجعلها له دخرا في اليوم الذي لا ينفع فيه لا مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. نسأل الله أن نكون من هؤلاء.

وأهم مظاهر التربية بالحب: ابتسامة صادقة، ومعانقة قلبية لا يشوبها طمع ولا حسد ولا غرور، وكل ما من شأنه أن يقوي روابط المحبة والإخاء بين الأطراف.

وهذا كله جلي وواضح في سيرته صلى الله عليه وسلم وفي سننه.

فمن بين علامات زرعه صلى الله عليه وسلم فيهم هذه التربية والخصلة النبيلة، ذات يوم كان صلى الله عليه وسلم في المسجد يخطب وأتاه سيدنا الحسن والحسين رضي الله عنهما، ولنترك الحديث النبوي يقص لنا الحدث بعينه، فعن عبد الله بن بردية رضي الله عنه، عن أبيه قال: «كانَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ يخطُبُنا، فجاء الحسنُ والحسينُ عليْهما قميصانِ أحمرانِ يمشيان ويعثُرانِ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر، فحملهما فوضعَهما بينَ يديْهِ، ثمَّ قالَ صدقَ اللَّهُ ورسوله: إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأولادُكُمْ فِتْنَةٌ، رأيتُ إلى هذينِ الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما»[1].

فالنبي المربي صلى الله عليه وسلم في شعيرة وعبادة جليلة عند الله سبحانه، وفي مكان مبارك وأمام عامة الناس الحاضرين في المسجد، وحينما رأى أحفاده نزل على المنبر كي يعانقهما، وقال لعامة المسلمين: رأيت هذين فلم أصبر، سبحان ما أجمله من موقف معبر عن علاقة المحبة الصادقة، وإشارات ودلالات عابرة للحاضرين، توحي إلى تربية روحية عملية ولو لم يزد على هذا في هذه الخطبة لكفت الحاضرين، فرسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الأعظم في كل شيء حتى مع الأطفال فصلوات ربي وسلامه عليه ما دام الليل وأطراف النهار.

إن أحسن تعبير يكون الرابط الحقيقي لتفاعل المشاعر الإنسانية هو التربية «بالحب» قبل أي شيء، كان صلى الله عليه وسلم يقول لمعاذ بن جبل رضي الله عنه إني أحبك ثم يرشده، عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيده وقال: «يا معاذُ ! واللهِ إني لَأحبك. قال له معاذٌ: بأبي أنت وأمي يارسولَ اللهِ ! وأنا واللهِ أحبكَ. قال: أوصيك

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط -وآخرون، دار مؤسسة الرسالة، ج38رقم الحديث22995ص100.

يا معاذُ ألا تدعَنَّ دُبُرَ كلِّ صلاةٍ أن تقول: اللهمَّ أَعِنِّي على ذكرِك وشكرِك، وحسنُ عبادتِك. وأوصى بذلك معاذا الصُّنَابِحِيَّ، وأوصى به الصُّنابحيُّ أبا عبدِ الرَّحمنِ»[1].

فيستفاد من هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يوصيه زرع في قلبه أنه يحبه، واستخدم أساليب فيها ما فيها من الإشارات: أسلوب الوصية ليس هو أسلوب الأمر، واستعمل أسلوب التوكيد والتأكيد ليمتلك قلب معاد رضي الله عنه، فكان أسلوبا ناجحا ومسددا وأصبحت النصيحة واقعا عمليا في حياة معاذ رضي الله عنه.

فالأسلوب له أثر جميل وكبير على نفس الطفل بشكل خاص، وعلى عامة الناس في مجال المعاملات الإنسانية المشتركة.

وجوهر الرحمة والمحبة للناشئة بالابتسامة في وجههم عندما يقبلون إليك حتى وإن كان المربي في حالة الهموم والأحزان، بل يطلب منه أن يبتسم ويتعامل معهم بالقول الين، روى جرير رضي الله عنه أنه فقال: «ما حَجَبَنِي النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مُنْذُ أسْلَمْتُ، ولَا رَآنِي إلا تَبَسَّمَ في وجْهِي» [2].

قال ابن بطال رحمة الله عليه في شرحه للحديث: «إن لقاء الناس بالتبسم وطلاقة الوجه من أخلاق النبوة وهي مناف للتكبر وجالب للمودة»[3].

إذا كان صلى الله عليه وسلم صاحب المهام العظمى والوظائف الكثيرة فكان يبتسم دائما لمن حوله من الصحابة وعامة الناس، فكيف ببعض الناس الذي يدعون أنفسهم بأنهم أهل المعرفة والتربية فلو التقوا مع الطفل أو اقل دونهم مكانة لوجدتهم كانوا يملكون الدنيا وزخارفها لكن هذه إشارات من النبي المربي الذي يجعل التربية إيمانا واعتقادا وتنزيلا

(1)سنن أبي داوود، أبو داوود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط -وآخرون، دار الرسالة العالمية، طبعة خاصة: 1430هـ-2009م، ج2 رقم الحديث 1522ص 631.
(2) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب الجهاد والسير، رقم الحديث 3035ص747.
(3) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، تحقيق: أبو تميم ياسر بن ابراهيم، دار الرشاد -الرياض ج 5ص193.

لما كما يقول، ولا يأتي منه ولو مثقال ذرة لذلك قال الله سبحانه في مثل هذا السياق: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[1].

فالابتسامة وإعطاء القيمة الإنسانية لكل كائن بشري ينبغي أن تكون لأن المنهج النبوي يوصي دائما للسير وفقه لمن أراد النجاح في الدنيا والآخرة.

ونجده صلى الله عليه وسلم يؤكد في موقف آخر على أن المربي ينبغي له أن يعانق طفله لكي يحس ويشعر بالحب والأمن، وأجمل تشخيص للنبي صلى الله عليه وسلم وهو أسوتنا مع أمامة بنت أبي العاص.

عن أبي قتادة قال: «بينا نحنُ في المسجدِ جلوسٌ خرجَ علينا رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ يحملُ أمامة بنتَ أبي العاصِ بنِ الرَّبيعِ وأمُّها زينبُ بنتُ رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ وَهيَ صبيَّةٌ يحملُها على عاتقِهِ فصلَّى رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ وَهيَ على عاتقِهِ يضعُها إذا رَكعَ ويعيدُها إذا قامَ حتَّى قضى صلاتَهُ يفعلُ ذلِكَ بِها»[2].

علق ابن حجر وغيره من الشراح على هذه القصة، فقال: «ومن شفقته صلى الله عليه وسلم ورحمته لأمامة أنه كان إذا ركع أو سجد يخشى عليها أن تسقط فيضعها بالأرض، ولكنها كانت لتعلقها به لا تصبر في الأرض فتجزع من مفارقته فيحتاج أن يحملها إذا قام، واستنبط منه بعضهم عظم قدر رحمة الولد، لأنه تعارض حينئذ المحافظة على المبالغة في الخشوع، والمحافظة على مراعاة خاطر الولد فقدم الثاني»[3].

إن من الأمور التي ينبغي الإشارة إليها في هذا الصدد، وهي تلك النظرة الخاطئة عند كثير أهل التربية والأخلاق، سواء الأسرة أو المعلم المربي أو أي شريك تربوي.

---

(1) سورة الصف الآية2.

(2) سنن أبي داوود، أبو داوود سليمان بن الأشعث الازدي السجستاني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط -وآخرون، دار الرسالة العالمية، طبعة خاصة: 1430هـ-2009م، ج2 رقم الحديث 918ص183.

(3) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث القاهرةج10ص429.

إن الطفل عندما يخطئ لا ينبغي التعامل معه كأنه أنسان لا فائدة منه ترجى، بل يشرع أنك تتعامل معه بأسلوب المحبة من حيث الأصل، وتصحح له الخطأ لا أن تدفعه إلى الهاوية فيصبح بعد فترة عالة على نفسه وعلى مجتمعه.

فالتربية إذا توفرت فيها الأدوات التي سبق وأن أشرنا إليها كما كان يفعلها رسول الله مع صحابه وهو القدوة الحسنة، بدون شك لن توصلنا إلى إنشاء جيل غير متخلق بالأخلاق الحسنة، بل يثبت العكس فزرع المحبة والأمن والاحترام الصحيح لا يأتي إلا بما من قبيل النفع والاستنفاع، وهذا ما يرجوه كل واحد مع أبنائه أو طلبته وغيرهم.

المطلب الثاني: التربية بالموعظة

لقد وصف الله سبحانه وتعالى كتابه العزيز بالموعظة البليغة فقال: ﴿يَأيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، ووصف الكتاب الذي أنزل على موسى عليه السلام بالموعظة، فقال: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الألواح مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[2]، وبما أنزل على عيسى عليه السلام فقال: ﴿وَآتَيْنَاهُ الإنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾[3]، وفي حق نوح عليه السلام قال: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهلينَ﴾[4].

وأمر نبيه بالموعظة لفئات من المخاطبين: فقال: ﴿وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أنفسهم قَوْلا بَلِيغًا﴾[5]، وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِواحدة أَنْ تَقُومُوا لِلَّه مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾[6].

إذن من خلال جردنا لبعض الآيات التي تناولت أسلوب الموعظة في مواقف متعددة، ومع أجناس مختلفة، نفهم أن أسلوب الموعظة الحسنة يكتسي أهمية عظيمة، لأن القلوب

(1) سورة يونس الآية 57.
(2) سورة الأعراف الآية 145.
(3) سورة المائدة الآية 46.
(4) سورة هود الآية 46.
(5) سورة النساء الآية 63.
(6) سورة سبا الآية 46.

الإنسانية دائما بين حال وأحوال، فيحتاج الفرد بين الحين إلى تذكير ووعظ، لا شك أن لها في النفس أثرا بليغا، وهذا لا ينكره إلا جاحد، فكان صلى الله عليه وسلم يعين لها عناية واهتماما خاصا لما تحويه من مكانة عظيمة، ومنزلة شريفة، فكان يذكر صحابته ويرقق قلوبهم ولم تكن الموعظة خاصة بحديثي العهد بالإسلام، والتوبة ولا بالمقصرين المخطئين إنما كانت هديا ثابتا له صلى الله عليه وسلم يتخول بها أصحابه رضوان الله عليهم لترقيق القلوب وتزكية النفوس والتحلي بمكارم الاخلاق،، والمثتال للاومر الإسلام ونواهيه[1]، فعن ابن عمر رضي الله عنه أنَّ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مَرَّ علَى رَجُلٍ مِنَ الأنصار، وهو يَعِظُ أخاهُ في الحَيَاءِ، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «دَعْهُ فإنَّ الحَيَاءَ مِنَ الإيمان»[2].

قال الحافظ ابن حجر: «المراد بوعظه أنه يذكر له ما يترتب على ملازمته من المفسدة»[3].

ومواعظه صلى الله عليه وسلم مواعظ مؤثرة، اجتمع فيها صدق الواعظ وبلاغته، واستعداد المستمع ورقة القلب، فاللبيب العاقل الذي ما سعد إلا بهذا التوجيهات النفيسة من لدن صاحب النفس العظيمة.

فعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: «صَلَّى لنا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ الفجرَ، ثمَّ أَقْبَلَ علينا فوَعَظَنا مَوعِظةً بليغةً، ذَرَفَتْ لها الأعْيُنُ، ووَجِلَتْ منها القُلوبُ، قُلْنا أو قالوا: يا رسولَ اللهِ، كأنَّ هذه مَوعِظةٌ مُوَدِّعٍ، فأوصِنا. قال: أوصيكم بتَقْوى اللهِ، والسَّمعِ والطاعةِ وإنْ كان عبْدًا حَبَشيًّا؛فإنَّه مَن يَعِشْ منكم يَرى بَعْدي أختِلافًا كثيرًا، فعليكم بسُنَّتي، وسُنَّةِ الخُلفاءِ الراشدين المَهْديِّينَ، وعَضُّوا عليها بالنَّواجِذِ»[4].

فكان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكون عند سماع مواعظه، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خطبنا رسول صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط،

(1) مدخل الى أصول التربية الإسلامية، محمد بن عبد الله آل عمر، ومحمود يوسف الشيخ، دار المتنبي الدمام، سنة الطبع: 1425هـ، ص200.

(2) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب الإيمان، رقم الحديث24ص16.

(3) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فواد عبد الباقي، دار الحديث-القاهرة-، ج10 ص588.

(4) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط -وآخرون، دار مؤسسة الرسالة، ج14، رقم الحديث: 17144، ص373.

قال: قال: «لو تعلمونَ ما أعلم ؛ لضحِكتُم قليلًا ولبكيتُم كثيرًا، قال: فغطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم حنين»[1].

وهذه الموعظة البليغة من سماتها نه كانت من قبيل التخول لا من قبيل التكرار والإكثار والمبالغة فيها، فالإنسان مهما وصل من درجة الإيمان والتقوى إلا ونفسه يمكن أن تسأم وتمل، والإكثار من الشيء ينقلب إلى ضده في بعض الأحيان، ولذلك فلعله صلى الله عليه وسلم كان لا يكثر من الموعظة، بل يتخولهم بها لهذا السبب، وإن كان صلى الله عليه وسلم أعذب الناس حديثا، فالتيسير والاعتدال في كل شيء أمر مطلوب وإن كان الصحابة رضوان الله عليهم يمتلكون القدرة على الصبر والتحمل، ونجده يحث في كل مناسبة فيوصي صحابته بالرفق على النفس وعدم تحميلها مالا طاقة لها به، ولا يكلف الله نفسها إلا وسعها[2].

فعن أبي وائل قال: كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «يُذَكِّرُ النَّاسَ في كُلِّ خَمِيسٍ فقالَ له رَجُلٌ: يا أبا عبدِ الرَّحْمَنِ لَوَدِدْتُ أنَّكَ ذَكَّرْتَنا كُلَّ يَومٍ؟ قالَ: أما إنَّه يَمْنَعُنِي مِن ذلكَ أنِّي أكْرَهُ أنْ أُمِلَّكُمْ، وإنِّي أتَخَوَّلُكُمْ بالمَوْعِظَةِ، كما كانَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَتَخَوَّلُنا بها، مَخافَةَ السَّأمة عَلَيْنا». [3]

وفي هذا الحديث دليل على أهمية اعتبار المربي لحال المتربين واستعدادهم، وتتسع جلالة النص فلا تقف عند مجر كثرة الموعظة بل تشمل ذلك كل ما يقود إلى السآمة أو يعوق عن الاستفادة من تأثيرها: من أسلوب ولغة، أو توقيت أو إطالة، أو ما يثير الحرج أو يجرح المشاعر... فمراعاة حال الناس أمر مرغوب فيه.

---

(1) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب التفسير، رقم الحديث 4621ص1137.

(2) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، زياد محمد العاني، دار عمار -عمان-، سنة الطبع: 1420هـ، ص 395.

(3) مرجع سابق، صحيح البخاري، كتاب العلم، رقم الحديث 70، ص30.

قال الخطيب البغدادي: «حق الفائدة أن تساق إلى مبتغيها، ولا تعرض إلا على الراغب فيها، فإذا رأى المحدث بعض الفتور من المستمع فليسكت، فإن بعض الأدباء قال: نشاط القائل على قدر فهم المستمع»[1].

كان صلى الله عليه وسلم لا يقوم بالوعظ إذا رأى أن الوقت لا يناسب حتى وإن رغب الصاحبة في ذلك، عن الأعمش عن شقيق قال: «كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ بَابِ عبدِ اللهِ نَنْتَظِرُهُ، فَمَرَّ بنَا يَزِيدُ بنُ مُعَاوِيَةَ النَّخَعِيُّ، فَقُلْنَا: أعلمه بمَكَانِنَا، فَدَخَلَ عليه فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ خَرَجَ عَلَيْنَا عبدُ اللهِ، فَقالَ: إنِّي أخبَرُ بمَكَانِكُمْ، فَما يَمْنَعُنِي أَنْ أخرجَ إلَيْكُمْ إلا كَرَاهيةُ أَنْ أُمِلَّكُمْ، إنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ كانَ يَتَخَوَّلُنَا بالمَوْعِظَةِ في الأيامِ، مَخَافَةَ السَّآمة عَلَيْنَا»[2].

وأوصى ابن عباس عكرمة بألا يكثر الموعظة، وإلا يستكثره الناس عليها، فعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حَدِّثِ النَّاسَ كُلَّ جُمُعَةٍ مَرَّةً، فإنْ أبيتَ فَمَرَّتَيْنِ، فإنْ أكثرتَ فَثَلَاثَ مِرَارٍ، ولَا تُمِلَّ النَّاسَ هذا القُرْآنَ، ولَا أُلْفِيَنَّكَ تَأْتي القَوْمَ وهُمْ في حَدِيثٍ مِن حَديثِهِمْ، فَتَقُصُّ عليهم، فَتَقْطَعُ عليهم حَدِيثَهُمْ فَتُمِلُّهُمْ، ولَكِنْ أنْصِتْ، فإذا أمروكَ فَحَدِّثْهُمْ وهُمْ يَشْتَهُونَهُ، فَانْظُرِ السَّجْعَ مِنَ الدُّعَاءِ فَاجْتَنِبْهُ، فإنِّي عَهِدْتُ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وأصحابه لا يَفْعَلُونَ إلا ذلكَ يَعْنِي لا يَفْعَلُونَ إلا ذلكَ الاجْتِنَابَ[3].

إن من مواطن الوعظ النبوي، الموقف المناسب الذي تتوفر فيه الشروط والآليات الكفيلة مثل: موقف الوفاة أو المرض، أو الموجود في المسجد أو في موطن الغزو ونحو ذلك، لكفيل بتدارك أحوال التقصير والضعف بالموعظة والتذكير، فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في جِنازةِ رجلٍ من الأنصار , فانتهينا إلى القبرِ ولمَّا يُلحدْ. فجلسَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وجلسنا حولَه كأنَّ على رؤوسنا الطَّيرَ،

---

(1) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الحافظ الخطيب البغدادي، تحقيق: د. محمد الطحان، دار مكتبة المعارف -الرياض- 1403هـ-1983م، ج1 ص330.

(2) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج 4 كتاب صفات المنافقين واحكامهم، رقم الحديث 2821ص2172.

(3) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب الدعوات، رقم الحديث 6337ص1581.

وفي يدِه عودٌ ينكُتُ به في الأرض، فرفع رأسَه فقال: «استعيذوا باللهِ من عذابِ القبرِ مرَّتَيْن أو ثلاثًا»[1].

إن موقف الموت وحضور الجنازة يستثير مشاعر الناس وينقل تفكيرهم إلى الرحيل للآخرة مما يجعل النفوس أكثر تهيؤا لسماع الموعظة وأكثر استعدادا للتفاعل معها والتأثر بها.

فأحوال التأثر والاستعداد النفسي قد تتمثل في مثل هذه الأحوال. فتتعظ وتستفيق من غفلتها.

فالأسلوب النبوي الوعظي يؤطره بعدان: الأول: للفرد. والثاني: الجماعة.

وهذا رجع إلى الموقف الذي يوظف فيه الأسلوب:

فالأسلوب الإفرادي النبوي مثلا في موعظته صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: أنَّه ركِب خلفَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يومًا، فقال له رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «يا غلامُ، إنِّي مُعلِّمُكَ كلماتٍ: احفَظِ اللهَ يحفَظْكَ، احفَظِ اللهَ تجِدْه تُجاهَكَ، وإذا سألتَ فاسألِ اللهَ، وإذا استعَنتَ فاستَعِنْ باللهِ، وأعلم أنَّ الأمة لو اجتَمعوا على أنْ ينفَعوكَ، لم ينفَعوكَ إلا بشيءٍ قد كتَبه اللهُ لكَ، ولو اجتَمعوا على أنْ يضرُّوكَ، لم يضرُّوكَ إلا بشيءٍ قد كتَبه اللهُ عليكَ، رُفِعتِ الأقلام، وجفَّتِ الصُّحُفُ». [2]

فالموعظة الفردية لها تأثير مختلف على إنصات المتلقي، وعلمه بأن الخطاب موجه إليه ويبقى الكلام مبثوثا في الذاكرة على الغالب والله تعالى أعلم.

أما الخطاب النبوي الجماعي، فعن العرباض بن سارية قال: وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ،

(1) سنن أبي داوود، أبو داوود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، دار الرسالة العلمية، ط1 1430هـ-2009ج 7 رقم الحديث 4753ص131.

(2) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط -وآخرون، دار مؤسسة الرسالة، ج4 رقم الحديث2669ص3409.

فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا -يَا رَسُولَ اللهِ-؟ قَالَ: أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ.. [1].

وللتربية بالموعظة ضوابط أرساها النبي صلى الله عليه وسلم وحث المربي على إتيانها ومن أهم آلياتها الناجعة[2]:

1. البعد عن الإملال[3]: كان صلى الله عليه وسلم يتخلل أصحابه بالموعظة عند وجود أي تقصير أو خلال إن صح التعبير، فكان يراعي أحوالهم النفسية نظرا لمشاق الحياة اليوم والعبادة ونحو ذلك، كما بين في وصيته صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فيفهم من هذا أنه ينبغي للمربي الذي يربي الناشئة أن يسير وفق هذ المنهج النبوي أثناء استعماله لهذا الأسلوب التربوي النبوي لتحقيق الفاعلية والتأثير الإيجابي.

2. التوازن في الترغيب والترهيب: فالنفس البشرية بطبعها تحتاج إلى الترغيب وإشاعة الرجاء، وفي الوقت نفسه تحتاج إلى الترهيب والتخويف من العقوبات الدنيوية والأخروية، ومنهج القرءان والسنة النبوية وازن بين الأمرين، فتعامل مع القلوب على حسب ما يقتضيه مقامه.

3. الاعتدال: إن أسلوب الموعظة يخاطب الوجدان ويأثر في الجانب العاطفي له، فيشرع للمربي أن يكون معتدلا فيما يقوله، منضبطا بالأصول العلمية المعرفية، وتوظيفها في السياق المناسب لها والعناية بالوصف الشرعي دون إفراط أو تفريط.

إن الاعتدال هي سنة الله في هذه الحياة، وهو منهج الإسلام قام عليه ودعا إليه ولا يصلح للناس سوى المنهج الشرعي الحنيف ومجانبته مدعاة للسآمة والنفور من الواعظ المربي، بل ربما كان سكوته خيرا من حديث مبالغ فيه

---

(1) سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق: رائد صبري ابن أبي علفة، دار الحضارة للنشر والتوزيع -الرياض-، ط2 1436هـ-2015م كتاب العلم، رقم الحدبث2676ص523.

(2) الأساليب النبوية لتنمية القيم الإيمانية، الطيب احمد عبد الحميد الشنقيطي، ص113.

(3) أساليب الرسول صلى الله عليه وسلم في الدعوة والتربية، يوسف خاطر حسين الصوري، دار صندوق التكافل لرعاية اسر الشهداء والأسرى، ص66

المطلب الثالث: الترغيب والترهيب

إن الترغيب في الأعمال الصالحة له أثره الخاص في حفز النفوس البشرية وشحذ الهمم والإنابة إلى الله تعالى والإقبال عليه وفعل الطاعات والقربات.

إذن فهو أسلوب جميل لأنه قائم على الإغراء والتحبيب والجدب لما يحبه السامع عن طريق وعده بالثواب والتعزيز عن تلبيته الخطاب، فإذا كان الترغيب على هذه الشاكلة فإن الترهيب والتخويف يمنعه ويحجزه عن معصية الله وعن اقتراف الخطايا، ومقارنته بين الشيء المحمود وعواقبه، والشي المذموم وعواقبه.

وتجدر الإشارة إلى أن القرءان الكريم اعتنى بالترغيب والترهيب وقرن بينهما، فجاء على لسان نبيه فقال سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أنزل عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا، قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ المؤمنينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾[1].

فالنفوس البشرية فيها إقبال وإدبار وفيها شدة وفتور، ومن ثم كان المنهج التربوي النبوي يتعامل مع هذه النفس بكل هذه الاعتبارات، ومن ذلك: الجمع بين الترغيب والترهيب والرجاء والخوف، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى لنا يَوْمًا الصَّلَاةَ، ثُمَّ رَقِيَ المِنْبَرَ، فأشَارَ بيَدِهِ قِبَلَ قِبْلَةِ المَسْجِدِ، فَقالَ:

«قدْ أُرِيتُ الآنَ مُنْذُ صَلَّيْتُ لَكُمُ الصَّلَاةَ، الجَنَّةَ والنَّارَ، مُمَثَّلَتَيْنِ في قُبُلِ هذا الجِدَارِ، فَلَمْ أرَ كَاليَومِ في الخَيْرِ والشَّرِّ، فَلَمْ أرَ كَاليَومِ في الخَيْرِ والشَّرِّ»[2].

وفي الحديث الذي رواه ابن مسعود رضي الله عنهما فقال: قال صلى الله عليه وسلم: «الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك»[3].

(1) سورة الكهف الآية 2.

(2) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب الرقائق، رقم الحديث 6468ص1610.

(3) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب الرقائق رقم الحديث 6488 ص1613.

ففي هذا الحديث بين النبي صلى الله عليه وسلم قرب الجنة والنار من العبد.

قال ابن حجر: «قال ابن بطال: فيه إن الطاعة موصلة إلى الجنة وان المعصية مقربة إلى النار وان الطاعة والمعصية قد تكون في أيسر الأشياء وتقدم في هذا المعنى قريبا حديث: ان الرجل ليتكلم بالكلمة... الحديث، فينبغي للمرء ان لا يزهد في قليل من الخير ان يأتيه ولا في قليل من الشر ان يجتنبه فانه لا يعلم الحسنة التي يرحمه الله بها ولا السية التي يسخط عليه بها»(1).

واستخدم أسلوب الرجاء والخوف، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم

: «إنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَومَ خَلَقَها مِئَةَ رَحْمَةٍ، فأمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وتِسْعِينَ رَحْمَةً، وأَرْسَلَ في خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً واحدة، فلوْ يَعْلَمُ الكافِرُ بكُلِّ الذي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ لَمْ يَيْئَسْ مِنَ الجَنَّةِ، ولو يَعْلَمُ المؤمن بكُلِّ الذي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ العَذابِ لَمْ يَأْمَن مِنَ النَّارِ»(2).

لقد تنوع مجال الترغيب والترهيب النبوي:

1. مجال الترغيب النبوي: فالترغيب النبوي أهم المجالات التي عالجها ما يلي:

أ. توبة العبد إلى ربه: لقد كان صلى الله عليه وسلم يرغب صاحبه بالتوبة النصوح والإنابة إلى الله بقلب متضرع تائب عما اقترفه من ذنوب، فعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ باللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بالنَّهارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِن مَغْرِبِهَا» (3).

ب. الترغيب في رحمته الله الواسعة: كان صلى الله عليه وسلم يرغب صحابته في طلب رحمة الله في الدنيا والآخرة، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: - قَدِمَ علَى النبيِّ صَلَّى

(1) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الإمام ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. محمد فواد عبد الباقي، دار الحديث القاهرة 1424هـ-2004م ج11 ص363.

(2) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب الرقائق، رقم الحديث 6469ص1610

(3) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج 4 كتاب التوبة، رقم الحديث 2759ص2113.

اللهُ عليه وسلَّمَ سَبْيٌ، فإذا امرأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي، إذا وجَدَتْ صَبِيًّا في السَّبْيِ أخذَتْهُ، فألْصَقَتْهُ ببَطْنِهَا وأرضعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أتُرَوْنَ هذِه طَارِحَةً و لَدَهَا في النَّارِ قُلْنَا: لَا، وهي تَقْدِرُ على أنْ لا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: لَلَّهُ أرْحَمُ بعِبَادِهِ مِن هذِه بوَلَدِهَا[1].

ج. الترغيب بالنصر والتمكين في الدنيا: كان يبري صحابته ويرغبهم ويحفهم على الاهتمام بالوسائل التي تسعد على النصر والتمكي في الدني، فعن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: شَكَوْنا إلى رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وهو مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً له في ظِلِّ الكَعْبَةِ فَقُلْنا: إلا تَسْتَنْصِرُ لنا إلا تَدْعُو لَنا؟ فقالَ: قدْ كانَ مَن قَبْلَكُمْ، يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فيُحْفَرُ له في الأرض، فيُجْعَلُ فيها، فيُجاءُ بالمِنْشارِ فيُوضَعُ علَى رَأْسِهِ فيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، ويُمْشَطُ بأَمْشاطِ الحَدِيدِ، ما دُونَ لَحْمِهِ وعَظْمِهِ، فَما يَصُدُّهُ ذلكَ عن دِينِهِ، واللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هذا الأمر، حتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِن صَنْعاءَ إلى حَضْرَمَوْتَ، لا يَخافُ إلا اللَّهَ، والذِّئْبَ علَى غَنَمِهِ، ولَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ». [2]

د. الترغيب بمتاع الدنيا وجزائها: كان يرغب صلى الله عليه وسلم بمتاع الدنيا ويذكر ثواب العمل الصالح الذي يفعله الإنسان خالصا لوجه الكريم، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كانتِ الآخرة هَمَّهُ جعلَ اللَّهُ غناهُ في قلبِهِ وج معَ لَه شملَهُ وأتتهُ الدُّنيا وَهيَ راغمةٌ، ومن كانتِ الدُّنيا همَّهُ جعلَ اللَّهُ فقرَهُ بينَ عينيهِ وفرَّقَ عليهِ شملَهُ، ولم يأتِهِ منَ الدُّنيا إلا ما قُدِّرَ لَهُ»[3].

ه. الترغيب في ثواب الآخرة: كل ما يتمناه العبد المومن هي الفوز بالجنة فلأجلها نسعى ونحفد ونتحمل المكاره والمشاق في الدار الفانية، لعل المولى سبحانه يشملنا بمنه وفضله وكرمه بهذه الجائزة التي ليس بعدها فرح وسرور، لذلك صلى الله عليه وسلم يعي قيمة هذا النعيم الذي ليس بعده نعيم فيحب أن يتذوقه المسلم لكي يحس ويفهم مراد هذا الترغيب

(1) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب الأدب، رقم الحديث 5999ص1506

(2) المصدر نفسه: كتاب الإكراه رقم الحديث 6943 ص1719.

(3) سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق: رائد صبري ابن أبي علفة، دار الحضارة للنشر والتوزيع -الرياض-، ط2 1436هـ-2015م كتاب صفة القيامة والرقائق، رقم الحدبث2465ص485.

الذي كان يعمل عليه صلى الله عليه وسلم صباح مساء جاهدا الوصول إلى هذا المقصد الأعظم.

فكان يرغب صحابته في الجنة ونعيمها، ومن صور ترغيبه عليه الصلاة والسلام بنعيم الجنة:

أولا: تذكيره بعيش الآخرة: عندما يجد نفسه في هذه الحياة كلها متاعب ومشاق، فيذكرهم بالعيش الحقيقي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «خَرَجَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إلى الخَنْدَقِ، فإذا المُهَاجِرُونَ وَالأنصار يَحْفِرُونَ في غَدَاةٍ بَارِدَةٍ، فَلَمْ يَكُنْ لهمْ عَبِيدٌ يَعْمَلُونَ ذلكَ لهمْ، فَلَمَّا رَأَى ما بهِمْ مِنَ النَّصَبِ وَالجُوعِ، قالَ«: اللَّهُمَّ إنَّ العَيْشَ عَيْشُ الآخر ة، فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ والمهاجرة، فَقالوا مُجِيبِينَ له: نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدَا... علَى الجِهَادِ ما بَقِينَا أبد». [1]

ثانيا: المقارنة بين متاع الحياة الدنيا والآخرة: قارن صلى الله عليه وسلم بينهما، وبين أن موضع السوط من الجنة يعدل الدنيا بمتاعها كلها، عن سهل رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « مَوْضِعُ سَوْطٍ في الجَنَّةِ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيا وما فيها، ولَغَدْوَةٌ في سَبيلِ اللَّهِ أو رَوْحَةٌ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيا وما فيها»[2].

ثالثا: ربط جزاء العمل بدخول الجنة: كان صلى الله عليه سلم يربطه بدخول الجنة، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه قال: يقولُ اللَّهُ تعالى: »ما لِعَبْدِي المؤمن عِندِي جَزاءٌ، إذا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِن أهل الدُّنْيا ثُمَّ احْتَسَبَهُ، إلا الجَنَّةُ« [3].

رابعا: ترغيبه بنعيم الآخرة في يوم الحشر: كان يذكر حوضه الشريف لصحابته مبينا صفاته، ومن علامة معرفته لهم أثر العبادة في الدنيا، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: « إنَّ حَوْضِي أَبْعَدُ مِن أيلَةَ مِن عَدَنٍ لَهو أشد بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ، وَأَحْلَى مِنَ العَسَلِ باللَّبَنِ، وَلَآنِيَتُهُ

(1) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب المغازي، رقم الحديث 4099ص1007.

(2) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب الرقائق، رقم الحديث 6415ص1598.

(3) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب الرقائق، رقم الحديث 6424ص1600.

أكثر مِن عَدَدِ النُّجُومِ وإنّي لأَصُدُّ النَّاسَ عنْه، كما يَصُدُّ الرَّجُلُ إبِلَ النَّاسِ عن حَوْضِهِ قالوا: يا رَسُولَ اللهِ، أَتَعْرِفُنَا يَومَئذٍ؟ قالَ: نَعَمْ لَكُمْ سِيما ليسَتْ لأحد مِنَ الأمم تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا، مُحَجَّلِينَ مِن أثر الوُضُوءِ [1].

خامسا: وصفه حال أهل الجنة ونعيمهم: كان صلى الله عليه وسلم يرغب صحابته عن وصف أهل الجنة ونعيمها، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تبارك وتعالى: «أعْدَدْتُ لِعِبادِي الصَّالِحِينَ، ما لا عَيْنٌ رَأَتْ، ولا إذن سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ علَى قَلْبِ بَشَرٍ قالَ أبو هُرَيْرَةَ: اقْرَؤُوا إنْ شِئْتُمْ: فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أخفِيَ لهمْ مِن قُرَّةِ أعْيُنٍ»[2].

واصفا حالهم ودوام نعيمهم الحسي والمعنوي، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يدخل الجنة ينعم لا يباس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه»[3].

لعل الغاية منه صلى الله عليه وسلم من الترغيب في نعيم الجنة هي الدعوة إلى عمل أهل الجنة وحث العباد على الاجتهاد في صلها والعمل الصالح الذي يقرب العبد إلى ربه والفوز بالجنة بغير حساب والتمع برضوان الله والسقي من حوضه الشريف صلوات ربي وسلامه عليه. مادام اليل والنهار.

2. مجال الترهيب النبوي: استعمل النبي صلى الله عليه وسلم أسلوب الترهيب في مقابل أسلوب الترغيب الذي كان هو الغالب لدى النبي عليه السلام، ومن صور الترهيب النبوي:

أ. بيان قرب حلول الساعة:، عن سهل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة هكذا، ويشير بأصبعيه فيمد بهما. [4]

(1) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج1 كتاب الطهارة، رقم الحديث 247ص217.
(2) مرجع سابق، صحيح البخاري،، كتاب بدأ الخلق، رقم الحديث 3244ص801.
(3) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج4 كتاب الجنة ونعيمها، رقم الحديث 2836ص2188.
(4) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب الرقائق، رقم الحديث 6505ص1617

ثانيا: أحوال البرزخ: يذكرهم بأحوال البرزخ وما فيه من أهوال: فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: مَرَّ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ علَى قَبْرَيْنِ فقالَ: « أما إنَّهُما لَيُعَذَّبانِ وما يُعَذَّبانِ في كَبِيرٍ، أمَّا أحدهُما فَكانَ يَمْشِي بالنَّمِيمَةِ، وأَمَّا الآخر فَكانَ لا يَسْتَتِرُ مِن بَوْلِهِ، قالَ فَدَعا بعَسِيبٍ رَطْبٍ فَشَقَّهُ باثْنَيْنِ ثُمَّ غَرَسَ علَى هذا واحدا وعلَى هذا واحدا، ثُمَّ قالَ: لَعَلَّهُ أنْ يُخَفَّفُ عنْهما ما لَمْ يَيْبَسا» (1).

وفي حديث آخر: عن عروة بن الزبير انه سمع أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها تقول: أَنَّهُ سَمِعَ أَسْمَاءَ بنْتَ أبي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عنْهمَا، تَقُولُ: «قَامَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ خَطِيبًا فَذَكَرَ فِتْنَةَ القَبْرِ الَّتي يَفْتَتِنُ فِيهَا المَرْءُ، فَلَمَّا ذَكَرَ ذلكَ ضَجَّ المُسْلِمُونَ ضَجَّةً.(2) »

ثالثا: أحوال البعث والنشور: كان يذكرهم بهذا الموقف الرهيب من نفخ الصور وهول الحشر وموقف الحساب، والذود عن الحوض.

رابعا: الترهيب من عذاب النار: كان صلى الله عليه وسلم يرهب صحابته من عذاب النار ويحذرهم منها حمانا الله من لهيبها وأعتقنا بفضله ورحمته من عذابها، إنه على كل شيء قدير. جاء في الحديث الذي رواه أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «نارُكُمْ هذِه الَّتي يُوقِدُ ابنُ آدَمَ جُزْءٌ مِن سَبْعِينَ جُزْءًا، مِن حَرِّ جَهَنَّمَ قالوا: واللَّهِ إنْ كانَتْ لَكافِيَةً، يا رَسولَ اللَّهِ، قالَ: فإنَّها فُضِّلَتْ عليها بتِسْعَةٍ وسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّها مِثْلُ حَرِّها. وفي رواية: كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّها»(3).

وفي حديث آخر: عن النعمان بن بشير رضي اله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: «إن أهْوَنَ أهل النَّارِ عَذابًا يَومَ القيامة رجل، لا علَى أخمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتانِ، يَغْلِي منهما دِماغُهُ كما يَغْلِي المِرْجَلُ والقُمْقُمُ». (4)

---

(1) مرجع سابق، صحيح مسلم بن الحجاج، ج1 كتاب الطهارة، رقم الحديث 292ص240.

(2) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب الجنائز رقم الحديث 1373 ص332.

(3) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج4 كتاب الجنة وصفة نعيمها، رقم الحديث 2843ص2184.

(4) مرجع سابق، صحيح البخاري، كتاب الرقائق، رقم الحديث 6561ص1628.

وفي حديث آخر: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال عليه الصلاة والسلام: «اشْتَكَتِ النَّارُ إلى رَبِّهَا، فَقالَتْ: يا رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا، فأذن لَهَا بنَفَسَيْنِ، نَفَسٍ في الشِّتَاءِ، وَنَفَسٍ في الصَّيْفِ، فَهْوَ أشد ما تَجِدُونَ مِنَ الحَرِّ، وَأشد ما تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ»[1].

لقد استعمل النبي صلى الله عليه وسلم هذا الأسلوب بنوعيه لكي يجتهد الإنسان ويعمل كل ما في وسعه للقاء ربه راضيا مرضيا. وهذا ما كان يسعى إليه صلى الله عليه وسلم في استعماله لهذا الأسلوب التربوي الشريف.

وتجدر الإشارة إلى أن أسلوب الترغيب هو الأنسب والأنجح للناشئة، لأنه يخاطب المشاعر والوجدان ويجدب الرغبة الباطنية للطفل ويتوصل به إلى القناعة لقيامه على الرفق واللين والمحبة، وهذا بخلاف الترغيب الذي يتعامل به مع العقول التي لم تتعظ بالقول الحسن لأن الكائن البشر خلق من معادن.

المطلب الرابع: القصة

إن التنزيل الحكيم اعتنى عناية شاملة بالقصص وجاء بها أحسن حلة، وأمر بالاتعاظ والاعتبار بها، فجاء على لسان نبيه محمد خير الأنبياء والمرسلين، قال: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

وهذا يبين أهمية القصة ومكانتها في الجانب التربوي، لذلك كان صلى الله عليه وسلم يعني بالقصة في تربيته لأصحابه رضوان الله عليهم جميعا، والسنة النبوية حافلة بأنواع القصص النبوي، وسأكتفي بذكر بعض النماذج بعد الحديث عن بعض سماتها التي لا توجد في غيرها:

أولا: هي حقيقية:

فقد كان صلى الله عليه وسلم يؤكد لصحابته أن ما يرويه لهم هو حق وصدق حتى لو كان مما يستغرب حدوثه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «صَلَّى رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أقْبَلَ علَى النَّاسِ، فَقالَ: بيْنَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً إذْ رَكِبَهَا فَضَرَبَهَا،

(1)مرجع سابق، صحيح مسلم بن الحجاج، ج1 كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم الحديث 617ص431.

(2) سورة الأعراف الآية 176.

فَقالَتْ: إنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِهذا، إنَّما خُلِقْنَا لِلْحَرْثِ فَقالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّهِ بَقَرَةٌ تَكَلَّمُ، فَقالَ: فإنِّي أومِنُ بهذا، أنَا وأَبُو بَكْرٍ، وعُمَرُ، - وما هُما ثَمَّ - وبيْنَما رَجُلٌ في غَنَمِهِ إذْ عَدَا الذِّئْبُ، فَذَهَبَ منها بشَاةٍ، فَطَلَبَ حتَّى كَأنَّهُ اسْتَنْقَذَهَا منه، فَقالَ له الذِّئْبُ هذا: اسْتَنْقَذْتَهَا مِنِّي، فمَن لَهَا يَومَ السَّبُعِ، يَومَ لا رَاعِيَ لَهَا غيرِي فَقالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّهِ ذِئْبٌ يَتَكَلَّمُ، قالَ: فإنِّي أومِنُ بهذا أنَا وأَبُو بَكْرٍ وعُمَرُ، - وما هُما ثَمَّ-»[1].

ثانيا: موافقتها للفطرة:

فالقصة النبوية جزء من الخطاب النبوي وهو وحي غير متلو، لذلك فهي توافق الفطرة هدفها إصلاح القلوب وتهذيبها، والارتقاء بها مثل أولئك الثلاثة الذي تحدث عنهم النبي صلى الله عليه عندما أواهم المبيت إلى الغار ذكر حال أحدهم الذي هم بالفاحشة حتى لم يكن بينه وبينها إلا لحظات.

ثالثا: مقصودة وهادفة:

فهي ليست من قبيل التسلية أو من باب الإعجاب بمضمونها أو للتدوين التاريخي لأصحابها ولذلك قل ما تجد فيها أسماء الأشخاص والأماكن أو تفاصيل ما لا حاجة له من الأحداث، بل هي تذكر لغرض ألا وهو الوقوف على موطن الاعتبار والاتعاظ.

قال د. محمد حسن الزبير: والحقيقة: «أن عدم ذكر الاسم في القرءان الكريم لا يتعلق به أي غرض، وليس لذكره أي فائدة، لا فنية في بناء القصة ولا موضوعية في مضمونها، والمعروف أنه لا يذكر شيء في القرءان الكريم إلا لغرض فلما لم يتعلق بذكر الاسم أي غرض ولم يكن له أي فائدة ترك ذكره»[2].

إذن فالقصة النبوية كذلك هادفة، ومقصدها تحقيق الاعتبار فإن حجم التفاصيل فيه يرتبط بوظيفتها في الاتعاظ فلا تستطرد القصة في ذكر تفاصيل الأحداث إلا فيما يحقق المقصود.

---

(1) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب أحاديث الأنبياء، رقم الحديث 3471ص860.

(2) القصص في الحديث النبوي، د. محمد حسن الزبير، دار مكتبة المدني-الرياض-، ط3 1405هـ-1985، ص260.

رابعا: من سماتها أنها متنوعة:

باعتبار البناء وباعتبار الطول والقصر وباعتبار أشخاصها.

فأما من حيث البناء: فتجيئ أحيانا في صورة قصة واقعية مقصودة لذاتها، مثل: ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إلى النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأنبياء، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فأدْمَوْهُ، وهو يَمْسَحُ الدَّمَ عن وجْهِهِ ويقولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فإنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ»[1].

أو في صورة قصة واقعية تعرض لنا أنموذج لحالة إنسانية، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أنَّ رَجُلًا فِيمَن كانَ قَبْلَكُمْ، رَاشَهُ اللَّهُ مَالا وَوَلَدًا، فَقالَ لِوَلَدِهِ: لَتَفْعَلُنَّ ما أمركُمْ بِهِ، أو لأولِيَنَّ مِيرَاثِي غَيْرَكُمْ، إذا أَنَا مُتُّ، فأحْرِقُونِي، وَأكثر عِلْمِي أنَّهُ قالَ، ثُمَّ اسْحَقُونِي، وَاذْرُونِي في الرِّيحِ، فإنِّي لَمْ أَبْتَهِرْ عِنْدَ اللهِ خَيْرًا، وإنَّ اللَّهَ يَقْدِرُ عَلَيَّ أَنْ يُعَذِّبَنِي، قالَ: فأخذَ منهمْ مِيثَاقًا، فَفَعَلُوا ذلكَ بِهِ، وَرَبِّي، فَقالَ اللَّهُ: ما حَمَلَكَ علَى ما فَعَلْتَ؟ فَقالَ: مَخَافَتُكَ، قالَ فَما تَلَافَاهُ غَيْرُهَا». [2]

أو في صورة قصة تمثيلية له صلى الله عليه وسلم لحال أمته، وحال أهل الكتاب، عن أبي موسى الأشعري قال صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ المُسْلِمِينَ، واليهود، والنَّصارَى، كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ قَوْمًا يَعْمَلُونَ له عَمَلًا يَوْمًا إلى اللَّيْلِ، علَى أجْرٍ مَعْلُومٍ، فَعَمِلُوا له إلى نِصْفِ النَّهارِ، فقالوا: لا حاجَةَ لنا إلى أجْرِكَ الذي شَرَطْتَ لنا وما عَمِلْنا باطِلٌ، فقالَ لهمْ: لا تَفْعَلُوا، أكْمِلُوا بَقِيَّةَ عَمَلِكُمْ، وخُذُوا أجْرَكُمْ كامِلًا، فأبَوْا، وتَرَكُوا، واسْتَأْجَرَ أجِيرَيْنِ بَعْدَهُمْ، فقالَ لهما: أكْمِلا بَقِيَّةَ يومِكُما هذا ولَكُما الذي شَرَطْتُ لهمْ مِنَ الأجر، فَعَمِلُوا حتَّى إذا كانَ حِينُ صَلاةِ العَصْرِ، قالا: لكَ ما عَمِلْنا باطِلٌ، ولَكَ الأجر الذي جَعَلْتَ لنا فِيهِ، فقالَ لهما: أكْمِلا بَقِيَّةَ عَمَلِكُما ما بَقِيَ مِنَ النَّهارِ شيءٌ يَسِيرٌ، فأبيا، واسْتَأْجَرَ قَوْمًا أنْ يَعْمَلُوا له بَقِيَّةَ يَومِهِمْ،

(1) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب أحاديث الأنبياء، رقم الحديث 3477ص862.

(2) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج4 كتاب التوبة، رقم الحديث 2757ص211.

فَعَمِلُوا بَقِيَّةَ يَومِهِمْ حتَّى غابَتِ الشَّمْسُ، واسْتَكْمَلُوا أجْرَ الفَرِيقَيْنِ كِلَيْهِما، فَذلكَ مَثَلُهُمْ، ومَثَلُ ما قَبِلُوا مِن هذا النُّورِ»[1].

وأما في الجانب الذي يتعلق بطول وقصر القصة: فأما طولها مثل: قصة موسى والخضر ونحو ذلك.

وفي مقابلها القصة القصيرة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله عليه وسلم: «اشْتَرَى رَجُلٌ مِن رَجُلٍ عَقارًا له، فَوَجَدَ الرَّجُلُ الذي اشْتَرَى العَقارَ في عَقارِهِ جَرَّةً فيها ذَهَبٌ، فقالَ له الذي اشْتَرَى العَقارَ: خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي، إنَّما اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الأرض، ولَمْ أبْتَعْ مِنْكَ الذَّهَبَ، وقالَ الذي له الأرض: إنَّما بعْتُكَ الأرض وما فيها، فَتَحاكما إلى رَجُلٍ، فقالَ: الذي تَحاكما إليه: ألَكُما ولَدٌ؟ قالَ أحدهُما: لي غُلامٌ، وقالَ الآخر: لي جارِيَةٌ، قالَ: أنْكِحُوا الغُلامَ الجارِيَةَ وأَنْفِقُوا علَى أنفسهما منه وتَصَدَّقا». [2]

وأما المستوى الثالث الذي يحكي فيه صلى الله عليه وسلم بسرد قصص الأشخاص، فتشمل ذلك قصص الأنبياء، والصالحين من الأمم السابقة وغير الصالحين....

نأخذ مثلا: قصة سيدنا أيوب عليه السلام مع الجراد، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بيْنَما أيوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيانًا، خَرَّ عليه رِجْلُ جَرادٍ مِن ذَهَبٍ، فَجَعَلَ يَحْثِي في ثَوْبِهِ، فَناداهُ رَبُّهُ يا أيوبُ ألَمْ أكُنْ أغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى، قالَ بَلَى يا رَبِّ، ولَكِنْ لا غِنَى لي عن بَرَكَتِكَ». [3]

وهكذا في كتاب الله تعالى نجد قصة خير الخلق، وأبرهم وأتقاهم: الأنبياء والمرسلين والربانين والأحبار والعباد وقصص شر الناس.... وكلها تسوق الاعتبار والاتعاظ لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد.

---

(1) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب الإجارة، رقم الحديث 2271ص542.

(2) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج3 كتاب الأقضية، رقم الحديث 1721ص1345.

(3) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب أحاديث الأنبياء، رقم الحديث 3391ص837

فالقصص النبوي الذي كان يسردها صلى الله عليه وسلم لا شك أنه كان يهدف بذلك لبيان ما أجمل في القرءان الكريم، وإبراز فضائل العمل الصالح والحث عليه وبيان العمل السيء والتحذير منه، ويقارن به حال أصحابه بالصالحين من الأمم السابقة مكتفيا بحكاية القصة، والبدأ بمواطن العبرة، وتضمين العبرة في أثنائها وفي نهايتها.

المطلب الخامس: الحوار

إن أسلوب الحوار في التربية النبوية حافل بمواقف نبيلة للنبي صلى الله عليه وسلم مع صحابته بكافة فئاتهم وفي جميع أحوالهم. وهو شكل من اشكال تلاقح العقول، مما لا بد معه ان تنتج أفكار جديدة وتتضح علاقات كانت مجهولة وتبرز تفسيرات توضح ما كان مستغلقا على الفهم ويقدم معلومات كانت غائبة عن بعض اطراف الحوار(1)، فرسول الله صلى الله عليه وسلم استخدم أسلوب الحوار، وهو أسلوب رائع يضاهي اسوب الاستجواب في المدرسة الحديثة ويزيد عليه، فالاستجواب في المدرسي مقصور على أمور عادية علمية جافة والنقاش النبوي يتحدى عقول السامعين وافكارهم بأمور جديدة او غامضة ثم يشرحها لهم، ويوجههم للأخذ بخير وترك شرها(2).

والتأمل في مواقف الحوار النبوي يؤكد حجم الاعتناء بالحوار في المنهج النبوي، وتفاعل أصحابه رضوان الله عليهم مع حواره صلى الله عليه وسلم دليل على أنهم اعتادوا الحوار وألفوه بمختلف مستوياتهم:

وأهم مستويات الحوار:

أولا: حواره مع الغلمان:

كان يتحاور صلى الله عليه وسلم مع هؤلاء الغلمان الذين مازالوا لم يبلغوا سن التكليف، عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: «أنَّ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أُتِيَ بشَرَابٍ فَشَرِبَ منه، وعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ، وعَنْ يَسَارِهِ الأشياخ، فَقَالَ لِلْغُلَامِ: أتأذن لي أنْ أُعْطِيَ هَؤُلَاءِ؟ فَقَالَ

(1) السنة النبوية رؤية تربوية، سعيد إسماعيل على، دار الفكر العربي -القاهرة-، ط1 سنة 1423هـ-2002م، ص406.

(2) أصول التربية الإسلامية وأساليها، عبد الرحمان النحلاوي، دارالفكر-دمشق-، ط1 1399هـ، ج1 ص199.

الغُلَامُ: واللَّهِ يا رَسولَ اللَّهِ، لا أوثِرُ بنَصِيبِي مِنْكَ أحدا، قَالَ: فَتَلَّهُ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في يَدِهِ »[1].

ثانيا: حواره مع الشباب:

جاء في الحديث الذي رواه أبي أمامة رض الله عنه قال: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إنَّ فتًى شابًّا أتى النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقال: يا رسولَ اللهِ ائذنْ لي بالزنا فأقبل القومُ عليه فزجَروه وقالوا: مَهْ مَهْ فقال: ادنُهْ فدنا منه قريبًا قال: فجلس قال: أَتُحبُّه لِأُمِّكَ؟ قال: لا واللهِ جعلني اللهُ فداءَك قال: ولا الناسُ يُحبونَه لأُمهاتِهم قال: أفتُحبُّه لابنتِك قال: لا واللهِ يا رسولَ اللهِ جعلني اللهُ فداءَك قال: ولا الناسُ يُحبونَه لبناتِهم قال: أفتُحبُّه لأختِك قال: لا واللهِ جعلني اللهُ فداءَك قال: ولا الناسُ يُحبونَه لأخواتِهم قال: أَفتُحبُّه لعمَّتِك قال: لا واللهِ جعلني اللهُ فداءَكَ قال: ولا النَّاسُ يُحبُّونَه لعمَّاتِهم قال: أفتُحبُّه لخالتِك قال: لا واللهِ جعلني اللهُ فداءَكَ قال: ولا النَّاسُ يحبونَه لخالاتهم قال: فوضع يدَه عليه وقال: اللهمَّ اغفرْ ذنبَه وطهِّرْ قلبَه وحصِّنْ فرْجَهُ فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفتُ إلى شيءٍ»[2].

إن هذا المستوى يحمل في طياته دلالة وإرشادات نفيسة ووجيهة، ألا وهي: كيف استأصل النبي صلى الله عليه وسلم من نفس الفتى تعلقه بالزنى، عن طريق المحادثة النفسية والموازنة العقلية دون أن يذكر له الآيات الواردة في تحريم الزنى، والوعيد للزاني والزانية، نظرا منه أن هذا أقلع للباطل -في ذلك الوقت -من قلب الشاب بحسب تصوره وإدراكه[3].

ثالثا: مع النساء:

كان للمرأة نصيب من حواره صلى الله عليه وسلم، حاور أمة من النساء وزوجة في شأن زوجها وعلاقتها به، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ زَوْجَ بَرِيرَةَ كانَ عَبْدًا يُقَالُ له مُغِيثٌ، كَأَنِّي أنْظُرُ إليه يَطُوفُ خَلْفَهَا يَبْكِي ودُمُوعُهُ تَسِيلُ علَى لِحْيَتِهِ، فَقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه

(1) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب الأشربة، رقم الحديث 5620ص1426.

(2) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط -وآخرون، دار مؤسسة الرسالة، ج36 رقم الحديث22211ص545

(3) الرسول المعلم وأساليبه في التعليم، عبد الفتاح أبو غدة، دار لبشائر الإسلامية -بيروت-لبنان، ط1 1417هـ-1996م، ص101.

وسلَّمَ لِعبَّاسٍ: يا عَبَّاسُ، ألا تَعْجَبُ مِن حُبِّ مُغِيثٍ بَرِيرَةَ، ومِنْ بُغْضِ بَرِيرَةَ مُغِيثًا فَقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: لو رَاجَعْتِهِ قالَتْ: يا رَسولَ اللَّهِ تَأمرنِي؟ قالَ: إنَّما أنَا أشْفَعُ قالَتْ: لا حَاجَةَ لي فِيهِ[1].

رابعا: حواره مع المتعلم:

كان صلى الله عليه وسلم يتحاور مع المتعلم، روى أبو هريرة رضي الله عنه أنَّ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ جاءَهُ أعْرابِي فقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، إنَّ امرأَتي ولَدَتْ غُلامًا أسْوَدَ، فقالَ: هلْ لكَ مِن إبِلٍ قالَ: نَعَمْ، قالَ: ما ألْوانُها قالَ: حُمْرٌ، قالَ: هلْ فيها مِن أورَقَ قالَ: نَعَمْ، قالَ: فأنَّى كانَ ذلكَ قالَ: أُراهُ عِرْقٌ نزَعَهُ، قالَ: فَلَعَلَّ ابْنَكَ هذا نَزَعَهُ عِرْقٌ[2].

خامسا: حواره مع الخاصة:

الناس مراتب في الأفهام والأفكار، والحاجة عندما تقتضي تخصيص الجزء من الكل يتحاور صلى الله عليه وسلم بهذا المستوى، وخير مثال نسوقه موقفه ذاك مع الأنصار في غزوة حنين بعد قسمة الغنائم، فقد أعطى للمؤلفة قلوبهم ولم يعطي للأنصار إلا أنه بلغه وجود حاجة في نفس بعضهم فدعاهم النبي صلى الله عليه وسلم وتواصل معهم فلنتأمل في هذه الحوار الذي يرويه عبد الله بن زيد رض الله عنه، فيقول: «لَمَّا أفَاءَ اللَّهُ علَى رَسولِهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَومَ حُنَيْنٍ، قَسَمَ في النَّاسِ في المُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، ولَمْ يُعْطِ الأنصار شيئًا، فَكَأنَّهُمْ وجَدُوا إذْ لَمْ يُصِبْهُمْ ما أصَابَ النَّاسَ، فَخَطَبَهُمْ فَقالَ: يا مَعْشَرَ الأنصار، ألَمْ أجِدْكُمْ ضُلّالا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ بي، وكُنْتُمْ مُتَفَرّقِينَ فألَّفَكُمُ اللَّهُ بي، وعَالَةً فأغْنَاكُمُ اللَّهُ بي كُلَّما قالَ شيئًا قالوا: اللَّهُ ورَسولُهُ أمَنُّ، قالَ: ما يَمْنَعُكُمْ أنْ تُجِيبُوا رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ. قالَ: كُلَّما قالَ شيئًا، قالوا: اللَّهُ ورَسولُهُ أمَنُّ، قالَ: لو شِئْتُمْ قُلتُمْ: جِئْتَنَا كَذَا وكَذَا، أتَرْضَوْنَ أنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بالشَّاةِ والبَعِيرِ، وتَذْهَبُونَ بالنبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إلى رِحَالِكُمْ. لَوْلَا الهجرة لَكُنْتُ

(1) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب الطلاق، رقم الحديث 5283ص1346

(2) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج2 كتاب اللعان، رقم الحديث 1500ص1137.

أمراً مِنَ الأنصار، ولو سَلَكَ النَّاسُ وادِيًا وشِعْبًا لَسَلَكْتُ وادِيَ الأنصار وشِعْبَهَا، الأنصار شِعَارٌ والنَّاسُ دِثَارٌ، إنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أثرةً، فَأصبروا حتَّى تَلْقَوْني علَى الحَوْضِ»[1].

فنستفيد من هذا الموقف الذي حاور فيه النبي صلى الله عليه الأنصار ولم يشارك فيه غيرهما لكونه لا يعنيهم، فينبغي على المربي أن يسير وفق هذا المنهج مع طلبته فإذا وجد أحيانا أن الخطاب الحواري هذا لا يهم الآخرين، وإنما يهم فردا واحدا لا ينبغي أن يشرك الجميع في ذلك، بل ينفرد معه ويعالج ما يمكن معالجه بالتي هي أحسن.

سادسا: مع عامة أصحابه:

كان صلى الله عليه وسلم يتحاور مع صحابته في اللقاءات العامة، مثل: عام الحديبية قال صلى الله عليه وسلم لصحابته: «أشيروا أيها النَّاسُ علَي أَترَونَ أَن أَميلَ إلـعِيإلهم وذرارِيِّ هؤلاءِ الَّذينَ يُريدونَ أَن يَصدُّونا عَن البَيتِ فَإن يَأتونا كانَ اللَّهُ عزَّ وجَلَّ قَد قَطعَ عَينًا مِنَ المشرِكينَ وإلا تَركناهم مَحروبينَ _ مَسلوبينَ مَحزونينَ _ قال أبو بَكرٍ يا رَسولَ اللهِ خَرجتَ عامِدًا لهذَا البَيتِ لا تُريدُ قَتلَ أحد ولا حَربَ أحد فتوجَّهَ لهُ فَمن صدَّنا عَنهُ قاتَلناهُ قالَ امضوا علَى اسمِ اللهِ»[2].

إذن فالتربية النبوية الحوارية كانت مع الصغير والكبير مع الأنثى والذكر مع العامة والخاصة...

فيستحن للمربي ان يتعامل بهذا الأسلوب قدر المستطاع وفق آلية تربوية نبوية تساعده على تحقيق المطلوب.

وتحقيق هذا المطلوب لا يتم في اعتقادي إذا لم يوجد هناك رابط تشاركي حقيقي بين المربي والمتربي المبني على حسن معالجة الأخطاء، بالاحترام المتبادل بين الأطراف في أسلوب النقاش والاعتراف بالآخر بعيدا عن أسلوب الاحتقار والاستهتار وتقريب مبدإ الاحتكام إلى الصواب بتوسيع مبدإ تقبل وجهات النظر الصحيحة والسليمة من حيث النقل والعقل

(1) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب المغازي، رقم الحديث 4330ص1059

(2) المصدر نفسه: كتاب المغازي، رقم الحديث 4179ص1026.

مفرقا بين الحقائق والآراء الشخصية أثناء الحوار العميق الموصل إلى الأهداف والنتائج الحقيقية السليمة.

إن الحوار البناء في المنهج النبوي ترك ثارا مهمة في حياة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه فإننا إذا سرنا وفق هذا المنهج الذي رسمه صلى الله عليه وسلم لا ريب اننا سنبني في بيئتنا المجتمعية جيلا يتمتع بالشخصية الهادئة المتزنة متمتعا بأفكاره النبيلة واقتناعه بقراراته المتوصل إليها من خلال تبادل الآراء والمواقف وجهات النظر، وتنمية أفكاره وتصحيحها، وصلق الملكة لديه بتعزيز الثقة في النفس القادرة على التعبير عما يلوج في صدرها بأسلوب حضاري بناء يعرف واجباته وحقوقه.

لكن إذا غيب مبدإ التربية بالحوار البناء الفعال كما حث خير البشر عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام لا شك أن أثره سيكون وخيما وسيتحمله جميع الشركاء المتدخلون في البناء الإنساني الحضاري المتشبع بقيمه ومبادئه العريقة وهذا ما نراه في مجتمعنا التربوي للأسف الشديد فالمنظومة التربوية أهملت المبادئ الأساسية الإسلامية التي يبنى عليها الحواري الحقيقي وواتبعت وتشبت بمبادئ بمواقف لا تصلح أكثر مما تفسد ولا تزيد إلا هلاكا ودمارا للإنسانية التي أكرمها الله وجعل من أحسن الأمم ولنا القدوة الحسن في النبي المربي الأعظم مع صحابته كيف جعلهم جيلا تظهر فيهم القيم التربوية النبوية كأنه صلى الله عليه يعيش معهم في آناء اليل وأطراف النهار، فهم جيل سيحتذى به إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

المطلب السادس: ضرب الأمثال

من الأساليب التربوية النبوية: ضرب الأمثال وهو فن أدبي استخدمته العرب قديما وحديثا مستقيا في ذلك ضرب الأمثال التي ذكرها القرءان الكريم والسنة النبوية الشريفة. وألفت فيه مؤلفات كثيرة في مجالات مختلفة، مستقلة وغير مستقلة.

يقول عبد الفتاح أبو عدة: «وقد تقرر عند علماء البلاغة أن لضرب الأمثال شأنا عظيما في إبراز خفيات المعاني ورفع أستار محجبات الدقائق، وقد أكثر الله سبحانه من ضرب الأمثال

في كتابه العزيز واقتدى النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك بالكتاب العزيز، فكان يكثر من ذكر الأمثال في مخاطبته ومواعظه وكلامه»[1].

ويقول ابن العربي: «وقد ضرب الله في كتابه الأمثال وضربها النبي صلى الله عليه وسلم، وروي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أنه قال: حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف مثل، ولم يصح ولم أر أحدا من أهل الحديث صنف فأفرد لها بابا غير أبي عيسى -ولله دره- لقد فتح بابا أو بنى قصرا أو دارا ولكن أختط صغيرا فنحن نقع به ونشكره عليه وجملة ما ذكر: أربعة عشر حديثا»[2].

وذكر ابن القيم في سياق حديثه عن أغراض المثل النبوي الشريف ومقاصده فقال رحمه الله: «فهذه، وأمثالها من الأمثال التي ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقريب المراد وتفهيم المعنى، وإيصاله إلى ذهن السامع وإحضاره في نفسه بصورة المثال الذي مثل له فإنه قد يكون أقرب إلى تعقله وفهمه وضبطه واستحضاره له باستحضار نظريه فإن النفس تنأس بالنظائر والأشباه الأنس التام، وتنفر من الغربة والوحدة وعدم النظير، ففي الأمثال من تأنيس النفس وسرعة قبولها.. [3].

وعليه سأقتصر على ذكر بعض النماذج النبوية-وإلا فالسنة حافلة بهذه المواقف التربوية- باعتباره أحد الوسائل التروية الناجعة التي تساعد المربي في الممارسة التفاعلية الداخلية والخارجية بأسلوب حضاري راق مفيد للناشئة، وأهم هذه النماذج التي صور وقرب فيها المعنى للأفهام صلى الله عليه وسلم ما يلي:

النموذج الأول:

الذي ينص فيه صلى الله عليه وسلم على وجه الشبه في المثل: عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ والسَّوْءِ،

(1) الرسول المعلم وأساليبه في التعليم، د. عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية بيروت-لبنان-، ط1 1417هـ-1996م، ص112

(2) عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، ابن العربي المالكي، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ج 10 ص295.

(3) اعلام الموقعين عن رب العالمين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي-المملكة العربية السعودية-، ط 1 1423هـ، ج2 ص425

كَحامِلِ المِسْكِ ونافِخِ الكِيرِ، فَحامِلُ المِسْكِ: إمَّا أنْ يُحْذِيَكَ، وإمَّا أنْ تَبْتاعَ منه، وإمَّا أنْ تَجِدَ منه رِيحًا طَيِّبَةً، ونافِخُ الكِيرِ: إمَّا أنْ يُحْرِقَ ثِيابَكَ، وإمَّا أنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»[1].

النموذج الثاني:

الذي يشبه فيه النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن بالنخلة لكن يترك فيه وجه الشبه للاستنباط من لدن الصحابة رضوان الله عليهم،

فعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لا يَسْقُطُ ورَقُها، وإنَّها مَثَلُ المُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي ما هي؟ فَوَقَعَ النَّاسُ في شَجَرِ البَوادِي. قالَ عبدُ اللهِ: ووَقَعَ في نَفْسِي أنَّها النَّخْلَةُ، فاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قالوا: حَدِّثْنا ما هي؟ يا رَسولَ اللهِ، قالَ فقالَ: هي النَّخْلَةُ. قالَ: فَذَكَرْتُ ذلكَ لِعُمَرَ، قالَ: لأَنْ تَكُونَ قُلْتَ: هي النَّخْلَةُ، أحب إلَيَّ مِن كَذا وكَذ »[2].

النموذج الثالث:

يقارن فيه صلى الله عليه وسلم بين صورتين متقابلين او أكثر فيمثل لكل صورة بما يلائمها، روى أبو موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ المؤمن الذي يَقْرَأُ ال قُرْآنَ، مَثَلُ الأتْرُجَّةِ، رِيحُها طَيِّبٌ وطَعْمُها طَيِّبٌ، ومَثَلُ المؤمن الذي لا يَقْرَأُ القُرْآنَ مَثَلُ التَّمْرَةِ ، لا رِيحَ لها وطَعْمُها حُلْوٌ، ومَثَلُ المُنافِقِ الذي يَقْرَأُ القُرْآنَ، مَثَلُ الرَّيْحانَةِ، رِيحُها طَيِّبٌ وطَعْمُها مُرٌّ، ومَثَلُ المُنافِقِ الذي لا يَقْرَأُ القُرْآنَ، كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ، ليسَ لها رِيحٌ وطَعْمُها مُرٌّ. في حَدِيثِ هَمَّامٍ بَدَلَ المُنافِقِ، الفاجِرِ». [3]

النموذج الرابع:

تمثيله صلى الله عليه وسلم بصورة خيالية، كما في حديث القائم على حدود الله والواقع فيها، عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ

---

(1) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب الذبائح والصيد، رقم الحديث 5535ص1407

(2) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج4 كتاب صفات المنافقين واحكامهم، رقم الحديث 2811ص2165.

(3) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب الأطعمة، رقم الحديث 5427ص1382

القائِمِ علَى حُدُودِ اللَّهِ والواقِعِ فيها، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا على سَفِينَةٍ، فأصابَ بَعْضُهُمْ أعْلاها وبَعْضُهُمْ أسْفَلَها، فَكانَ الَّذِينَ في أسْفَلِها إذا اسْتَقَوْا مِنَ الماءِ مَرُّوا علَى مَن فَوْقَهُمْ، فقالوا: لو أنَّا خَرَقْنا في نَصِيبِنا خَرْقًا ولَمْ نُؤْذِ مَن فَوْقَنا، فإنْ يَتْرُكُوهُمْ وما أرادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وإنْ أخذُوا علَى أيدِيهِمْ نَجَوْا، ونَجَوْا جَمِيعًا». [1]

وهذا قليل من فيض كثير يكفينا الرجوع إلى كتب السنة الخاصة والعامة التي تناولت ضرب الأمثال عند النبي صلى الله عليه وسلم.

إذن فالتربية بالمثل عند النبي صلى الله عليه وسلم لم تترك مجالا إلا وتناولت فيه بما يقتضي المقام لا من حيث الشكل ولا من حيث المضمون، فلذلك ينبغي على المربي أن يهتم بهذا النوع غاية الاهتمام ويستفيدوا ويستثمره لبناء الملكة البلاغية الفكرية الإبداعية لدي الناشئة الصاعدة.

المطلب السابع: التوجيه غير المباشر

إن النفس البشرية بطبعها تتسم بالخصوصية العقلية والنفسية والحركية، وهذه سنة الله تعالى في خلقه خلق وبين القلوب والأجساد والأفهام، فتجد هناك من يتقبل تصحيح أخطائه بأسلوب مباشر، وهناك من لا يحب الانتقاد أمام الآخرين حتى وإن كان مخطئا.

لذلك كان التوجيه غير المباشر حاضرا بقوة في التربية النبوية الشريفة مع الصحابة الكرام لأنه كان يدرك هذه الفوارق الفردية في النفوس البشرية، والخطاب الغير المباشر نعتبره في لغتنا التربوية المعاصرة ذاك النموذج الخلقي الرفيع الذي حاول فيه صلى الله عليه وسلم فهم الإنسانية بمختلف مستوياتها، وأبان عليه النبي المربي عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام من حسن معاملة لصحابته.

وهذا ليس بالأمر الهين كما صرح به غير كثير من علماء التربية الحديثة، ولتقريب الصورة أكثر وبشكل واضح، سنهتم ببعض النماذج التي تعامل بها صلى الله عليه وسلم مع صحابته:

---

(1) المصدر نفسه: كتاب الشركة رقم الحديث 2493ص604.

أولا: استخدامه لفظ العموم:

الذي يفيد التوجيه دون ذكر التخصيص بعينه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن الرجل الشيء لم يقل: ما بال فلان يقول؟ ولكن يقول: ما بال اقوام يقولون كذا وكذا؟ »[1].

وكتب السنة النبوية حافلة بهذه المواقف التي تشتمل على هذا التعبير النبوي التربوي.

ثانيا: أمر أصحابه بما يريد قوله للرجل:

جاء في الحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ رجُلًا دخل على رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلم وعليه أثر صُفرةٍ وكان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قلَّ ما يواجهُ رجلًا في وجهِهِ بشيءٍ يكرهُه فلمَّا خرج قال لو أمرتُم هذا أنْ يغسلَ هذا]ذا[عنه[2].

ثالثا: مخاطبة غيره وهو يسمع:

كان صلى الله عليه وسلم يوجه الخطاب لغير صاحب الشأن وهو يسمع حديثه عندما تقتضي الحاجة مراعيا الحال والظروف الإنسانية صلوات ربي وسلامه عليه، عن سليمان بن صدر رضي الله عنه قال: «اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ونَحْنُ عِنْدَهُ جُلُوسٌ، واحدهُما يَسُبُّ صاحبهُ، مُغْضَبًا قَدِ احْمَرَّ وجْهُهُ، فَقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: إنِّي لَأعلم كَلِمَةً، لو قالها لَذَهَبَ عنْه ما يَجِدُ، لو قالَ: أعُوذُ باللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فَقالوا لِلرَّجُلِ: ألا تَسْمَعُ ما يقولُ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ؟ قالَ: إنِّي لَسْتُ بمَجْنُونٍ». [3]

فنستشف من هذا الحديث النبوي أنه يستحب للمربي أن لا يوجه المتربي بأمر أو نهي وهو في حالة الانفعال بل يطلب منه أن يؤجل التوجيه لحين زوال العارض أو يوجهه بطريقة غير مباشرة كما فعل صلى الله عليه وسلم في هذا الموقف.

---

(1)سنن أبي داوود، أبو داوود سليمان بن الأشعث الازدي السجستاني، تحقق: شعيب الأرناؤوط -وآخرون، دار الرسالة العالمية ط1 1430هـ-2009م، ج7رقم الحدث 4788ص166.

(2) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط -وآخرون، دار مؤسسة الرسالة، ج19 رقم الحديث12367ص366.

(3) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب الأدب، رقم الحديث 6115ص1529.

رابعا: الثناء والمدح لصاحب الطلب:

كان صلى الله عليه وسلم يستعمل أيسر الأساليب للدفع بالآخر حتى ولو بالكلمة الطيبة من ثناء على ما يوجد فيه من فضائل وحسن خلق، وتشجيعه وحثته على الزيادة في العمل بطريقة غير مباشرة، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كانَ الرَّجُلُ في حَيَاةِ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، إذا رَأَى رُؤْيَا، قَصَّهَا علَى رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَرَى رُؤْيَا أَقُصُّهَا علَى النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، قالَ: وَكُنْتُ غُلَامًا شَابًّا عَزَبًا، وَكُنْتُ أَنَامُ في المَسْجِدِ علَى عَهْدِ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فَرَأيتُ في النَّوْمِ كَأنَّ مَلَكَيْنِ أخذَاني فَذَهَبَا بي إلى النَّارِ، فَإِذا هي مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ البِئْرِ، وإذا لَهَا قَرْنَانِ كَقَرْنَيِ البِئْرِ، وإذا فِيهَا نَاسٌ قدْ عَرَفْتُهُمْ، فَجَعَلْتُ أَقُولُ: أَعُوذُ باللَّهِ مِنَ النَّارِ، أَعُوذُ باللَّهِ مِنَ النَّارِ، أَعُوذُ باللَّهِ مِنَ النَّارِ، قالَ فَلَقِيَهُما مَلَكٌ فَقالَ لِي: لَمْ تُرَعْ، فَقَصَصْتُهَا علَى حَفْصَةَ، فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ، علَى رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فَقالَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: نِعْمَ الرَّجُلُ عبدُ اللهِ لو كانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ. قالَ سَالِمٌ: فَكانَ عبدُ اللهِ، بَعْدَ ذلكَ، لا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إلا قَلِيلًا »[1].

خامسا: القصة:

من صور التوجيه غير المباشر القصة، وهي حاضرة في التوجيه والتربية النبوية وكتب السنة حافلة بالعديد من القصص النبوي كما أشرنا سابقا في أحد المطالب التي مرت بنا بقليل، والمراد بالقصة هنا أنها إحدى وسائل التوجيه غير المباشر فهي في الغالب تحكي موقفا إيجابيا من أجل الاقتداء به أو في مقابله الذي يفيد التنفير والتحذير منه.

إن التربية بالتوجيه غير المباشر لها أهمية عظيمة ودور مهم لمراعاتها الحالة النفسية لدى المتربي وجعله ذا قيمة مجتمعية فاعلة في نفسها مؤثرة في محيطها، قادرة على التكيف مع التغييرات التي تحيط بها.

ولهذا كان صلى الله عليه وسلم يفعله وربى صحابته على إتيانه ففعلوا يقول في هذا الصدد د. صالح بن حميد وهو يشير إلى بعض سمات التوجيه عير المباشر: «إن ثمرة ميزة

(1) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج4 كتاب فضائل الصحابة، رقم الحديث 2479ص1927

واضحة لهذا النوع من التوجيه الكريم، هو شعور الفرد بأنه يكتسب هذه المعارف وتلك الخبرات باستقلالية تامة من غير توجيه أو الزام أو اكراه أنه يحس بحريته في التفكير والتعلم والاكتشاف أنه تعلم واكتساب من غير إحساس باستعلاء من أحد بفضل علم أو تقدم خبرة»(1).

المطلب الثامن: التربية بالأحداث

إن الحياة الدنيا كد وكدح ونصب.. وتفاعل دائم مع الأحداث، وما دام الناس إحياء فهم عرضة على الدوام للأحداث.. تقع بسبب تصرفاتهم الخاصة، أو لأسباب خارجية عن تقديرهم وخارجة عن إرادتهم. والمربي البارع لا يترك الأحداث تذهب سدى بغير عبرة وبغير توجيه وانما يستعلها لتربية النفوس وصقلها وتهذيبها فلا يكون أثرها موقتا لا يلبث ان يضيع(2).

وكما سبق الإشارة أن المنهج التربوي النبوي هو منهج عملي واقعي، كان صلى الله عليه وسلم بشرا يعيش مع الناس يؤاكلهم ويشاربهم ويصاحبهم، ويشارك أصحابه في السراء والضراء، ومن هنا كانت التربية بالأحداث والمواقف حاضرة في المنهج النبوي.

فهذه الأحداث والمواقف التي كانت تثير النفس بكاملها وترسل فيها قدرا من حرارة التفاعل والانفعال كان صلى الله عليه وسلم يستثمرها ويوظفها لتربية أصحابه وتشمل ما يلي:

أولا: الظواهر الكونية:

بعض الظواهر الكونية حدث غير مألوف يثير اهتمام الناس وتطلعاهم لتفسيرها وكيفية التعامل معها، حين كسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم استغل هذا الموقف الغير المألوف لتربية صحابته وتوجيههم، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت:

«خَسَفَتِ الشَّمْسُ في عَهْدِ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَصَلَّى رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بالنَّاسِ، فَقامَ، فأطالَ القِيامَ، ثُمَّ رَكَعَ، فأطالَ الرُّكُوعَ، ثُمَّ قامَ فأطالَ القِيامَ وهو دُونَ القِيامِ الأول، ثُمَّ رَكَعَ فأطالَ الرُّكُوعَ وهو دُونَ الرُّكُوعِ الأول، ثُمَّ سَجَدَ فأطالَ السُّجُودَ،

(1) التوجيه غير المباشر وأثره في التربية وتغيير السلوك، د. صالح بن عبد الله بن حميد، دار مسلم -الرياض-ط2 1415هـ-1995م، ص16.
(2) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، دار الشروق -القاهرة-، ط41414هـ-1993م، ج1 ص207.

ثُمَّ فَعَلَ في الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ مِثْلَ ما فَعَلَ في الأولى، ثُمَّ انْصَرَفَ وقَدِ انْجَلَتِ الشَّمْسُ، فَخَطَبَ النَّاسَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وأثنى عليه، ثُمَّ قالَ: إنَّ الشَّمْسَ والقَمَرَ آيتانِ مِن آيات اللَّهِ، لا يَخْسِفانِ لِمَوْتِ أحد ولا لِحَياتِهِ، فإذا رَأيتُمْ ذلكَ، فادْعُوا اللَّهَ، وكَبِّرُوا وصَلُّوا وتَصَدَّقُوا. ثُمَّ قالَ: يا أمة مُحَمَّدٍ واللَّهِ ما مِن أحد أغْيَرُ مِنَ اللَّهِ أنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أو تَزْنِيَ أمته، يا أمة مُحَمَّدٍ واللَّهِ لو تَعْلَمُونَ ما أعلم لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا ولَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا»[1].

ففي هذا الموقف صحح لهم النبي صلى الله عليه وسلم بعض المفاهيم الخاطئة التي كانت سائدة في الجاهلية وأمرهم بالاتعاظ بما فيها من دلالات وأشارت لصاحب هذا الكون البديع الذي يفعل في ملكه ما يشاء وهو على كل شيء قدير.

ثانيا: المصائب والمشاكل:

إن الإنسان في هذه الحياة لن يرتاح من متاعب الدنيا ومصابها إلى أن ينتقل إلى ربه، فالمشاكل دائما قرينة بالإنسان وتترك أثرا في نفسه إيجابا أو سلبا، فينبغي أن يحسن التعامل في كلتا الحالتين بالموازنة بما يعود عليه بالنفع.

كان صلى الله عليه وسلم يستغل بعض المشاكل والصعوبات عند لدى بعض الأفراد فيحسن فيها التربية والتوجيه، عن زيد بن الأرقم رضي الله عنه قال: «أصابَنِي رَمَدٌ فعادني النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، قال: فلمَّا بَرَأتُ خَرَجتُ، قال: فقال لي رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أرَأيتَ لو كانتْ عَيناكَ لِمَا بهما ما كنتَ صانعًا؟ قال: قُلتُ: لو كانتا عيناي لِمَا بهما صَبَرتُ واحتسَبتُ، قال: لو كانتْ عَيناكَ لِمَا بهما، ثُمَّ صَبَرتَ واحتسَبتَ؛ للَقيتَ اللهَ عزَّ وجلَّ ولا ذَنبَ لك، قال إسماعيلُ: ثُمَّ صَبَرتَ واحتسَبتَ؛ لأوجَبَ اللهُ لك الجنَّةَ». [2]

ثالثا: موقف السراء والضراء:

كان صلى الله عليه وسلم يوجه ويربي بالأحداث السارة أو في حالة الشدة، فأدخل السرور على قلوب الأنصار وقال لهم: «أظنُّكم سَمِعتُم أنَّ أبا عُبَيدةَ قَدِمَ بشَيءٍ منَ البَحريْنِ؟، قالوا:

---

(1) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب الكسوف، رقم الحديث 1044ص254

(2) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط -وآخرون، دار مؤسسة الرسالة، ج32 رقم الحديث19348ص93.

أجل يا رسولَ اللّهِ، قال: فأَبشِروا وأَمِّلوا ما يسُرُّكم، فواللّهِ ما منَ الفَقرِ أخشى عليكم، ولكنْ أخشى أنْ تُبسَطَ الدُّنيا عليكم كما بُسِطَتْ على مَن كان قَبلَكم، فتَنافَسوا فيها كما تَنافَسوا، وتُهلِكَكم كما أهلكَتْهم»[1].

رابعا: الأخطاء الفردية:

من مواطن التربية بالأحداث في المنهج النبوي استثمار الخطاب الخاص مع صاحبه والانتقال به إلى العموم عند الاقتضاء، عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ اسْتَعْمَلَ ابْنَ اللُّتْبِيَّةِ علَى صَدَقاتِ بَنِي سُلَيْمٍ، فَلَمَّا جاءَ إلى رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وحاسَبَهُ قالَ: هذا الذي لَكُمْ، وهذِه هَدِيَّةٌ أُهْدِيَتْ لِي، فقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: فَهَلّا جَلَسْتَ في بَيْتِ أبيكَ، وبَيْتِ أُمِّكَ حتَّى تَأْتِيَكَ هَدِيَّتُكَ إنْ كُنْتَ صادِقًا، ثُمَّ قامَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَخَطَبَ النَّاسَ وحَمِدَ اللَّهَ وأثنى عليه ثُمَّ قالَ: أمَّا بَعْدُ، فإنِّي أسْتَعْمِلُ رجالا مِنكُم علَى أمور ممَّا ولّانِي اللَّهُ فَيَأْتي أحدكُمْ فيَقولُ: هذا لَكُمْ، وهذِه هَدِيَّةٌ أُهْدِيَتْ لِي، فَهَلّا جَلَسَ في بَيْتِ أبيهِ، وبَيْتِ أُمِّهِ حتَّى تَأْتِيَهُ هَدِيَّتُهُ إنْ كانَ صادِقًا، فَواللَّهِ لا يَأْخذُ أحدكُمْ مِنْها شيئًا - قالَ هِشامٌ بغيرِ حَقِّهِ - إلا جاءَ اللَّهَ يَحْمِلُهُ يَومَ القيامة، ألا فَلَأَعْرِفَنَّ ما جاءَ اللَّهَ رَجُلٌ ببَعِيرٍ له رُغاءٌ، أو ببَقَرَةٍ لها خُوارٌ، أو شاةٍ تَيْعَرُ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حتَّى رَأيتُ بَياضَ إبْطَيْهِ إلا هلْ بَلَّغْتُ. [2]

خامسا: الأخطاء الجماعية:

كان صلى الله عليه وسلم يوجه عن وجود الخطأ الجماعي، عن رجلٍ منَ الأنصار قال: خرجنا معَ رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ في سفرٍ فأصابَ النَّاسَ حاجةٌ شديدةٌ وجَهدٌ وأصابوا غنمًا فانتَهبوها فإنَّ قدورنا لتغلي إذ جاءَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ يمشي على

(1) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج4 كتاب الزهر والرقائق، رقم الحديث 2991ص2274.
(2) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب الأحكام، رقم الحديث 7197ص1779.

قوسِهِ فأكفأ قدورنا بقوسِهِ ثمَّ جعلَ يرمِّلُ اللَّحمَ بالتُّرابِ ثمَّ قالَ إنَّ النُّهبةَ ليسَت بأحلَّ منَ الميتةِ أو إنَّ الميتةَ ليست بأحلَّ منَ النُّهبةِ الشَّكُّ من هنَّادٍ[1].

سادسا: أحداث لا يفطن لها الناس:

بعض المواقف والأحداث لا يحس بها ولا يتفطن لها كثيرا من الناس، فكان صلى الله عليه وسلم يغتنمها في تربية صحابته وتوجيههم فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أخذ غُصنًا فنفَضه فلم ينتفِضْ ثمَّ نفَضه فلم ينتفِضْ ثمَّ نفَضه فانتفَض فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إنَّ سبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ ولا إله إلا اللهُ واللهُ أكبر تنفُضُ الخطايا كما تنفضُ الشَّجرةُ ورقَها»[2].

إذن فالتربية بالأحداث تعمل جاهدا على زرع بذور الوعظ والاتعاظ في نفس المتربي، بتصحيح بعض المفاهيم المغلوطة، وعلاج الأخطاء وتصويبها وتسديها، وتقريبها لدى الفرد من أجل السير على منوالها لإنشاء قيم إنسانية فاعلة ومتفاعلة في مجتمع صالح مصلح.

المطلب التاسع: الجزاء من جنس العمل

إن المتأمل في القرءان الكريم يجد أن الثناء والثواب أمرا بارزا ومتكررا، وهو من أروع الأساليب التربوية لمعالجتها النفس وزعها الثقة والتفاؤل لدى الناشئة فالمشرع الحكيم يعلم أن النفس البشرية بطبعها تميل إلى الثواب والجزاء، وتحب سماع الثناء من الآخرين، لذلك جاء القرءان الكريم في آيات كثيرة يثني فيها على المؤمنين أهل التقى فيجازيهم بما علموا في الدنيا والآخرة، وهذا من وعطاء وفضل ورضوان منه سبحانه لعباده المؤمنين المتقين.

إن التربية بالثواب لها أثرها العميق في تقويم النفس الإنسانية وإصلاحها، لذلك كان صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يستخدم هذه الوسيلة. وأثبت العديد من الدراسات أن أنجع وسيلة تربوية لبناء أسرة إيجابية متفاعلة مثالية، هو أسلوب التربية بالمدح والثواب، فهو يبرز

(1) سنن أبي داوود، أبو داوود سليمان بن الأشعث الازدي السجستاني، تحقق: شعيب الأرناؤوط -وآخرون، دار الرسالة العالمية ط1 1430هـ-2009م، ج4رقم الحدث 2705ص340.

(2) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط -وآخرون، دار مؤسسة الرسالة، ج20 رقم الحديث12534ص13.

الطاقة الإيجابية لدي الفرد وينفر كل ما من شأنه القلق والتوتو والخوف، ويثبت السلوك الحسن في نفسه.

والسنة النبوية بشكل عام حافلة بالشواهد والمواقف التي يستخدم فيها الثناء والمكافئة في تربيته لا صحابه وأمته.

نعم لقد تنوعت أساليب التربية بالثواب والجزاء في المنهج النبوي فشملت على سبيل المثال: الدعاء والثناء والمكافأة المادية، وتنوعت في المواقف وفي المستهدفين بها...

فأما يتعلق بالدعاء: لا ريب ان دعوة النبي صلى الله عليه وسلم دعوة مستجابة، وهي من أهم وأفضل وأحسن ما كان ينتظره أي صحابي جليل، فكانوا يسألونه صلى الله علي وسلم الدعاء، ويحرضون على كل موقف يكون سببا لدعائه لهم فعن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل الخلاء فوضعت له وضوءا قال: من وضع هذ؟ فأخبر فقال: اللهم فقه في الدين»[1].

كما كان يدعو عليه الصلاة والسلام لمن أثنى عليه بما هو أهله، مدح عبد الله بن رواحة رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول الله قائلا[2]:

إِنّي تَفَرَّستُ فيكَ الخَيرَ أَعرِفُهُ ... وَاللَهُ يَعلَمُ أَن ما خانَني البَصَرُ
أَنتَ النَبِيُّ وَمَن يُحرَم شَفاعَتَهُ ... يَومَ الحِسابِ فَقَد أَزرى بِهِ القَدَرُ
فَثَبَّتَ اللَهُ ما آتاكَ مِن حَسَنٍ ... تَثبيتَ موسى وَنصراً كَالَّذي نُصِروا

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: وأنت فثبتك الله يا ابن رواحة.

---

(1) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب الوضوء، رقم الحديث 143ص49.

(2) ديوان عبد الله بن رواحة ودراسة في سيرته وشعره، د. وليد قصاب، دار العلوم، ط1 1401هـ-1981، ص94.

قال هشام بن عروة: فثبته الله أحسن الثبات فقتل شهيدا وفتحت له أبواب الجنة فدخلها شهيدا رضي الله عنه وأرضاه[1].

وأما ما يتعلق بالمكافأة المادية والمعنوية: لقد كان عليه الصلاة والسلام يحفز أصحابه بالمال والمكافاة المادية، عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: غَزَوْنَا مع رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ هَوَازِنَ، فَبيْنَا نَحْنُ نَتَضَحَّى مع رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ إذْ جَاءَ رَجُلٌ علَى جَمَلٍ أَحْمَرَ، فأنَاخهُ، ثُمَّ انْتَزَعَ طَلَقًا مِن حَقَبِهِ، فَقَيَّدَ به الجَمَلَ، ثُمَّ تَقَدَّمَ يَتَغَدَّى مع القَوْمِ، وَجَعَلَ يَنْظُرُ وَفِينَا ضَعْفَةٌ وَرِقَّةٌ في الظَّهْرِ، وَبَعْضُنَا مُشَاةٌ، إذْ خَرَجَ يَشْتَدُّ، فأتى جَمَلَهُ، فأطْلَقَ قَيْدَهُ ثُمَّ أَنَاخهُ، وَقَعَدَ عليه، فأثَارَهُ فَاشْتَدَّ به الجَمَلُ، فَاتَّبَعَهُ رَجُلٌ علَى نَاقَةٍ وَرْقَاءَ. قالَ سَلَمَةُ: وَخَرَجْتُ أَشْتَدُّ فَكُنْتُ عِنْدَ وَرِكِ النَّاقَةِ، ثُمَّ تَقَدَّمْتُ حتَّى كُنْتُ عِنْدَ وَرِكِ الجَمَلِ، ثُمَّ تَقَدَّمْتُ حتَّى أخذْتُ بخِطَامِ الجَمَلِ فأنَخْتُهُ، فَلَمَّا وَضَعَ رُكْبَتَهُ في الأرض اخْتَرَطْتُ سَيْفِي، فَضَرَبْتُ رَأْسَ الرَّجُلِ، فَنَدَرَ، ثُمَّ جِئْتُ بالجَمَلِ أَقُودُهُ عليه رَحْلُهُ وَسِلَاحُهُ، فَاسْتَقْبَلَنِي رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ وَالنَّاسُ معهُ، فَقالَ: مَن قَتَلَ الرَّجُلَ؟ قالوا: ابنُ الاكْوَعِ، قالَ: له سَلَبُهُ أَجْمَعُ.[2]

وأحيانا يكون الثواب والتكريم شيء معنوي، ومن صوره عند النبي صلى الله عليه وسلم مع صحابته، ما رواه سلمة بن الأكوع رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين بعد موقفه في غزوة ذي قَرَد، جاء في سياق روايته رضي الله عنه لهذه القصة: «.... ثُمَّ أَرْدَفَنِي رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ وَرَاءَهُ علَى العَضْبَاءِ رَاجِعِينَ إلى المَدِينَةِ، قالَ: فَبيْنَما نَحْنُ نَسِيرُ، قالَ: وَكانَ رَجُلٌ مِنَ الأنصار لا يُسْبَقُ شَدًّا، قالَ: فَجَعَلَ يقولُ: إلا مُسَابِقٌ إلى المَدِينَةِ؟ هلْ مِن مُسَابِقٍ؟ فَجَعَلَ يُعِيدُ ذلكَ قالَ: فَلَمَّا سَمِعْتُ كَلَامَهُ، قُلتُ: أَما تُكْرِمُ كَرِيمًا، وَلَا تَهَابُ شَرِيفًا، قالَ: لَا، إلا أَنْ يَكونَ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، قالَ: قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، بأَبِي وَأُمِّي، ذَرْنِي فَلأُسَابِقَ الرَّجُلَ، قالَ: إنْ شِئْتَ.. »[3].

(1) أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبي الحسن علي بن محمد الجزري (ابن الاثير)، دار ابن حزم بيروت لبنان، ط1 1433هـ2012م، ص666. / الاستيعاب في معرفة الاصحاب، ابن عبد البر، تحقيق: عادل مرشد، دار الاعلام، ط1 1423هـ-2002، ص397.

(2) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج3 كتاب الجهاد والسير، رقم الحديث 1754ص1374

(3) المصدر نفسه: ج3 كتاب الجهاد والسير، رقم الحديث 1807ص1439.

فقد جاء هذا الإرداف بعدما أبلى سلمة بن الأكوع بلاء حسنا في تلك الحادثة. وكان صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك مرارا مع صحابته، فيقربهم إليه ويثني عليهم ويحفزهم للسير قدما نحو الرقي والاعتزاز بالإسلام والمسلمين.

وموقفه صلى الله عليه وسلم مع الصحابي الجليل ثابت بن قيس: حينما نزل قوله سبحانه: ﴿لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾[1].

جلس ثابت في الطريق يبكي وكان شاعرا، فمر به عاصم بن عدي من بني العجلان فقال: ما يبكيك ثابت؟ قال: لهذه الآية، أتخوّف أن تكون نزلت فيّ، وأنا صيّت رفيع الصوت قال: فمضى عاصم بن عديّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: وغلبه البكاء، قال: فأتى امرأته جميلة ابنة عبد الله بن أُبيّ ابن سلول، فقال لها: إذا دخلتُ بيت فرسي، فشدّى على الضبة بمسمار، فضربته بمسمار حتى إذا خرج عطفه وقال: لا أخرج حتى يتوفاني الله، أو يرضى عني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: وأتى عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبره، فقال: «اذْهَبْ فادْعُهُ لي » فجاء عاصم إلى المكان، فلم يجده، فجاء إلى أهله، فوجده في بيت الفرس، فقال له: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك، فقال: اكسر الضّبة، قال: فخرجا فأتيا نبيّ الله صلى الله عليه وسلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما يُبْكِيكَ يا ثابِتُ »؟ فقال: أنا صيّت، وأتخوّف أن تكون هذه الآية نزلت فيّ لا تَرْفَعوا أصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النّبِيّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ القَولِ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما تَرْضَى أنْ تَعِيشَ حَميدا، وتَقْتَلَ شَهيدا، وَتَدْخُلَ الجَنّةَ »؟ فقال: رضيت ببُشرى الله ورسوله[2].

فلنتأمل موقف هذا الصحابي الجليل يبكي خوفا، ويعتزل الناس ويجلس في بيته، نعم بلا شك فصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الناس وأكملهم إيمانا بعدهم فكيف بنا نحن؟؟ نسأل الله تعالى أن يتجاوز عنا وأن يهدينا إلى طريق الصواب.

---

(1) سورة الحجرات الآية 2.

(2) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جزيز الطبري، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر -الجيزة -القاهرة-، ط 1 1422هـ-2001م، ج21 ص339.

ولنتأمل جواب الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم النبي المربي الأعظم قال: تعيش حميدا، وتقتل شهيدا، وتدخل الجنة، ثناء وإكرام وتشجيع ومدح... نعم حزن تحول إلى فرح وخوف تحول إلى أمن...

كل هذا بكلمات يسيرة أشعلت مشاعره الباطنية ليصبح بذلك إنسانا متفاعلا وشخصيا إيجابيا.

وأما الثناء لذي يتعلق بالمستفيد منه: إن الثناء أمر محبب في النفوس لأنه يشعرها بالإنجاز وبقيمته، وحين يكون من الكبار فشأنه أعظم، أما حين يكون من خير خلق الله فهذا لا يعدله شيء، فهو تزكية لصاحبه، وتصويب لعمله ومنقبة له.

وأبواب المناقب في كتب السنة مليئة وحافلة بثنائه صلى الله عليه وسلم على أصحابه، فرادى وجماعات..، فحين سأله أبو هريرة رضي الله عنه سؤالا أثنى عليه صلى الله عليه وسلم، فعن أبي هرير رضي الله عنه قال: «قُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، مَن أسْعَدُ النَّاسِ بشَفَاعَتِكَ يَو مَ القيامة؟ فَقَالَ: لقَدْ ظَنَنْتُ، يا أبَا هُرَيْرَةَ، أنْ لا يسألنِي عن هذا الحَديثِ أحد أول مِنْكَ، لِما رَأيتُ مِن حِرْصِكَ علَى الحَديثِ، أسْعَدُ النَّاسِ بشَفَاعَتي يَومَ القيامة مَن قَالَ: لا إله إلا اللَّهُ، خَالِصًا مِن قِبَلِ نَفْسِهِ»[1].

وأثنى على عمل حسن قامت به قبيلة من القبائل، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ الأشْعَرِيِّينَ إذا أرْمَلُوا في الغَزْوِ، أوْ قَلَّ طَعامُ عيالهم بالمَدِينَةِ، جَمَعُوا ما كانَ عِنْدَهُمْ في ثَوْبٍ واحد، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بيْنَهُمْ في إناءٍ واحد، بالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وأنا منهمْ"[2].

المطلب العاشر: العقوبة

إذا لم تفلح الوسائل التربوية التي سبق وأن أشرنا إليها سابقا فلا بد من الرجوع إلى آليات أخرى التي تعتبر في المنظور التربوي آخر وسيلة يمكن للمربي أن يتعامل بها، فالعقوبة

(1) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب الرقائق، رقم الحديث 6570ص1629.

(2) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج4 كتاب فضائل الصحابة، رقم الحديث 2500ص1944

والزجر أحيانا هو الأمثل لإعادة الأمر إلى نصابه الذي كان عليه، فهناك أصناف من الناشئة لا تفهم إلا إذا استخدمت معها هذه الوسيلة والأسباب متعددة في ذلك ومتداخلة عند النشأ وليس بجديد عنده[1]، وأعتقد أن الأسرة أحيانا هي الراعي الأول وتتحمل المسؤولة الكاملة عن النتائج المرتبة سواء الإيجابية أو السلبية.

فبعض الأسر تسهم في انتشار عدم الاستقرار النفسي والتربوي عنده للأسف الشديد، فينشأ هذا الطفل في بيئة لا تعترف إلا بالأقوى وحب التسلط وإهمال مبادئ الأخلاق الفاضلة والقيم النبيلة المشتركة بين الإنسانية.

لكن مما ينصح به عند استخدام هذه الوسيلة في الجانب التربوي وغيره هو الأخذ بمبدإ التدرج ابتداء من التلويح بالعقوبة، ثم الانتقال إلى التهديد بعدم رضا الله، ثم بغضب الله، ثم التهديد بعقاب الآخرة، ثم إذا لم تفلح كل هذه المستويات ينتقل مباشرة إلى العقوبة الملموسة وتنفيذها ابتداء بالتعزيز، وانتهاء بإقامة الحدود، وهذه أشد عقوبة زجرية ملموسة نجد القرءان الكريم والسنة النبوية استعملتها في سياقات مختلفة يوصيان فيها بالتدرج في التربية بالعقوبة:

1. في المجال الأسري: وهو يصف مستويات العقوبة الدنيوية بين الأزواج فقال سبحانه: ﴿ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾[2].

2. في مجال المعاملات المالية: عندما تحدث عن أولئك الذين يتعاملون بمعاملات ما أنزل الله بها من سلطان، بل هي هلاك للإنسان في الدنيا والآخرة حتى وإن كان يظن أنه متمتع في هذا الحياة، وهو في الأصل يعيش في نكد وضيق وظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها، فقال سبحانه: ﴿ يَأيهَا الَّذِينَ آمنوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾[3].

(1) الهدي النبوي في تربية الأولاد في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ط1 سنة 1432هـ-2011م، ص245، بتصرف.
(2) سورة النساء الآية 34.
(3) سورة البقرة الآية 289.

وهكذا ينبغي أن يكون هناك تدرج في العقوبات سواء في مجال التربية والتعليم، أم في مجال الحياة الأخرى، لماذا لأن العقوبة من حيث أساسها ووظيفتها أنها ليست مقصودة في ذاتها، وإنما هي آلية ووسيلة تربوية زجرية تستعمل مع العقول والطباع ذات الخشونة التي لا تتعظ إلا بالقوة وانكسار الآنفة.

فهي وسيلة للإصلاح وتنظيم الحياة بشكل يستقيم مع المتغيرات حيث يقول الله تبارك وتعالى في كتابه: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أولي الألْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

(1) سورة البقرة الآية 179.

الفصل الثالث

المنهج النبوي التعليمي

المبحث الأول: التعليم في العهد النبوي

المبحث الثاني: الأساليب والوسائل التعليمية النبوية

المبحث الثالث: السؤال والجواب في التعليم النبوي

المبحث الأول: التعليم في العهد النبوي

المطلب الأول: العلم والتعليم عند النبي صلى الله عليه وسلم

سبق وأن أشرنا في البنية المفاهيمية للمصطلحات الواردة فيه سابقا، وقلنا بأن التعليم والعلم شيئان متلازمان وهي العلم بالشيء، والنبي صلى الله عليه وسلم كان مقصده الأساسي هو: إيصال المعرفة للبشرية جمعاء.

فالدين الإسلامي حث على العلم، لأنه من عند الله وهو الذي أنزله على البشر وهو أعلم بمصالح عباده يقول الله تبارك وتعالى آمرا نبيه صلوات ربي وسلامه عليه، والخطاب عام للبشر: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[1]، يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: «قال ابن عيينة رحمه الله تعالى ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في زيادة حتى توفاه الله»[2].

ويقول ابن حجر في شرحه لهذه الآية كذلك: «واضح الدلالة في فضل العلم لأن تعالى لم يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بطلب الازدياد من شيء إلا من العلم»[3].

لقد شرف الله بتبليغ الناس وإرشادهم إلى الخير، وذلك مزية خص الله بها الأصفياء من خلقه فشرفوا بها وشرفت بهم، فكانت مهمتهم الأساس التعليم والتدريس، ولا ريب في أن أشرف وأفضل معلم هو النبي صلى الله عليه وسلم، وهو القدوة الحسنة الحقيقية في التعليم والتوجيه، كيف لا وقد قال الله عنه في كتابه: ﴿ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾[4]، وقال عن نفسه صلى الله عليه وسلم، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا، وَلَا مُتَعَنِّتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا. [5]"

(1) سورة طه الآية 114.

(2) تفسير القرءان العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، دار ابن حزم، ط1 1420هـ-200م، ص1227.

(3) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فواد عبد الباقي، دار الحديث القاهرة 1424هـ2004م، ج1ص141.

(4) سورة البقرة الآية 151.

(5)صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج2 كتاب الطلاق، رقم الحديث 1478ص1104.

لقد سلك صلى الله عليه وسلم منهجا تربويا راقيا في تعليم صحابته رضوان الله على الجميع الذين نقلوا هذا المنهج من جيل إلى جيل. وهذا جلي في كون الإسلام كان سباقا إلى التكافل الاجتماعي، ورص الصف والتعاون على الخير، وتنظيم العلاقة بين أفراد المجتمع فلا تطغى مصلحة أحد علىا غيره.

قال عنه الصحابي الجليل معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه فبأبي وأمي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه[1].

ويتميز المنهج النبوي في التعليم بأنه منزه عن الخطأ والزلل مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهوى﴾[2]، وبأنه تعليم مستمر لا يحكمه مبنى او مدرسة ففي كل حركة من حركاته صلى الله عليه وسلم تعليم وتوجيه وارشاد، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أسوة حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخر وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[3].

ولذلك اعتبرت أقواله وأفعاله سنة يقتدى ويهتدى بها بل حتى سكوته عن أشياء صلى الله عليه وسلم وعدم معارضته لها يعتبر حجة في حله ونوع من التعليم والنبي صلى الله عليه وسلم لا يفصل بين التعليم والتربية، بل يعلم ويربي صلوات ربي وسلامه عليه.

فنجده كان دائما يعلم ويربي فيحفز الناس على العلم كما جاء في الحديث وفيه مقال، قال صلى الله عليه وسلم: « مَن سَلَكَ طَرِيقًا يَطلُبُ فيه عِلْمًا، سَلَكَ اللهُ عزَّ وجلَّ به طَرِيقًا مِن طُرُقِ الجَنَّةِ، وإنَّ المَلائِكةَ لَتَضَعُ أجنِحَتَها رِضًا لِطالِبِ العِلمِ، وإنَّ العالِمَ لَيَستَغفِرُ له مَن في السَّمَواتِ ومَن في الأرض، والحيتانُ في جَوفِ الماءِ، وإنَّ فَضلَ العالِمِ على العابِدِ كَفَضلِ القَمَرِ لَيلةَ البَدرِ على سائِرِ الكَواكِبِ، وإنَّ العُلَماءَ وَرَثةُ الأنبياء، وإنَّ الأنبياء لم يُورِّثوا دِينارًا ولا دِرهَمًا، وَرَّثوا العِلْمَ، فمَن أخذَه، أخذَ بحَظٍّ وافِرٍ». [4]

(1) المصدر نفسه: ج1 رقم الحديث: 537ص381.

(2) سورة النجم الآية 3.

(3) سورة الأحزاب الآية 21.

(4) سنن أبي داوود، أبو داوود سليمان بن الأشعث الازدي السجستاني، تحقق: شعيب الأرناؤوط -وآخرون، دار الرسالة العالمية ط1 1430هـ-2009م، ج5رقم الحدث 3641ص485

المطلب الثاني: أخلاقية التعليم عند النبي صلى الله صلى الله عليه وسلم

لقد حث الدين الإسلامي على اتباع منهج خلقي إلهي متكامل قولا وعملا وسلوكا.

فالدين الإسلامي دعامته الأولى الأخلاق الفاضلة والقيم السامية المستمدة من القرءان وتنزلها بمنهج تعليمي وتربوي من لدن خير المربين عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، فكان صلى الله عليه وسلم شارحا ومبينا وموضحا ومربيا متبعا تعاليم منهج القرءان الكريم مراعيا طبيعة النفوس البشرية ومدركا لعقولها هادفا بذلك إلى تحقيق العبودية لله وإيجاد الإنسان الصالح في أقواله وأفعاله وأخلاقه وهذا لا يتأتى إلا بالركون إلى هذه الأخلاق الفاضلة التربوية، وسأقتصر على ذكر بعض أخلاقية النبي صلى الله عليه وسلم في التعليم:

أولا: إخلاص العلم لله سبحانه:

إن التركيز الأساسي لدى الناشئة إذا لم ينطلق انطلاقة سليمة من خلال هذه الزاوية التعليمية وهي مبدإ الإخلاص في العلم والعمل لله فلا فائدة منه ترجى لا في الحال ولا في المآل، بل سيكون من قبيل الهباء المنثور، والشواهد كثيرة في عصرنا الحاضر ولا نحتاج لاستردادها، فهي جلية وبارزة تعيشها المؤسسات التربوية التعليمية.

ولنا القدوة الحسنة في المعلم الأول الذي أرسله الله إلى البشرية فعلمها مالم تكن تعلم، فكان مخلصا لله في دعوته ولا يخاف في الله لومة لائم، قال تعالى: ﴿وَمَا أمروا إلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾[1].

وروى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «.. ورَجُلٌ تَعَلَّمَ العِلْمَ، وعَلَّمَهُ وقَرَأَ القُرْآنَ، فَأُتِيَ به فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَها، قالَ: فَما عَمِلْتَ فيها؟ قالَ: تَعَلَّمْتُ العِلْمَ، وعَلَّمْتُهُ وقَرَأْتُ فِيكَ القُرْآنَ، قالَ: كَذَبْتَ، ولَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ العِلْمَ لِيُقالَ: عالِمٌ، وقَرَأْتَ القُرْآنَ لِيُقالَ: هو قارِئٌ، فقَدْ قيلَ، ثُمَّ أمر به فَسُحِبَ علَى وجْهِهِ حتَّى أُلْقِيَ في النَّارِ.. »[2]

(1) سورة البينة الآية5.

(2) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج3 كتاب الامارة، رقم الحديث 1905ص1514.

فحري بالمربي والمعلم أن يغرس في نفسية ناشئه إخلاص العلم والعمل لله، وابتغاء الأجر والثواب، وبعد ذلك إن حصل المدح والثناء من المخلوق فهذا فضل من الله ونعمة عليه، فعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: «قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: أَرَأيتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ العَمَلَ مِنَ الخَيْرِ، وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عليه؟ قال: تِلكَ عاجل بُشْرَى المؤمن. [1] «

ومدار هذا كله على النية الصادقة، والنية محلها الصدور والله سبحانه يتولى السر وما يخفى وهو بكل شيء عليم.

فينبغي للمربي أو المعلم أن يغرس في نفس الناشئة حقيقة الاتصاف بالإخلاص قولا وعملا، وأن يكونوا مخلصين في عملهم لله، ويدركوا إدراكا جازما لا يحتمل التأويل، ويجزم لهم أن كل شيء كان لله يدوم ويتصل، وما يكون لغير الله ينقطع بانقطاع الأثر المقصود.

ثانيا: حسن الهيئة والسريرة:

كان صلى الله عليه وسلم يهتم بمظهره وهيئته مما يضفي عليه هيبة ووقارا... فكان يربي ويعلم صحابته ويحفزهم على الاهتمام بالمظهر والحفاظ على الهيئة، لأن أصل الإنسان بطبعه يحب الشيء الجميل وترتاح له نفسه وتقبل كل ما يأتي منه ولذلك كان يحث على هذه الأوصاف الجميلة التي تجعل الإنسان في أحسن حلة وكيف لا وأن الله سبحانه أمر عبده بالزينة عند دخوله للمسجد فقال جل علاه: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[2]، وروى الإمام مسلم من طريق عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قالَ: »إنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمالَ، الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ، وغَمْطُ النَّاسِ». [3]

وفي حديث آخر لجابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: « أتانا رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فرأى رجلا شعثا قد تفرّقَ شعره، فقال: أما كان هذا يجدُ ما يسكنُ به شعْرهُ؟ ورأى رجلا عليه ثيابٌ وسخةٌ فقال: أما كان هذا يجدُ ماءً يغسلُ به ثَوْبهُ؟ »[4].

(1)صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م ج4 كتاب البر والصلة والآداب، رقم الحديث 26642ص2034.

(2) سورة الأعراف الآية31.

(3)مرجع سابق، صحيح مسلم بن الحجاج، ج1 كتاب الإيمان، رقم الحديث 91ص93

(4) سنن أبي داوود، أبو داوود سليمان بن الأشعث الازدي السجستاني، تحقق: شعيب الأرناؤوط -وآخرون، دار الرسالة العالمية ط1 1430هـ-2009م، ج6 رقم الحديث 4062ص168

أما فيما يخص سريرته صلى الله عليه وسلم، فقد شهد له ربه بكرم أخلاقه وصفاء سريرته، ومن الجوانب التي تدل على حسن سريرته منها:

1. حسن الخلق: الذي وصفه ربه به فقال في حقه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(1)، ويكفيه شرفا وكرما وتعظيما، فكان صلى الله عليه وسلم يربي صحابته عليه فكان يزع فيهم الكلمة الطيبة والعبارة الحسنة فتتأثر النفوس وتتآلف القلوب وتذهب الضغائن والأحقاد من الصدور، فكان صلى الله عليه وسلم أطيب روحا ونفسا، لينا رؤوفا رحيما، فعن عطاء بن يسار قال: لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بنَ عَمْرِو بنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عنْهمَا، قُلتُ: أخبِرْنِي عن صِفَةِ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في التَّوْرَاةِ؟ قالَ: أجل، واللَّهِ إنَّه لَمَوْصُوفٌ في التَّوْرَاةِ ببَعْضِ صِفَتِهِ في القُرْآنِ: ﴿يَا أيها النبيُّ إنَّا أرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا ومُبَشِّرًا ونَذِيرًا﴾ [الأحزاب: 45]، وحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أنْتَ عَبْدِي ورَسولِي، سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّلَ ليسَ بفَظٍّ ولَا غَلِيظٍ، ولَا سَخَّابٍ في الاسْوَاقِ، ولَا يَدْفَعُ بالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، ولَكِنْ يَعْفُو ويَغْفِرُ، ولَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حتَّى يُقِيمَ به المِلَّةَ العَوْجَاءَ، بأَنْ يقولوا: لا إله إلا اللَّهُ، ويَفْتَحُ بهَا أعْيُنًا عُمْيًا، وآذانًا صُمًّا، وقُلُوبًا غُلْفًا(2).

2. التواضع: كان صلى الله عليه وسلم أشد الناس تواضعا مع صحابته ولم يكن يترفع عنهم أو يميز نفسه عنهم بشيء، بل كان يمتزج بهم حتى لا يعرف من بينهم، وكان يشارك صحابته في العمل الجماعي حتى يسجد لهم مبدإ التواضع قولا وفعلا تربية وتعليما. فأمره لهم لم يكن من التنظير فقط بل كان من كليهما التنظير والتنزيل، وهذه هي جزء من السمات أخلاقية التعليم النافع.

روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: «بيْنَما نَحْنُ جُلُوسٌ مع النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في المَسْجِدِ، دَخَلَ رَجُلٌ علَى جَمَلٍ، فأناخهُ في المَسْجِدِ ثُمَّ عَقَلَهُ، ثُمَّ قالَ لهمْ: أيكُمْ مُحَمَّدٌ؟ والنبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مُتَّكِئٌ بيْنَ ظَهْرانَيْهِمْ، فَقُلْنا: هذا الرَّجُلُ الأَبيَضُ المُتَّكِئُ». (3)

(1) سورة القلم الآية 4.

(2) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب البيوع، رقم الحديث 2125ص511.

(3) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب الإيمان رقم الحديث 63 ص27

وجاء في حديث آخر من طريق عياض بن حمار قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم خطيبا فقال: «... وإنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حتَّى لا يَفْخَرَ أحد علَى أحد، وَلَا يَبْغِي أحد علَى أحد»[1].

3. الزهد: لم يكن صلى الله عليه وسلم يهتم بالدنيا ولا يركن إليها وكان يحذر صحابته من الركون إليه وبين لهم قيمة هذه الحياة التي تعتبر ممر يمر بها العبد إلى الدار الآخرة، فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ دخَل عليه عمرُ، وهو على حَصيرٍ قد أثر في جَنْبِه، فقال: يا نبيَّ اللهِ، لو اتَّخذْتَ فِراشًا أوثَرَ من هذا؟ فقال: ما لي وللدُّنيا؟ !ما مَثَلي ومَثَلُ الدُّنيا إلا كراكبٍ سار في يومٍ صائفٍ، فاستَظَلَّ تحتَ شجرةٍ ساعةً من نهارٍ، ثم راح وترَكَها[2].

4. الحلم: كان صلى الله عليه وسلم يضرب بحلمه وكيف لا والله سبحانه أثنى عليه بقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[3].

ورى الإمام البخاري من طريق أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كُنْتُ أمْشِي مع رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وعليه بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ، فأدركهُ أعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ بردَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً، حتَّى نَظَرْتُ إلى صَفْحَةِ عَاتِقِ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قدْ أثرتْ بهَا حَاشِيَةُ البُرْدِ مِن شِدَّةِ جَبْذَتِهِ، ثُمَّ قالَ: يا مُحَمَّدُ مُرْ لي مِن مَالِ اللَّهِ الذي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إليه رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ثُمَّ ضَحِكَ، ثُمَّ أمر له بعَطَاءٍ.[4]

5. التوسط: لقد كرم الله سبحانه وتعالى أمة هذ النبي الكريم بهذا الوصف فقال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أمة وَسَطًا﴾[5]، فأمر صلى الله عليه وسلم أمته بالتوسط وبين لها ذلك في سنته فقال صلى الله عليه وسلم: «جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إلى بُيُوتِ أزْوَاجِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ،

---

(1) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج4 كتاب الجنة وصفة نعيمها واهلها، رقم الحديث 2865ص2198

(2) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط -وآخرون، دار مؤسسة الرسالة، ج4 رقم الحديث4744ص473

(3) سورة آل عمران الآية 159.

(4) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب اللباس، رقم الحديث 5809ص1470.

(5) سورة البقرة الآية 143.

يسألونَ عن عِبَادَةِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَلَمَّا أخبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقالوا: وأينَ نَحْنُ مِنَ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ؟ قدْ غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ وما تَأخر، قالَ أحدهُمْ: أَمَّا أنَا فإنِّي أصلي اللَّيْلَ أبدا، وقالَ آخر: أنَا أصُومُ الدَّهْرَ ولَا أُفْطِرُ، وقالَ آخر: أنَا أعْتَزِلُ النِّسَاءَ فلا أتَزَوَّجُ أبدا، فَجَاءَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إليهم، فَقالَ: أنْتُمُ الَّذِينَ قُلتُمْ كَذَا وكَذَا، أما واللَّهِ إنِّي لَأخشَاكُمْ لِلَّهِ وأَتْقَاكُمْ له، لَكِنِّي أصُومُ وأُفْطِرُ، وأصلي وأَرْقُدُ، وأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فمَن رَغِبَ عن سُنَّتي فليسَ مِنِّي[1].

وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، ولَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أحد إلا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وقَارِبُوا، وأَبْشِرُوا، واسْتَعِينُوا بالغَدْوَةِ والرَّوْحَةِ وشيءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ»[2].

وبين صلى الله عليه وسلم لصحابته ما يتعلق بأمور الدنيا وأن يكونو معتدلين فيها، وأن يأخذوا منها قدر ما يكفيهم لسد الضروريات والحاجيات دون إفراط ولا تفريط، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخرة وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأحسن كَمَا أحسن اللَّهُ إِلَيْكَ﴾[3].

فالاعتدال في أمور الحياة أمر مطلوب كما رسم القرءان الكريم ذلك في الخطوط العريضة، وكما بينها صلى الله عليه وسلم لصحابته قولا وفعلا.

ثالثا: مطابقة القول للعمل:

لقد جاءت الآية الكريمة صريحة بأسلوب واضح لا يختلف فيه اثنان، فقال سبحانه في كتابه: ﴿يَأيهَا الَّذِينَ آمنوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾[4]، فسياق الآية واضح في كتب التفسير لكن يمكن توظيفه في حياة الإنسان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

(1)مرجع سابق، صحيح البخاري، كتاب النكاح، رقم الحديث 5063ص1292
(2) المصدر نفسه: كتاب الإيمان رقم الحديث 39، ص20.
(3) سورة القصص الآية77.
(4) سورة الصف الآية 3.

ولعل المعنى العام لهذه الآية الكريمة: كيف تقول الخير وتحث عليه وربما تمدح به وأنت لا تفعله وتنهي عن الشر وربما تنزه نفسك عنه، وأنت متلوثن ومتصف به، فهل يليق بك هذ الحال وأنت مؤمن؟، أم من أكبر المقت عند الله تعالى أن يقول الإنسان مالا يفعل.

ولهذا ينبغي للآمر للخير أن يكون هو أولا من الناس المبادرين إليه، والناهي عن الشر أن يكون أبعد الناس عنه، قال سبحانه في سورة البقرة: ﴿أَتَأمرونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾[1].

وجاء على لسان شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أخالِفَكُمْ إِلى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾[2]

والنبي المربي المعلم صلوات ربي وسلامه عليه كان يأمر الناس بالخير وهو أول من يأتيه، وكان ينهاهم عن الشر وهو أول من يجتنبه، وهذا من كمال خلقه ولا عجب في ذلك، فكان خلقه القرءان ومطاقة القول العمل. فالشواهد كثيرة منها:

1. أنه عندما أرسل النبي صلى الله عليه وسلم هذا الصحابي الجليل عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى الجندلي ملك عمان يدعوه إلى الإسلام فوصفه له رضي الله عنه، وقال هذا الملك بعد ذلك ما نصه: «لقد دلني على هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به، ولا ينهي عن شر إلا كان أول تارك له... «[3].

2. ولنقف كذلك مع الحدث الذي وقع للنبي صلى الله عليه وسلم مع المسلمين في قصة صلح الحديبية. عندما صالح المشركون المسلمين على تلك الشروط المعينة، ومن هذه البنود المتفق عليه أن يرجع المسلمون من عامهم هذا إلى مكة ويحجوا في العام المقبل.

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: «فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا)، فَوَاللَّهِ ما قَامَ منهمْ رَجُلٌ واحد حتَّى قالَ ذلكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ منهمْ أحد دَخَلَ علَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا ما لَقِيَ مِنَ النَّاسِ، فَقالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يا رسول اللَّهِ، أتُحِبُّ ذلكَ؟، أخرج ثُمَّ لا تُكَلِّمْ أحدا منهم كَلِمَةً، حتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ،

(1) سورة البقرة الآية 44.

(2) سورة هود الآية88.

(3) الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، -بيروت لبنان-، ط1 1415هـ-1995م، ج1 ص637

وتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ، فقام فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أحدا منهمْ حتَّى فَعَلَ ذلكَ: نَحَرَ بُدْنَهُ، ودَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذلكَ قَامُوا، فَنَحَرُوا وجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا)»[1].

وهنا يتضح جليا أن القول لا يمكن أن يؤثر في نفوس الآخرين إذا لم يكن مصاحبا العمل، وهذا ما فعله صلى الله عليه وسلم مع المسلمين ففعلوا ما أمرهم به صلى الله عليه وسلم ولم يتخلق منهم أحد، ولعل السبب الذي جعل الصحابة يتأخرون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مبثوث في كتب السيرة عندما تناولوا قصة الحديبية وما كان فيها بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين المشركين، وهذا أردت أن أشير إليه حتى لا نفهم المراد في غير سياقه ونجعله حكما عاما لأن الأصل في أمر النبي لا يخالف وينبغي تنفذيه.

فالنبي صلى الله عليه وسلم في هذا الموقف بين للمسلمين وبادر إليه أولا وتبعه إخوانه فلذلك ينبغي للمعلم أو المربي أن يكن على هذا المنهج النبوي في المبادرة إلى العمل بدل القول فقط.

وللإمام الغزالي كلام نفيس أثناء حديثه عن آداب المتعلم والمعلم حيث قال رحمة الله عليه: في الوظيفة الثامنة: «أن يكون المعلم عاملا بعلمه فلا يكذب قوله فعله، لأن العلم يدرك بالبصائر، والعمل يدرك بالأبصار، وأرباب الأبصار أكثر، فإذا خالف العمل العلم منع الرشد، وكل من تناول شيئا وقال للناس: لا تتناوله فإنه سم مهلك سخر الناس به واتهموه، وزاد حرصهم على ما نهوا عنه، فيقولون: لولا أنه أطيب الأشياء وألذها لما كان يستأثر به، ومثل المعلم المرشد من المسترشدين مثل النقش من الطين، والظل من العود فكيف ينقش الطين بما لا نقش فيه ومتى استوى الظل والعود أعوج؟ «[2].

وهذه إشارات وشذرات عابرة تشعر الباحث والقارئ أن هذا من قبيل غيض من فيض، وسطر من قمطر.

(1) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم الجوزية دار الفجر للتراث-القاهرة – ط1 1425هـ-2004م، ج2 ص 215.

(2) إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، دار ابن حزم ط1 1426هـ-2005، كتاب العلم ص71.

فأخلاقية التعليم عند الني صلى الله عليه وسلم يصحب أن نذكرها كاملة ومكتملة في مكان محدد، فكتب السير والمغازي والسنة النبوية فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت إن صح التعبير، فكلما فتشت في حديث نبوي، أو هديه صلى الله عليه وسلم إلا ووجدت الكثير والكثير من هديه صلى الله عليه وسلم في مجال التربية او في المجالات الأخرى.

فرجوعنا للبحث في السيرة النبوية العطرة، رجوع إلى التربية الصالحة المصلحة، للناشئة وغير الناشئة، فالتربية النبوية للجميع فقط هي: إيمان واعتقاد وتطبيق، ولن يخيب من سار على هديه صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة.

المطلب الثالث: إلزامية التعليم

إن الشرع الحكيم حث على العلم والتعلم، وأمر به منذ أن أنزل على رسوله المنهج المبين والدستور المنير، مخاطبا إياه بقوله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الإنسان مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأكرم، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الإنسان مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[1]. فأول آية نزلت على محمد خير الأنام، اشتملت الكلام عن القلم الذي هو بمثابة الأداة الحقيقية التي تغير الإنسان من حال إلى حال، وتبنيه بناء تدريجيا يربطه بالله، عن طريق المعرفة وتوجيه العقل إلى حكمة الله من الخلق وآياته في رحاب الكون، فبالقلم يتعلم الإنسان مالم يكن يعلم، وهذا تكريم وتشريف له بعد أن وهب له العقل الرشيد والقلب السليم وأدوات المعرفة، ورزقه التفكير والتدبير ففضله عن كثير من خلقه تفضلا.

فالتعليم أداة فتحت الطريق المنير أمام هذا المخلوق العظيم، ليثبت نفسه ويعبر عن خصوصيته وغاية وجوده من خلال بناء بشري متكامل وإثبات وجودي تسخيري، وارتقاء حضاري أصيل في هذا الحياة، وهذا لا يتم إلا بالقلم وما يسطر. فعظم الإنسان يكون بتعظيم القلم له، لأنه به تزكوا النفوس وترتقي القلوب إلى رب المعبود، الذي خلق الإنسان وعلمه البيان.

(1) سورة العلق الآية 5.

لقد قسم الله سبحانه وتعالى بنون والقلم في وسط الأمة التي لم تكن تتجه إلى التعليم إلا عن هذا الطريق، وكانت الكتابة فيها متخلفة ونادرة، في الوقت الذي كان دورها المقدر: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أمة أخرجتْ لِلنَّاسِ تَأمرونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[1].

هذا الدور كان يتطلب العناية بالعلم، والعلم هو: الفهم وإدراك الشيء على حقيقته، والحث عليه لتقوم الأمة بنقل هذه العقيدة وما يقوم عليها من مناهج الحياة إلى أرجاء الأرض[2].

فالنبي صلى الله عليه وسلم منذ بعثته حث على طلب العلم المقرون بالفهم والوعي، وأمر بتعليم القراءة والكتابة لعامة أصحابه، فرفع الله بذلك شأن أهل العلم والمعرفة وقدمهم على غيرهم، نظرا لأهمية العلم والتعليم ومكانته في الشريعة الإسلامية، حيث قال عز وجل: ﴿ يرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمنوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [3]، ولعل السبب في ذلك أن الإيمان الحقيقي لا يكون إلا مع العلم، فالعالم هو الذي يفقه في الدين ويتدبر ما جاء في الكتاب المبين، ومن ثم يعرف الله معرفة حقيقية بأدواته المعرفية وقدرته العقلية مستشعرا في الوقت نفسه بصاحب العظمة والخلق من النظر العميق قي هذا الكون العريق، فالشريعة الإسلامية لم تجعل التعليم بمفهومه الوظيفي أمرا اختياريا يقرره الفرد بل جعلته من قبيل اللزوم والضرورة وفريضة شرعية على كل مسلم ومسلم في معرفة كل ما يهم دينه ودنياه، وبلوغه درجة الكمال جسدا وروحا، والأدلة على ذلك كثيرة منها:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَاللَّهُ أخرجكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ والأبصار وَالإفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[4]، وقال: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [5]، وقال: ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ، مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾[6]، فحذر الله سبحانه أناسا من عبده الذي رزقهم من خيرات بركة علمه بعدم الاغترار به أو حجبه عن

(1) سورة آل عمران الآية110.

(2) دراسات في الحديث النبوي، د. محمد لقمان الاعظمي الندوي، دار مكتبة العبيكان -الرياض، ط3 1416هـ-1995م، ص179.

(3) سورة المجادلة الآية 11.

(4) سوى النحل الآية 78.

(5) سورة القمر الآية17.

(6) سورة القلم الآية 2.

الآخرين، واعتبره الشرع تعطيل لحق من حقوق الله التي وهبها لعباده، باعتبار أن التعليم يشكل أحد الحقوق التي كفلها الإسلام إلى الإنسان فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ﴾(1)، ففهم منه إيجاب التعليم.

وفي السنة النبوية رغب صلى الله عليه وسلم في العلم، وحق من حقوقه المشروعة، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَن سَلَكَ طَرِيقًا يَطلُبُ فيه عِلْمًا، سَلَكَ اللهُ عزَّ وجلَّ به طَرِيقًا مِن طُرُقِ الجَنَّةِ، وإنَّ المَلائِكةَ لَتَضَعُ أجنِحَتَها رِضًا لِطالِبِ العِلمِ، وإنَّ العالِمَ لَيَستَغفِرُ له مَن في السَّمَواتِ ومَن في الأرض، والحيتانُ في جَوفِ الماءِ، وإنَّ فَضلَ العالِمِ على العابِدِ كَفَضلِ القَمَرِ لَيلةَ البَدرِ على سائِرِ الكَواكِبِ، وإنَّ العُلَماءَ وَرَثةُ الأنبياء، وإنَّ الأنبياء لم يُورِّثوا دِينارًا ولا دِرهَمًا، وَرَّثوا العِلْمَ، فمَن أخذَه، أخذَ بحَظٍّ وافِرٍ». (2)

وفي الحديث دلالات وإشارات نافعة كما ذكر ذلك شراح الحديث، وذكر سليمان بن قاسم العيد مؤكدا ما ذكره شراح هذا الحديث النبوي أنه فيه:

1. أن العلم طريق الجنة، وذلك أن طالب العلم إذا أراد به وجه الله سبحانه وطلب مرضاته، فإنه يدل على الله من أقرب الطرق وأسهلها، فمن سلك طريقه ولم يعرج عنه وصل إلى الله وإلى الجنة بأقرب الطرق وأسهلها بما يحص له من علم نافع وعمل صالح.

2. تواضع الملائكة لطلب العلم، مما يدل على فضله وعلو مكانته.

3. استغفار من في السموات والأرض حتى الحيتان في الماء لطالب العلم، وذلك لأن العلم سبب في نجاة النفوس من أنواع المهلكات، فكان جزاؤه من جنس العمل.

4. العالم أفضل من العابد، وذلك لأن العالم يشبه القمر الذي يضيئ الآفاق، ويمتد نوره في أقطار العالم، وأما الكوكب فنوره لا يتجاوز نفسه، أو ما قرب منه(3).

(1) سورة آل عمران الآية 187.
(2) سنن أبي داوود، أبو داوود سليمان بن الأشعث الازدي السجستاني، تحقق: شعيب الأرناؤوط -وآخرون، دار الرسالة العالمية ط1 1430هـ-2009م، ج65 رقم الحديث 3641ص485.
(3)المنهاج النبوي في دعوة الشباب، د. سليمان بن قاسم العيد، دار العاصمة للنشر والتوزيع— الرياض-، ط2 1433هـ-2012م ص140.

وري أنس بن مالك رضي الله عنه من طرق كثيرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « طلبُ العلمِ فريضةٌ على كلِّ مسلمٍ »[1]، لكن في إسناد هذ الحديث مقال عند أهل الحديث لكن معناه صحيح عندهم.

لقد نبه صلى الله عليه وسلم أمته على أن طلب العلم الشرعي الذي يحتاجه الإنسان المسلم، ليقيم أمور دينه فريضة على كل واحد. فقال عندما سئل: «ليس هو الذي يطلبونه ولكنه فريضة على من وقع في شيء من أمر دينه إن سأل عنه حتى يعلمه، وأخبر محمد بن معاوية الحضرمي قال: سئل مالك بن أنس وأنا أسمع هذا الحديث فقال: ما أحسن طلب العلم فأما فريضته فلا...

قال أبو عمر: وقد أجمع العلماء على أن من العلم ما هو فرض متعين على كل امرئ في خاصته بنفسه، ومنه ما هو فرض على الكفاية إذا قام به قائم سقط فرضه على أهل ذلك الموضع، واختلفوا في تلخيص ذلك والذي يلزم الجميع فرضه من ذلك ما لا يسع الإنسان جهله من جملة الفرائض المفترضة عليه نحو الشهادة باللسان والإقرار بالقلب بأن الله وحده لا شريك له، لا شبه له ولا مثل، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحدا، خالق كل شيء وإليه مرجع كل شيء المحيي المميت الحي الذي لا يموت»[2].

هذاما ذهب إليه كثير من الفقهاء الذين فسروا هذا الحديث لاعتبارات متعددة، على أن الوجوب في الحديث يقصد به طائفة من المسلمين، وأنه يتعلق بالعلم الشرعي، لكن منطوق النص في هذا الحديث يفهم منه العلم على إطلاقه، وأن الحديث كذلك لم يخصص جماعة معينة، وإنما جاء بصيغة العموم يعني يجب على كل مسلم أو غيره أن يطلب ما به يتوصل إلى أمور دينه ودنياه، والفوز بالدار الفانية.

---

(1) سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد بن ماجة القزويني، تحقيق: رائد صبري، دار الحضارة -الرياض-، ط2 1436هـ-2015م، رقم الحديث 224ص39

(2)جامع بيان العلم وفضله، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي، تحقيق: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي – الدمام، ط1 1414 - 1994 ج1 ص52-56.

فمعرفة تعاليم الإسلام لا يمكن أن يفهمها الإنسان بدون علم ومعرفة وفهم ووعي دقيق، ولذلك حث صلى الله عليه وسلم الناس على طلب العلم، والرحلة إليه، وجعله فريضة على كل واحد قدر المستطاع، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها.

ولذلك وقف بعض العلماء المعاصرين عند هذا الحديث، ووضع سؤالا وجيها وناقشه فقال: «أي علم يريده الرسول الله عليه وسلم؟ فأجاب بأنه أولا: العلم الذي يفسر للناس أمور دينهم، ويدفع حياتهم في طريق الفضيلة والخير، ويوثق أسباب اتصالهم بالله ببارئهم وربهم يقول: تعلموا الفرائض وهلموا الناس فإني مقبوض، فالعلم الذي يقدم للناس دين الله وسنة نبيه يأتي على رأس كل انواع العلم وصنوفه، وذلك بما ينتظمه من تبيان لأحكام الشريعة وأسرارها، وبما ينهض من أمر بمعروف ونهي عن منكر»[1].

المطلب الرابع: فضيلة التعليم

إن تعليم العلم النافع له فضل عظيم وأجر وفير على صاحبه في الدنيا والآخرة، ولمكانته الرفيعة جعلها الله سبحانه، وظيفة اصفيائه رسلا وأنبياء، فحملهم أمانة العلم ونشره بين الناس في مشارق الأرض ومغاربها، حتى لا يأتي ذلك اليوم الذي يفر فيه المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته لكل أمرئ منهم يومئذ شأن يغنيه، ويقول قائل يرب لم يبلغ لي ما أرسلت علي أنبيائك واصفيائك، فهذا أعظم شرف لمن حمل مشعل النور وأنار به على غيره، فكان سببا لمعرفة الإنسان بربه وفوزه بلقاء ربه.

إن إبراز فضيلة التعليم لأمر يسير لكثرة ورود آيات بينات، وأحاديث نبوية شريفة يتجلى فيهم شرف التعليم، والعلم، وصاحب العلم، زيادة على ذلك ما تدعمه الشواهد العقلية خدمة لما جاء في النقل باستعمال فكر سليم وبناء متين يدعوا إلى إعطاء صورة متكاملة لبناء إنسانية حضارية.. ورغبة في الاقتصار على المطلوب أورد بعض الأدلة من القرءان ومن السنة ومن العقل.

(1) كما تحدث الرسول، د. خالد محمد خالد، دار المقطم للنشر والتوزيع القاهرة-، ط4 1425هـ-2004م، ص320.

1. من القرءان: قال الله تبارك وتعالى في كتابه: ﴿ وَاللَّهُ أخرجكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأبصَارَ وَالافْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1].

فالإنسان يولد جاهلا لا يعلم ولا يعرف أي شيء، فهو بمثابة تلك الورقة البيضاء التي ما زال لم يكتب فيها أي شيء، لكن من صاحب هذه الورقة له أدوات تساعده على الكتابة إذا أراد، فمثلها مثل الإنسان وهب الله له أدوات المعرفة والعلم.

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: «ثم ذكر تعالى منَّتَه على عباده، في إخراجه إياهم من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئًا، ثم بعد هذا يرزقهم تعالى السمع الذي به يدركون الأصوات، والأبصار اللاتي بها يحسون المرئيات، والأفئدة - وهي العقول - التي مركزها القلب على الصحيح، وقيل: الدماغ، والعقل به يميز بين الأشياء ضارها ونافعها. وهذه القوى والحواس تحصل للإنسان على التدريج قليلا، كلما كبر زِيد في سمعه وبصره وعقله حتى يبلغ أشده وإنما جعل تعالى هذه في الإنسان ليتمكن بها من عبادة ربه تعالى، فيستعين بكل جارحة وعضو وقوة على طاعة مولاه»[2].

يكفي شرفا وفخرا وانتسابا، وكفى هذا الشرف تعظيما وتفضيلا إظهاره سبحانه وتعالى في كتابه فضل العلم، ومنزلة العلماء العاملين لدليل واضح، كذلك حيث قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أولو الأَلْبَابِ[3]، وقال: إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُور﴾[4]، ﴿فَاسْأَلُوا أهل الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[5].

2. وفي السنة النبوية: قوله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «.... فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بكَ رَجُلًا واحدا، خَيْرٌ لكَ مِن أنْ يَكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَمِ «[6]. وفي

(1) سورة النحل الآية 87.

(2) تفسير القرءان العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، دار ابن حزم -بيروت-لبنان، ط1 1420هـ-2000، ص1070.

(3) سورة الزمر الآية 9.

(4) سورة فاطر الآية28.

(5) سورة النحل الآية 43.

(6) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب المغازي، رقم الحديث 4210ص1034.

حديث آخر: عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ مَثَلَ ما بَ عَثَنِيَ اللَّهُ به عزَّ وجلَّ مِنَ إلهدَى والْعِلْمِ، كَمَثَلِ غَيْثٍ أصابَ أرضا، فَكانَتْ مِنْها طائِفَةٌ طَيِّبَةٌ، قَبِلَتِ الماءَ فأنْبَتَتِ الكَلأَ والْعُشْبَ الكَثِيرَ، وكانَ مِنْها أجادِبُ أمْسَكَتِ الماءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بها النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْها وسَقَوْا ورَعَوْا، وأَصابَ طائِفَةً مِنْها أخرى، إنَّما هي قِيعانٌ لا تُمْسِكُ ماءً، ولا تُنْبِتُ كَلأً، فَذلكَ مَثَلُ مَن فَقُهَ في دِينِ اللهِ، ونَفَعَهُ بما بَعَثَنِيَ اللَّهُ به، فَعَلِمَ وعَلَّمَ، ومَثَلُ مَن لَمْ يَرْفَعْ بذلكَ رَأْسًا، ولَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الذي أُرْسِلْتُ بهِ « [1].

وروى عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ اللَّ هَ لا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، ولَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بقَبْضِ العُلَماءِ، حتَّى إذا لَمْ يَتْرُكْ عالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهّالا، فَسُئِلُوا فأفْتَوْا بغيرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وأَضَلُّوا» [2]. وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يأخذْ مني هذه الكلم اتِ فيعملَ بهنَّ، أو يُعلِّمَ من يعملُ بهنَّ؟ فقال أبو هريرة: قلتُ: أنا يا رسولَ اللهِ ! فأخذ بيدي وعَدَّ خمسًا، قال: اتَّقِ المحارمَ تكن أعبدَ الناسِ، وأرض بما قسم اللهُ لك تكن أغنى الناسِ، وأحسن إلى جارِك تكن مؤمنًا، وأحب للناس ما تحبُّ لنفسِك تكن مسلمًا، ولا تكثِرِ الضَّحِكَ ! فإنَّ كثرةَ الضَّحِكَ تميتُ القلبَ»[3].

3. ومن الشواهد العقلية: أن فضيلة أي شيء ذا قيمة ومرغوب فيه، فأنه لا يخلوا من كونه مطلوب في نفسه وفي غيره اوهما معا، فالمطلوب لغيره مثل: درهم فهو مكون من نحاس صلب لكنه يقوم بوظيفة معينة ألا وهي السيولة الاقتصادية المالية، وبه تقضى حوائج الناس فلولا هذه الوظيفة لقلنا إنه لا منفعة فيه ترجى، وأما الشيء المطلوب لنفسه: السعادة في الآخرة، ولذة النظر إلى رب العباد. والشيء الذي يكون لنفسه ولغيره مثل: سلامة الجسد يستشف منها: سلامة البدن، واستخدماه في قضاء الحوائج والأغراض لدى الإنسان، فبهذا الاعتبار يمكن النظر إلى العلم على أنه شيء نفيس ومرغوب فيه، فهو مطلب لذاته وبه

(1) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج4 كتاب الفضائل، رقم الحديث 2282ص1787.

(2) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج 4، كتاب العلم، رقم الحديث 2673 ص2085

(3) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط -وآخرون، دار مؤسسة الرسالة، ج13 رقم الحديث8096ص459.

يتوصل إلى الآخرة، وبه يتقرب العبد إلى ربه ولا يتوصل إليه إلا بالعلم والعمل، ولا يتوصل إلى العمل إلا بالعلم بكيفية العمل، فأصل السعادة في الدنيا والآخرة هو العلم، فهو إذن أفضل الأعمال.

يقول الإمام الغزالي: « إن العلم إذا كان أفضل الأمور كان تعلمه طلبا للأفضل فكان تعليمه إفادة للأفضل وبيانه: إن مقاصد الخلق مجموعة في الدين والدنيا ولا نظام إلا بنظام الدنيا فإن الدنيا مزرعة الآخرة وهي الآلة الموصلة إلى الله عز وجل لمن اتخذها آلة ومنزلا لمن يتخذها مستقرا ووطنا، وليس ينتظم أمر الدنيا إلا بأعمال الآدميين» [1].

(1) إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، دار ابن حزم ط1 1426هـ-2005، كتاب العلم ص21.

المبحث الثاني: الأساليب والوسائل التعليمية النبوية

المطلب الأول: الأساليب النبوية في التعليم

إن الأسلوب النبوي التعليمي امتاز بسمات وخصائص لم يشهد لها مثيل، وكل ما تعمل عليه الآن النظم التربية في العالم المتطور على إحداث الوسائل التكنلوجية الحديثة يعتبر تفعيلا للمبادئ الأساسية الذي شرعه النبي صلى الله عليه في أسلوب الخطاب، فالنبي المربي المعلم صلى الله عليه وسلم أوتي جوامع الكلم، وهذا جلي في قوله صلى الله عليه وسلم عندما قال: «فُضِّلْتُ علَى الأنبياء بسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوامِعَ الكَلِمِ، ونُصِرْتُ بالرُّعْبِ، وأُحِلَّتْ لِيَ الغَنائِمُ، وجُعِلَتْ لِيَ الأرض طَهُورًا ومَسْجِدًا، وأُرْسِلْتُ إلى الخَلْقِ كافَّةً، وخُتِمَ بيَ النَّبِيُّونَ» [1].

فهذا الحديث يلخص ويجمع ما يمكن أن يقال في الأساليب النبوية، فهو أوتي صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم في كل شيء، وهذا ما جعل أسلوبه يقع موقعا حسنا في نفوس الصحابة رضوان الله عليهم تأثيرا وحفظا وتطبيقا، ولا بأس أن أذكر بعض هذه الخصائص في الأسلوب التي يؤكد على أنه أوتي جوامع الكلم صلى الله عليه وسلم:

1. خاصية الإيجاز في الأسلوب وعدم الإطالة في الكلام، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان يُحَدِّثُ حَدِيثًا، لو عَدَّهُ العَادُّ لأَحْصَاهُ»[2].

2. إضافة إلى إظهار الحب للمخاطب الذي يتواصل معه واختيار أسلوب الخطاب، ومراعاة الفوارق الفردية حتى يصل الهدف المرجو الذي يريده صلى الله عليه وسلم، فهذا وذاك إن دل فإنما يدل على ما سبق ذكره وهي اتصافه صلى الله عليه وسلم بالكمال والجمال في كل شيء صلوات وسلامه عليه.

---

(1) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج1 كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم الحديث 523ص371.
(2) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب المناقب، رقم الحديث 3467ص878.

والأساليب النبوية التعليمية التي كان يستخدمها صلى الله عليه وسلم لا شك أنها كثيرة ومتنوعة، فهي بمثابة الانطلاق الأولي للعقل البشري، فحث صحابته على أن يجتهدوا وفق المنهج الذي رسمه لهم، وأهم هذه الأساليب التعليمية:

1. استخدام الأسلوب المتفاعل: كان صلى الله عليه وسلم يخاطب الناس باللهجة السائدة عند أي قبيلة مراعيا في ذلك العادات والأعراف السائدة عندهم فاستخدامه هذا المستوى من التواصل في التبليغ والتعليم للناس أمور دينهم، وبذلك يكون صلى الله عليه وسلم أبلغ وأقصد إلى المطلوب، جاء في الحديث عن عبد الله بن فضالة عن أبيه قال: «علَّمَني رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فكان فيما عَلَّمَني: وحافِظْ على الصلواتِ الخمسِ. قال: قلتُ: إن هذه ساعاتٌ لي فيها أشغالٌ، فمُرْني بأمر جامعٍ إذا أنا فعَلْتُه أجزَأَ عنِّي. فقال: حافِظْ على العَصْرَيْنِ، وما كانت مِن لُغَتِنا. فقلتُ وما العَصْرانِ؟ فقال: صلاةٌ قبلَ طلوعِ الشمسِ، وصلاةٌ قبلَ غروبِها» (1).

ومعنى: «أد العصرين» أي الفجر والعصر في أحسن أوقاتهما، وأد البقية على الوجه الميسر لك في أوقات جوازهما، ولا دليل فيه على أنه تكفيانه على الصلوات الخمس.

فالنبي صلى الله عليه وسلم في مثل هذه المواقف التربوية التعليمة، نجده يراعي الخصوصيات الإنسانية، ويستحضر مستوى المخاطبين في كل وقت وحين، وهذا من سماته صلى الله عليه وسلم فيخاطبهم على قدر عقولهم وحاجاتهم.. لأنه يعلم علم اليقين أن أسلوب الخطاب الدعوي التربوي، إذا استعمل بأكثر من ما يفهمه ويستوعبه عقل المخاطب لن يؤتي أكله، كما جاء في الأثر عن على رضي الله عنه قال: «حَدِّثُوا النَّاسَ، بما يَعْرِفُونَ أتُحِبُّونَ أنْ يُكَذَّبَ، اللَّهُ ورَسولُهُ»(2).

2. أسلوب الإقناع: وأهم أداة استخدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم لإقناع غيره بما جاء به، هو أسلوب الحوار الذي يعتبر أفضل وسيلة تواصلية يوصل بها صاحبه المقصود،

(1) سنن أبي داوود، أبو داوود سليمان بن الأشعث الازدي السجستاني، تحقق: شعيب الأرناؤوط -وآخرون، دار الرسالة العالمية ط1 1430هـ-2009م، ج1 رقم الحديث 428ص319.

(2) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب العلم، رقم الحديث 127ص45.

وخاصة في بعض الحالات التي تحتاج إلى استحضار وفتح باب النقاش والعدالة الفكرية، بنظرة شمولية بين الأطراف المتفاعلة حول قضية ما، فالمعلم المربي في هذه الحالة يتطلب منه استعمال أدوات ناجعة تضحضح كل ما يكون من أفكار غير صالحة في ذهن السامع بالأدلة العقلية، والنقلية بالحجج والبراهين التي لا تدع شكا للتشكيك في مصداقية ما يدعوا إليه المعلم المربي، ويكون بذلك تحقق المطلوب وقضي الأمر الذي فيه يستفتيان.

روى الإمام البخاري بسنده من طريق أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَنَّ رَجُلًا أتى النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، وُلِدَ لي غُلَامٌ أسْوَدُ، فَقالَ: هلْ لكَ مِن إبِلٍ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: ما أَلْوَانُهَا؟ قالَ: حُمْرٌ، قالَ: هلْ فِيهَا مِن أوْرَقَ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: فأنَّى ذلكَ؟ قالَ: لَعَلَّهُ نَزَعَهُ عِرْقٌ، قالَ: فَلَعَلَّ ابْنَكَ هذا نَزَعَهُ». (1)

3. ضرب المثل لتقريب الصورة: هذا أسلوب كان يلجا إليه النبي صلى الله عليه وسلم عندما تكون المعاني مبهمة أو غير واضحة، وتحتاج إلى تقريب الصورة لدى المتعلم، وتبسيط الأسلوب من أجل أن يفهمه كما سبق وأن بينت في الأحاديث النبوية التي أوردتها سابقا أثناء الحديث عن التربية بضرب الأمثال عند النبي صلى الله عليه وسلم.

4. طرح الأسئلة: من حق المتلقي أثناء استعماله لما يقوله المعلم، سواء في مناسبة خاصة، أو مكان عام، أن يتساءل إذا استشكل عليه ما يتحدث به المعلم المربي، وهذا من حقوق الطالب على المطلوب.

فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يضع بعض الأسئلة بقصد إثارة ذهن السامع وانشغاله بما يقوله النبي صلى الله عليه وسلم، حتى لا يتشتت ذهنه في غير المطلوب، وأحيانا من باب التشويق وإثارة التنبيه والتركيز والثقة في النفس في القدرة العقلية التي أكرم الله بها البشرية، ما خلق الله في هذه الدنيا شيئا من قبيل العبث، بل كل عضو إلا وله وظيفية معينة يقوم بها، واستثمارها يكون ابتداء من العقل البشري واستفزازه، وجعله يبحث عن حقيقة الأشياء منضبطا بتعاليم السلام الكبير، غير خارج عن مقصود الشارع.

---

(1) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب الطلاق رقم الحديث 5305 ص1352.

ومن ذلك ما رواه الإمام البخاري في صحيحه من طريق ابن عمر رضي الله عنهما قال: قالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بمِنًى: »أتَدْرُونَ أي يَومٍ هذا؟ قالوا: اللَّهُ ورَسولُهُ أعلم، قالَ: فإنَّ هذا يَوْمٌ حَرَامٌ، أفَتَدْرُونَ أي بَلَدٍ هذا؟ قالوا: اللَّهُ ورَسولُهُ أعلم، قالَ: بَلَدٌ حَرَامٌ، أتَدْرُونَ أي شَهْرٍ هذا قالوا: اللَّهُ ورَسولُهُ أعلم، قالَ: شَهْرٌ حَرَامٌ قالَ: فإنَّ اللَّهَ حَرَّمَ علَيْكُم دِمَاءَكُمْ، وأَمْوَالَكُمْ، وأَعْرَاضَكُمْ، كَحُرْمَةِ يَومِكُمْ هذا، في شَهْرِكُمْ هذا، في بَلَدِكُمْ هذا» [(1)].

وأيضا روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَتَدْرُونَ ما الغِيبَةُ؟ قالوا: اللَّهُ ورَسولُهُ أعلم، قالَ: ذِكْرُكَ أخاكَ بما يَكْرَهُ قيلَ أفَرَأيتَ إنْ كانَ في أخي ما أقُولُ؟ قالَ: إنْ كانَ فيه ما تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وإنْ لَمْ يَكُنْ فيه فقَدْ بَهَتَّهُ« [(2)].

إذن فأساليبه صلى الله عليه وسلم في التربية والتعليم كثيرة ومتعددة، فهي دائمة خادمة للإنسانية يكفي الرجوع إليها في مضانها، والسير حول منهجها السوي الذي ما خاب من سار على دربها، ولنا القدوة الحسنة في صحابة رسول الله الذين جسدوا أسلوب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجالات الحياة عامة، وفي مجال التربية والعليم خاصة.

المطلب الثاني: الوسائل التعليمية في التعليم

إن نجاح العملية التعليمية متوقف على الوسائل الناجعة التي توصل المعلومة المرغوب فيها، في أحسن حلة وبأسهل طريقة وعن نهج صحيح، فالأحاديث النبوية الشريفة يوجد فيها الكثير من الوسائل التي استخدمها رسول الله صلى الله عليه في تربيته وتعلميه للمسلمين تكميلا للأداة التواصلية اللفظية، لأن التواصل اللفظي وحده لا يكفي بل ينبغي أن توظف مداخل ووسائل مساعدة، لكي يصل المطلوب إلى المتلقي.

وسأكتفي بذكر البعض منها على سبيل التمثيل لا الحصر: منها [(3)]:

(1) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب الأدب، رقم الحديث 6043ص1514.

(2) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج4 كتاب البر والصلة والآداب رقم الحديث 2589ص2001.

(3) ينظر بعض الأبحاث العلمية المعاصرة مثل: استخدام الرسول صلى الله عليه وسلم الوسائل التعليمة، حسن بن علي البشاري، والوسائل التعليمية الت استخدمها رسول الله عليه وسلم.. محمد الياس حسين.

الوسيلة الأولى: استخدامه الأشياء الحقيقية:

تعبر هذه الوسيلة أعلى صورة استعراضية لما يريد إيصاله المربي لناشئة، والمقصود بهذا ان يقوم المعلم بعرض الشيء المراد تعليمه على شكل صورة حقيقية مثل ما فعله عندما أراد تعليم صحابته الحصى الذي ترمى به الجمرات في مناسك الحج فعرضها امامهم. فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: «قال لي رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ غَداةَ العَقَبَةِ وهو واقفٌ على راحلتِه: هاتِ الْقُطْ لي فلَقَطْتُ له حَصَياتٍ هن حصى الخَذْفِ فوضَعهن في يدِه فقال: بأمثالِ هؤلاء مرتين وقال: بيدِه فأشار يحيى أنه رفعها وقال: إياكم والغلوَّ فإنما هلَك مَنْ كان قبلَكم بالغلوِّ في الدين»[1].

وحين أراد تعليمهم على لباس الحرير والذهب للذكور حرام، روي عن علي رضي الله عن قال: عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ قال«: إنَّ نبيَّ اللهِ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ أخذ حريرًا فجعلَه في يمينِه، وأخذ ذهبًا فجعلَه في شماله، ثم قال: إنَّ هذيْنِ حرامٌ على ذكورِ أمتي»[2].

الوسيلة الثانية: الربط بين المواقف التعليمية:

كان صلى الله عليه وسلم يستخدم المواقف التعلمية فيستخدم الرابط المشترك المؤثر بين هذه المواقف فيعلمهم صلى الله عليه وسلم ان الاستفادة من المواقف المختلفة والربط بينها من الأسلوب الجميل المأثر في نفس المتلقي. روى مسلم في صحيحه عن أبي موس الأشعري رضي الله عنه قال: «صَلَّيْنَا المَغْرِبَ مع رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، ثُمَّ قُلْنَا: لو جَلَسْنَا حتَّى نُصَلِّيَ معهُ العِشَاءَ قالَ فَجَلَسْنَا، فَخَرَجَ عَلَيْنَا، فَقالَ: ما زِلْتُمْ هَاهُنَا؟ قُلْنَا: يا رَسُولَ اللهِ، صَلَّيْنَا معكَ المَغْرِبَ، ثُمَّ قُلْنَا: نَجْلِسُ حتَّى نُصَلِّيَ معكَ العِشَاءَ، قالَ أَحْسَنْتُمْ، أَوْ أَصَبْتُمْ قالَ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إلى السَّمَاءِ، وَكانَ كَثِيرًا ممَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إلى السَّمَاءِ، فَقالَ: النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ،

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط -وآخرون، دار مؤسسة الرسالة، ج5 رقم الحديث3248ص298.

(2) سنن أبي داوود، أبو داوود سليمان بن الأشعث الازدي السجستاني، تحقق: شعيب الأرناؤوط -وآخرون، دار الرسالة العالمية ط1 1430هـ-2009م، ج6 رقم الحديث 4057ص160.

فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ ما تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي ما يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي ما يُوعَدُونَ»[1].

فقد ربط صلى الله عليه وسلم في هذا الموقف فبين علاقة النجوم بالسماء ودورها في حفظها، وما سيمكن أن يقع للسماء إذا لم تبقى النجوم، ربط ذلك بحال صحابته عند وفاته، وحال الأمة الإسلامية عندما لا يبقى أحد من الصحابة الكرام رضي الله عن الجميع.

إنه لموقف عظيم استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهكذا كان يتعامل صلى الله عليه وسلم في استخدمه هذه الوسائل والأساليب لزرع بدوز الاستشراف التربوي في نفوس الحاضرين والغائبين. حتى لا تحيد عن الصواب.

الوسيلة الثالثة: الإشارة:

فالإشارة من أكثر الوسائل التي استخدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم في تعليم صحابته بمختلف صورها، جاء في الحديث: عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « بُعِثْتُ أنا والسَّاعَةَ كَهذِه مِن هذِه، أوْ: كَهاتَيْنِ وقَرَنَ بيْنَ السَّبَّابَةِ والوُسْطَى»[2].

و في حديث آخر: عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ المؤمن لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وشَبَّكَ أصَابِعَهُ»[3].

وفي سياق آخر: عن عبد الله بن أبي أوفى قال: قال رسول الله صلى لله عليه وسلم: «... إذا رَأيتُمُ اللَّيْلَ أقْبَلَ مِن هَا هُنَا، فقَدْ أفْطَرَ الصَّائِمُ وأَشَارَ بإصْبَعِهِ قِبَلَ المَشْرِقِ»[4].

(1) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج4 كتاب فضائل الصحابة رقم الحديث 2531ص1961.

(2) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب الطلاق، رقم الحديث 5301ص13511

(3) المصدر نفسه: كتاب الصلاة رقم الحديث 481ص128.

(4) المصدر نفسه: كتاب الصوم، رقم الحديث 1956ص471.

وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: «أتيتُ النَّبيَّ بوضوءٍ، فحرَّكَ رأسَه، و عَضَّ على شفتَيْهِ ! قُلتُ: بأبي أنت وأُمِّي، آذيتُك؟ قالَ: لا.. »[1].

ففي الحديث الأول استخدم بعض أصابعه ليبين للسائل علاقة بعثته بالساعة، وفي الحديث الثاني أشار إلى العلاقة بين المسلم وأخيه، واستخدامه أصابع اليدين وشبكها، وفي الحديث الثالث إشارته باليدين للتعبير عن ما يريد أن يقوله في ما يتعلق بأحكام الصيام، وفي الحديث الرابع يشير فيه صلى الله عليه وسلم عن ما سأله أبو ذر الغفاري رضي الله عنه.

الوسيلة الثانية: الرسم والخط:

كان صلى الله عليه وسلم يستخدم خطوطا ورسومات، ليسهل على المتلقي أن يفهم بشكل سريع ما يعتبره المتلقي من قبيل التعقيد فيوضحه صلى الله عليه وسلم بأسلوب جميل، مستخدما في ذلك أدوات ووسائل تساعد المتلقي على أن يفهم المراد بشكل سريع.

فاستعمال الوسائل التطبيقية ترسخ في ذهن السامع ما يريد أن يقوله المعلم باستعمال الألفاظ، بل الفعل أقوى مما يتلفظ به، روى الإمام البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: « خَطَّ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ خَطًّا مُرَبَّعًا، وخَطَّ خَطًّا في الوَسَطِ خَارِجًا منه، وخَطَّ خُطَطًا صِغَارًا إلى هذا الذي في الوَسَطِ مِن جَانِبِهِ الذي في الوَسَطِ، وقَالَ: هذا الإنسان، وهذا أجلهُ مُحِيطٌ به - أوْ: قدْ أحَاطَ به - وهذا الذي هو خَارِجٌ أمَلُهُ، وهذِه الخُطَطُ الصِّغَارُ الإعراض، فإنْ أخطَأَهُ هذا نَهَشَهُ هذا، وإنْ أخطَأَهُ هذا نَهَشَهُ هذا» [2].

ففي هذا الموقف الذي استعمل فيه هاته الوسيلة التعليمية أراد صلى الله عليه وسلم أن يبين علاقة الإنسان بالمتغيرات: الأجل، والأمل، والأعراض، فرسم لهم هذا الخط المربع.

---

(1) الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل، تحقيق: محمد فواد عبد الباقي، دار المطبعة السلفية ومكتبتها-القاهرة-سنة النشر 1375 رقم الحدث: 954ص247.
(2) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب الرقائق، رقم الحديث 6417ص1599.

المبحث الثالث: السؤال والجواب في التعليم النبوي

إن النبي صلى الله عليه وسلم كان حريصا أشد الحرص على إيصال العلم وتبليغ الدين الذي أنزله عليه سبحانه وتعالى، وهذا لا يكون إلا بطرح السؤال والبحث عن الحواب، فبلغ صلى الله عليه وسلم الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في حق جهاده حتى أتاه اليقين، فأكمل طريقه صحابته رضوان الله عليهم، الذين كانوا بمثابة الواسطة التي نقل منها هذا الدين الحنيف لمن أتى بعدهم من التابعين...

المطلب الأول: القيمة الوظيفية للسؤال والجواب

إن الرسالة التي جاء بها صلى الله عليه وسلم لم يجعلها سردا تاريخا يلقى على مسامع الحاضرين، بل كانت علاقة تفاعل مع الأحداث وتبيانا للمشكلات، فكان التشارك أصلا من أصول التفاعل في البلاغ والتعليم لهذا الدين العظيم، الذي جاء فاتحا لكل الخيرات مغلقا لكل الشرورات، فكان صلى الله عليه وسلم يسهم في الإشراك التفاعلي في تعليمه صحابته أمور دينهم ودنياهم، فيتلقى السؤال ويجيب عليه، وأحيانا كان يضع الإشكال ويترك المجال للاستكشاف، وتصحيح الأفهام بدور الإنسان العقال الذي أكرمه الله بالسؤال فوجد الجواب عند خير الأنام، فكان ممن جال ونال الفوز بصحبة خير العباد، صلوات ربي وسلامه عليه.

وإن للسؤال مزايا عظيمة ومكانة رفيعة، لاستشرافه معالم الهدي، وسبكه المسالك العلا، إرشادا وتوجيها وتصحيحا وتوفيقا.

لقد تنوعت وظائف السؤال في تعليمه صلى الله عليه وسلم للصحابة البررة الكرام، وهذا جلي وواضح في مواقفه المتعددة، في الأطراف والأبعاد للسؤال النبوي الذي من خلاله يتعلم صحابته أمور دينهم ودنياهم، وأهم الوظائف التي ركز عليها السؤال في التعليم النبوي ما يلي:

الوظيفة الأولى: وظيفة التهييئ والتشويق:

فتهيئ المتعلم بأسلوب يغلب عليه مبدإ التشويق ومبدإ الترويج، لقيمة ما يمكن أن يتعلمه المتلقي، وجعلها في صورة إبداعية تلفت الأنظار، وتلتف حول الأفكار والأشواق، أمر

مطلوب ومرغوب فيه، وخاصة تلك الصور البلاغية التي تحبب العلم شكلا ومضمونا، وهذا كثير في التعليم النبوي فنجده صلى الله عليه وسلم يأتي بصيغة استفهامية تدغدغ العقول، وتحفز الفهوم، وتصنع العقول، وتتعلق بها القلوب لمعرفة عين المفهوم، وهذا ما عناه صلى الله عليه وسلم في سؤاله لأبي ذر رضي الله عنه عندما قال له: أين تذهب الشمس؟.

روى أبو ذر الغفاري رضي الله عنه قال: «كُنْتُ مع النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في المَسْجِدِ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَقالَ: يا أبَا ذَرٍّ أتَدرِي أينَ تَغْرُبُ الشَّمْسُ؟ قُلتُ: اللَّهُ ورَسولُهُ أعلم، قالَ: فإنَّهَا تَذْهَب حتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ العَرْشِ، فَذلكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرّ لَهَا ذلكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيم﴾ »[1].

وسؤاله لمعاذ بن جبل رضي الله عنه عن حق الله على عباده، وحق العباد عليه سبحانه؟، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «كُنْتُ رِدْفَ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ علَى حِمارٍ، يُقالُ له: عُفَيْرٌ، قالَ: فقالَ: يا مُعاذُ، تَدْرِي ما حَقُّ اللهِ علَى العِبادِ؟ وما حَقُّ العِبادِ علَى اللهِ؟ قالَ: قُلتُ: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: فإنَّ حَقَّ اللهِ علَى العِبادِ أنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ، ولا يُشْرِكُوا به شيئًا، وحَقَّ العِبادِ علَى اللهِ عزَّ وجلَّ أنْ لا يُعَذِّبَ مَن لا يُشْرِكُ به شيئًا، قالَ: قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، أفَلا أُبَشِّرُ النَّاسَ، قالَ: لا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا. »[2]

ونحو هذا من الأسئلة التي كان يطرحها صلى الله عليه وسلم، فلعل الهدف منه الإثارة والتشويق.

الوظيفة الثانية: وظيفة الإغراء والحث:

فالنبي صلى الله عليه وسلم كان أحيانا الغرض من سؤاله لصحابه، هو الحث والإغراء من أجل الاجتهاد والإقبال على كل عمل صالح يحبه الله ويرضاه، ويدخل صاحبه إلى جنات الجنان، جاء في الحديث الذي رواه حارثة بن وهب الخزاعي قال: قال رسول الله صلى الله

(1) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب التفسير رقم الحديث 4802ص1208.

(2) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج1 كتاب الإيمان رقم الحديث 30ص58.

عليه وسلم: «أَلا أُخْبِرُكُمْ بأَهْلِ الجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ، لو أقْسَمَ علَى اللَّهِ لَأَبَرَّه، ألا أُخْبِرُكُمْ بأَهْلِ النَّارِ: كُلُّ عُتُلٍّ، جَوّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ» (1).

وفي حديث آخر: عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ألا أخبرُكم بخَيرِ النَّاسِ؟ رجلٌ مُمسِكٌ بعَنانِ فرسِهِ في سبيلِ اللَّهِ. ألا أخبرُكمبالَّذي يَتلوهُ؟ رجلٌ معتزِلٌ في غُنَيْمةٍ يؤدِّي حقَّ اللَّهِ فيها. ألا أخبرُكم بِشرِّ النَّاسِ؟ رجلٌ يُسأَلُ باللَّهِ ولا يُعطي بِهِ»(2).

وهكذا كان يسألهم ويضع عليهم السؤال صلى الله عليه وسلم، من أجل أن يحفزهم ويزرع في قلوبهم محبة الأشياء التي تقرب العبد إلى ربه، وهذا لا يكون إلا بالنظر في الأعمال التي يتوصل بها العبد إلى لقاء ربه والفوز بالدار الآخرة.

الوظيفة الثالثة: وظيفة التحذير والتنبيه:

يسأل صلى الله عليه وسلم أحيانا من أجل أن يبين لهم، ويوضح لهم بعض الأمور التي يمكن أن تأخذ بيد صاحبها إلى عمل غير مرجو فيها، يعود عليه بالهلاك والعذاب والعياد بالله، فكان ينبههم من الوقوع في الشيء المحظور من خلال سؤاله لهم، فمثلا يحذرهم صلى الله عليه وسلم من كل عمل فيه رياء، أو من قبيل الكبائر، فعن عبد الرحمان بن أبي بكرة، عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ألا أخبِرُكُمْ بأكبر الكَبائِرِ قالوا: بَلَى يا رَسولَ اللَّهِ، قالَ: الإشراك باللَّهِ، وعُقُوقُ الوالِدَيْنِ. حَدَّثَنا مُسَدَّدٌ: حَدَّثَنا بشْرٌ، مِثْلَهُ، وكانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ، فقالَ: ألا وقَوْلُ الزُّورِ فَما زالَ يُكَرِّرُها حتَّى قُلْنا لَيْتَهُ سَكَتَ». (3)

الوظيفة الرابعة: وظيفة الإنكار:

استخدم صلى الله عليه وسلم السؤال في سياق الإنكار، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «خرجَ علَينا رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ ونحنُ نتَنازعُ في القَدرِ فغَضبَ حتَّى احمرَّ وجهُهُ،

(1) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب التفسير رقم الحديث 49188ص1246.

(2) سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الترمذي، تحقيق: رائد صبري دار الحضارة -الرياض-، ط2 1436هـ-2015م، كتاب فضائل الجهاد رقم الحديث 1652ص348.

(3) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب الاستئذان رقم الحديث 6273ص1566.

حتَّى كأنَّما فُقِئَ في وجنتيهِ الرُّمَّانُ، فقالَ: أَبِهَذا أمرتُمْ أم بِهَذا أُرسلتُ إليكم إنَّما هلَكَ من كانَ قبلَكُم حينَ تَنازعوا في هذا الأمر، عزَمتُ عليكم ألا تتَنازَعوا فيهِ »[1].

الوظيفة الخامسة: التقرير:

كان صلى الله عليه وسلم يسأل ويريد به التقرير، فعلى سبيل المثال: لما وجد بعض الناس حريصون على الأعمال الخيرية، لكن هناك عوامل اجتماعية لا تسعفهم على المنافسة في أعمال الخير مثل الآخرين، فقرر لهم النبي صلى الله عليه وسلم أبوابا ينافسون فيها أولئك الأغنياء، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: «أنَّ نَاسًا مِن أصحاب النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ قالوا للنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: يا رَسولَ اللهِ، ذَهَبَ أهل الدُّثُورِ بالأجور، يُصَلُّونَ كما نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كما نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بفُضُولِ أَمْوالهمْ، قالَ: أوليسَ قدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ ما تَصَّدَّقُونَ؟ إنَّ بكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأمر بالمَعروفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عن مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وفي بُضْعِ أحدكُمْ صَدَقَةٌ، قالوا: يا رَسولَ اللهِ، آياتي أحدنَا شَهْوَتَهُ وَيَكونُ له فِيهَا أَجْرٌ؟ قالَ: أَرَأيتُمْ لو وَضَعَهَا في حَرَامٍ أَكانَ عليه فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذلكَ إذا وَضَعَهَا في الحَلَالِ كانَ له أَجْرٌ » [2].

الوظيفة السادسة: وظيفة التعلم:

كان صلى الله عليه وسلم يسأل ويريد بذلك التعلم من أجل أن يدفع بهم بسؤاله هذا إلى البحث عن الجواب، مستعملين الأدوات العقلية في التعامل مع النصوص الشريعة، واستنباط ما يمكن استنباطه، والسؤال في هذه الحالة إما أن يكون لجماعة من الصحابة، أو سؤال خاص للبعض، فعندما يريد به ثلة من الناس يستعمل الأسلوب الجمع، مثل: «أينقص الرطب إذا جف؟»، مع العلم أن من البدهي كل البداهة أنه صلى الله عليه وسلم كان عالما أن الرطب ينقص إذا يبس، فهو يعيش في قلب جزيرة العرب بلاد التمر والرطب،

---

(1) سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الترمذي، تحقيق: رائد صبري دار الحضارة -الرياض-، ط2 1436هـ-2015م، كتاب القدر، رقم الحديث 2133ص427.

(2) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج1 كتاب الزكاة رقم الحديث 1006ص697

وذلك أمر لا يخفى على أقل الناس، لكنه صلى الله عليه وسلم سألهم هل ينقص التمر إذا يبس؟ لينبه أصحابه وتابعيه إلى أن علة النهي عن بيع الرطب بالتمر هي نفسه عند يبسه[1].

وفي سؤال آخر: يقول صلى الله عليه وسلم: «أرأيتم لو وضعها في حرام؟ «، وهكذا

وعندما يريد توجيه السؤال لشخص معين يستعمل الأسلوب الإفراد مثل سؤاله للأعرابي: «أرأيت الليل الذي قد ألبس كل شيء؟ فأين جعل النهار؟.... «، وهكذا.

فالهدف من هذا كله أن يشغل بهذا السؤال ذهن المتلقي دون أن يخبره بالجواب حتى يستطيع إعمال عقله، للبحث عما يمكن أن يستشفه ويستنبطه المتلقي، ثم عندما يعرضه له يبين له صلى الله عليه وسلم الجواب الشافي الكافي، صلوات ربي وسلامه عليه.

المطلب الثاني: سؤال الفاعلية في التعليم النبوي

إن التعامل مع السؤال لشحذ الهمم وإفراغ ما في المكنونات من قدرات ومهارات وخبرات، قد جسده رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو القدة الحسنة في تعامله مع الأسئلة التي كان يلقيها على مسامعه الصحابة الكرام او العكس، فيتعامل معها صلى الله عليه وسلم تعاملا فاعليا تشاركيا وإبداعي، وهذا ما سنقف عليه من خلال تركيزنا على النقاط الآتية:

1. الإبهام في الجواب مظنة للسؤال:

كان صلى الله عليه وسلم يجيب في بعض المواقف بلغة الإبهام حتى تبادر إلى ذهن السامع على أن الكلام يحتاج إلى تفسير يوضح هذا الإبهام، فيتطلب آنذاك تكرار السؤال ليصل إلى الجواب بأساليب متكاملة إشراكية من خلال التحفيز وإعادة السؤال ليتوسع مفهوم الجواب، فكثير من السؤال يوصلك إلى فحوى الخطاب، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « مُرَّ بجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقالَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَمُرَّ بجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا شَرًّا، فَقالَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، قالَ عُمَرُ: فِدًى لكَ أَبِي وَأُمِّي، مُرَّ بجَنَازَةٍ، فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرٌ، فَقُلْتَ: وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَمُرَّ بجَنَازَةٍ، فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا شَرٌّ، فَقُلْتَ: وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ؟ فَقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّ

(1) الرسول المعلم وأساليبه في التعليم، د. عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية بيروت-لبنان، ط1 1417هـ-1996م، ص112.

هُ عليه وَسَلَّمَ: مَن أَثْنَيْتُمْ عليه خَيْرًا وَجَبَتْ له الجَنَّةُ، وَمَن أَثْنَيْتُمْ عليه شَرًّا وَجَبَتْ له النَّارُ ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ في الأرض، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ في الأرض، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ في الأرض»[1]

قال الإمام النووي: «وفي هذا الحديث استحباب توكيد الكلام المهتم بتكراره ليحفظ وليكون أبلغ»[2].

وفي موقف آخر: روى أبو هريرة رضي الله عنه أنَّ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قَالَ«: يَضْحَكُ اللَّهُ إلى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أحدهُما الآخر يَدْخُلَانِ الجَنَّةَ: يُقَاتِلُ هذا في سَبيلِ اللَّهِ، فيُقْتَلُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ علَى القَاتِلِ، فيُسْتَشْهَدُ»[3].

فيستشف من خلال وقوفنا على هذين النصين أن النبي صلى الله عليه وسلم استعمل أسلوب الإبهام، لأن استخدامه لهذا الأسلوب يوحي إلى أنه ينبغي البحث عن الجواب الكافي بأدوات أخرى، والتي قصد بها إعادة السؤال على النبي صلى الله عليه وسلم من أجل أن يوضح لهم المقصود من كلامه أكثر، فبلغة التشارك العقلاني واستفراغ ما فيه عن طريق السؤال والبحث عن الجواب شرح لهم النبي صلى الله المعنى الذي كان يقصده، وفهم الصحابة آنذاك مقصوده وأصبح بذلك هذا الموقف من الأمور المترسخة في الذهن، لكثرة حرصهم على ما معرفة مقصود كلامه صلى الله عليه وسلم، ووصلوا بذلك إلى المطلوب.

2. الموسوعية الأخلاقية في التواصل:

كان صلى الله عليه وسلم يستم بسعة صدره وترحابه، كل ما يصدر منهم من استفسارات يريدون الإجابة عنها، فنترك المجال لصاحب سر رسول الله يقص لنا موقفا تربويا، يوضح فيه اتساع صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسئلة الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، عن حذيفة بن اليمان قال: «كانَ النَّاسُ يسألونَ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عَنِ الخَيْرِ، وكُنْتُ أَسْأله عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ يا رَسولَ اللَّهِ إنَّا كُنَّا في جَاهليَّةٍ وشَرٍّ، فَجَاءَنَا

(1) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج1 كتاب الجنائز رقم الحديث 1367ص330.

(2) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج يحيى بن شرف النووي، دار مؤسسة قرطبة، ط2 1414هـ-1994م، ج7ص27.

(3) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب الجهاد والسير، رقم الحديث 2826ص699.

اللَّهُ بهذا الخَيْرِ، فَهلْ بَعْدَ هذا الخَيْرِ مِن شَرٍّ؟ قالَ: نَعَمْ قُلتُ: وهلْ بَعْدَ ذلكَ الشَّرِّ مِن خَيْرٍ؟ قالَ: نَعَمْ، وفيهِ دَخَنٌ قُلتُ: وما دَخَنُهُ؟ قالَ: قَوْمٌ يَهْدُونَ بغيرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ منهمْ وتُنْكِرُ قُلتُ: فَهلْ بَعْدَ ذلكَ الخَيْرِ مِن شَرٍّ؟ قالَ: نَعَمْ، دُعَاةٌ إلى أبوابِ جَهَنَّمَ، مَن أَجَابَهُمْ إليها قَذَفُوهُ فِيهَا قُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا؟ فَقالَ: هُمْ مِن جِلْدَتِنَا، ويَتَكَلَّمُونَ بأَلْسِنَتِنَا قُلتُ: فَما تَأمرُنِي إنْ أدرَكَنِي ذلكَ؟ قالَ: تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ وإمَامَهُمْ، قُلتُ: فإنْ لَمْ يَكُنْ لهمْ جَمَاعَةٌ ولَا إمَامٌ؟ قالَ فَاعْتَزِلْ تِلكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، ولو أَنْ تَعَضَّ بأَصْلِ شَجَرَةٍ، حتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وأَنْتَ علَى ذلكَ"(1).

3. الاعتناء بالسائل:

كان صلى الله عليه وسلم من عادته أنه يعتني بالسائل الذي يسأل في أمور دينه ودنياه، فهذا فيه إشارة على اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بالسائل، فيفتح له بذلك آفاق التواصل، والسؤال عن بعض الإشكالات التي وجدها غير واضحة عنده، فيجد الجواب الكافي والشافي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، جاء في الحديث أن صفوان بن يعلى بن أمية، يعني عن أبيه: «أنَّ رَجُلًا أتى النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وهو بالجِعْرَانَةِ، وعليه جُبَّةٌ وعليه أثر الخَلُوقِ - أوْ قالَ: صُفْرَةٌ -، فَقالَ: كيفَ تَأمرُنِي أنْ أصْنَعَ في عُمْرَتِي؟ فأنزل اللَّهُ علَى النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَسُتِرَ بثَوْبٍ، ووَدِدْتُ أنِّي قدْ رَأيتُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وقدْ أنزل عليه الوَحْيُ، فَقالَ عُمَرُ: تَعَالَ أيسُرُّكَ أنْ تَنْظُرَ إلى النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وقدْ أنزل اللَّهُ عليه الوَحْيَ؟ قُلتُ: نَعَمْ، فَرَفَعَ طَرَفَ الثَّوْبِ، فَنَظَرْتُ إليه له غَطِيطٌ، - وأَحْسِبُهُ قالَ: كَغَطِيطِ البَكْرِ - فَلَمَّا سُرِّيَ عنْه قالَ: أينَ السَّائِلُ عَنِ العُمْرَةِ أخلَعْ عَنْكَ الجُبَّةَ، واغْسِلْ أثر الخَلُوقِ عَنْكَ، وأَنْقِ الصُّفْرَةَ، واصْنَعْ في عُمْرَتِكَ كما تَصْنَعُ في حَجِّكَ»(2).

إن فاعلية السؤال لا تظهر قيمها وآثارها الإيجابية في شخصية المتعلم أثناء الحديث، بل تنموا بشكل متدرج إلى أن يصير المتعلم إلى المستوى المرغوب، فعندما يحس بأن المربي يعير له العانية الخاصة، والمكانة الرفيعة، تصورا وتشخيصا، فإعطاء الفرصة بالسماح له بالسؤال عما يراود في ذهنه من إشكالات تحتاج إلى البيان وتحسيسها بان السؤال عنها

(1) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب المناقب، رقم الحديث 3606ص887.

(2) المصدر نفسه: كتاب العمرة رقم الحديث 1789 ص431.

هو مفتاح الجواب، فالأمر بالسؤال والعناية بالسائل وتشجعيه على السؤال المفيد، ووجود قلب يستم بسعة صدر رحب لبعض الهفوات التي يمكن أن تصدر عنه بقصد أو عن غير قصد وتحيد به عن الصواب، فالشعور الوجودي القيمي والوظيفي له أثره البليغ في نفسية المتعلم، ولا يزيده هذا وذاك إلا إصرارا وحماسا لاقتحام غمار الحياة، والأخذ بزمام الأمور حتى يتحقق المطلوب.

ومن العوامل الأساسية في الفاعلية التعليمية لدى المتعلم تركيزه: عن كيفية ضبط وترشيد فاعلية التي تحقيق التعلم وتصل إلى المطلوب، فكان صلى الله عليه وسلم يصرف عقل السائل أحيانا إذا سال عن الأمور التي لا فائدة منها ترجى، أو عن أمر لا يترتب عليه عمل، فإنه يأخذه وينقله إلى ما يعنيه، ذات يوم سأله رجل فقال له يا رسول الله متى الساعة؟ قاصدا بذلك قيام الساعة، فيصرفه صلى الله عليه وسلم ويجبيه ماذا أعددت لها؟، فيقول: لا شيء يا رسول الله، إلا أنني أحب الله ورسوله، فيجيبه صلى الله عليه وسلم أنت مع من أحببت، وهكذا كان يتعامل صلى الله عليه وسلم عندما يكون مضمون السؤال في محل فيصرفه النبي صلى الله عليه وسلم إلى ما هو أنفع له في الدنيا والآخرة. فكان صلى الله عليه وسلم يراعي العقول والأفهام، فيجيب على حسب ما يقتضيه المقام.

فالتعليم عنده صلى الله عليه وصلى كان يهدف إلى ربط العلاقة الإيمانية بين الخالق والمخلوق في جميع مستوياتها، وهذا متوقف على إصلاح النفوس وتهذيبها بواسطة العلم الشرعي الذي يأخذ بناصيتها إلى عين الصواب، نجده صلى الله عليه وسلم يعتنى بتربية الصحابة -رضوان الله عليهم- على العمل بالعلم، فكان يأمر بسؤال الله العلم النافع، ويشبه لهم العلم الذي لا ينفع بالكنز الذي لا ينفق منه، عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: « مَثَلُ الَّذي يتعلَّمُ العِلمَ ولا يُحدِّثُ به كمَثَلِ الَّذي يكنِزُ الكنزَ فلا يُنفِقُ منه»[1].

ونخلص من كل ما سبق إلى أن غاية السؤال في التعليم النبوي هو تحويل المتلقي إلى مرحلة العنصرية البشرية الفاعلية المشارك في الموقف التعليمي والممارس للتعلم، وهذا ما

---

(1) جامع بيان العلم وفضله، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي، تحقيق: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي – الدمام، ط1 1414 - 1994 ج1 رقم الحديث: 774ص489.

تحوم حوله الآن النظريات التربوية المعاصرة، وهي جعل المتعلم في قالب العملية التعليمية التعلمية.

الفصل الرابع

أثر المنهج النبوي
في منهاج التربية الإسلامية

المبحث الأول: السياق التاريخي لمنهاج التربية الإسلامية

المبحث الثاني: التربية الإسلامية في المنهاج الجديد

المبحث الثالث: دارسة في الهندسة المنهاجية (منهاج التربية الإسلامية)

المبحث الرابع: أثر المنهج النبوي في التربية الإسلامية

المبحث الأول: السياق التاريخي لمنهاج التربية الإسلامية

المطلب الأول: الإصلاح التعليمي للمناهج ما قبل الدولة العلوية

اهتمت الممالك في بلدنا الحبيب بمناهج التعليم ومقرراته ابتداء من العهد المريني، حيث عمل يوسف بن عبد المومن باعتباره أنه كان شغوفا بالفلسفة حرص على إحياء علومها وشجع أهلها بالالتفاف إليها[1].

وفي السياق نفسه ذكر عبد الواحد المراكشي أن يعقوب المنصور دعا إلى الأخذ بالكتاب والسنة متجها إلى إظهار مالم يفعله أبوه وجده، لقد أمرا بالانقطاع عن الفروع وعدم الاشتغال بعلم الرأي والخوض في شيء منه، وتوجه إلى تغيير مقررات فاستبعد مدونات فقهية، كمدونات سحنون، وكتاب ابن يونس، ونودر ابن أبي زيد..، وأمر جماعة من العلماء بجمع أحاديث من المنصفات العشرة: الصحيحين، والترمذي، والموطأ، وسنن أبي داوود، وسنن النسائي، وسنن البزار، ومسند ابن أبي شيبة، وسنن الدارقطني، وسنن البزار، وسنن البيهقي، في الصلاة وما يتعلق بها على نحو الأحاديث التي جمعها محمد بن تمارت في الطهارة، واعتمد في المغرب هذا المجموع واتخذ مقررا دراسيا[2].

وفي العهد المريني نجد كذلك الدعوة إلى إعادة صياغة جديدة للمناهج التعليمية على خلاف ما كان قبل، ففي مجال العقيدة على سبيل المثال: نجد أن أبا الحسن المريني كان يقرأ بين يديه كتاب الإرشاد لإمام الحرمين، وكان يصغي لما يلقى من أدلة أهل السنة وبيان مذهبهم، يعني الأشاعرة ولا يلفت للكتب الأخرى، وهذه إشارة واضحة أن العهد المريني كذلك دعا إلى إعادة النظر في المناهج التعليمية[3].

(1) كتاب التعاشيب، عبد الله كنون الحسني، دار الكتب العلمية بيروت، سنة الطبع: 2015ص98.
(2) المعجب في تلخيص اخبار المغرب، عبد الواحد بن علي المراكشي، تحقيق: محمد سعيد العريان، ومحمد العربي العلمي، دار الاستقامة -القهارة-، ط: 1 سنة النشر: 1368هـ-1949م، ص279.
(3) ورقات عن حضارة المرينيين، محمد المنوني، دار النجاح -الدار البيضاء-المغرب، ط3 1420هـ-2000م، ص153.

وفي مجال العلوم نجد هذا جليا وواضحا، بالاهتمام الخاص الذي حظيت به علوم الرياضيات، ففي هذه الحقبة الزمنية التي اعتبرت مشعل النهضة والتي رسمت للعهد المريني طريقا منيرا في مجال العلوم الذي قل نظيره آنذاك[1].

وفي الحقبة التي تجسدها العهد السعدي الذي اختار قاعدة حكمه هي جنوب المملكة، اهتم بإصلاحات في مجال التعليم، ووجدت هذه المنطقة نفسها فاعلة ومشاركة في إعادة صياغة المناهج التعليمية بنظرة شرعية أصيلة لمنهاج التربية الإسلامية، وهذا الأثر جلي لكل من زار مناطق جنوب المغرب على سبيل المثال يجد الآثار التعليمية لا من حيث المناهج، ولا من حيث المضامين، التي رسمتها هذه الحقبة الزمنية في قلوب المواطنين المغاربة من تأصيل شرعي متين، عالج مشاكلهم وأنتج جيل لا يستهان به من الشباب المغاربة الذين هم في صدارة القيادة العلمية، وهذا الأثر لا يمكن أن يظهر على هذه الشاكلة لو لم يكن الإصلاح الحقيقي لمنهاج التربية الإسلامية، قام أصحابه بتنزيله على أرض الواقع وهذا راجع على ما أعتقد إلى الخطة الاستراتيجية التعليمية التي هدفت إلى ببناء منهج تعليمي يوافق الخصوصيات الزمانية والمكانية، ويسهم في حل الإشكالات وهموم الموطنين، لأنه اتضح للدولة السعدية أن منهج التربية الإسلامية هو الحاكم الأساسي بين الشعب والسطلة الحاكمة، ولذلك ركزت عليه كثيرا بغرس قيم الهوية الإسلامية والوطنية، والاعتزاز بالوطن، وأهل العلم والعاملين فيه.

المطلب الثاني: منهاج التربية الإسلامية في العهد العلوي

لعل هذ العصر أكثر العصور التي اعتنت بإصلاح المناهج التعليمية في بلادنا، وخاصة التربية الإسلامية التي تسجد روح المغاربة، وهي رمز الوحدة بين الشعوب والحاكم، نظرا للظروف المتغيرة في العالم والتي تستدعي المواكبة والانفتاح، والتشبث بالقيم الدينية الإسلامية الأصلية، فحرص سيدي محمد بن عبد الله على إصلاح ما يمكن إصلاحه في الجانب التعليمي، وفي تجديد المقررات الدراسية بجلب بعض المصادر الفقهية وتدريسها للناشئة، مثل: مسانيد الأئمة الثلاث: الإمام الشافعي، والإمام أحمد، والإمام أبو حنيفة رحمة الله على الجميع، كان سيدي محمد بن عبد الله في العلوم بحرا لا يجاريه، وفي التحقيق والمعارف لا

(1) كتاب التعاشيب، عبد الله كنون الحسني، دار الكتب العلمية بيروت، سنة الطبع: 2015ص98.

يماري لا سيما علم الحديث، ومن ذلك جلبه من المشرق كتبا نفيسة لم تكن بالمغرب، فكان محبا للعلم وأهله، ودعا الفقهاء إلى شرح مؤلف الصاغاني: النسخة البغدادية، ومشارق الأنوار....

ورتب لذلك وقتا لسرد الحديث النبوي الشريف، وكان رحمه الله يتأسف كثيرا ويقول: والله لقد ضيعنا في البطالة تحسرا على ما فاته من تحصيل العلوم أيام شبابه.

ومن بين توجهاته السامية أن لا يشتغل طلبة العلم بقراءة المختصرات الفقهية وغيرها، واعتبرها تضييع للأعمار في غير طائل، بل ينبغي الرجوع إلى الأمهات المبسوطة[1].

وقد قدم نموذجا للمقرر الدراسي الابتدائي في كتابه «مواهب المنان بما يتأكد على المعلمين تعليمه للصبيان»، فعرض فيه ما يتعين تعليمه للمبتدئين من أحكام الاعتقاد والفقه، في أسلوب ميسر ومختصر، وإلى جانب هذا فقد وضع سيد محمد بن عبد الله نظاما شاملا للتدريس بجامع القرويين [2].

وكذلك اهتم سيدي محمد بن عبد الرحمان بإصلاح برامج التعليم الديني بالقرويين، فأدمج فيه مواد مثل: الحساب والهندسة والفلك..

وفي الفترة التي تسلم فيها مقاليد الحكم مولى سليمان العلوي قام بعدة إصلاحات، فدعا إلى إصلاح التعليم، فكانت توجهاته السامية إلى علماء فاس وطلب منهم شرح الأربعين النووية، ومن آرائه أن يعود الناس إلى دراسة الكتب التي كانت معتمدة في الدراسة مثل: المختصرات الفقهية عكس ما دعا إليه سيدي محمد بن عبد الله.

وأكبر مشروع إصلاحي هو الذي قام به مولا يوسف الشريف من أجل الدراسة بالقرويين، فكلف محمد بن الحسن الحجوي نائب الصدر الأعظم في المعارف بإنجاز برنامج لإصلاح التعليم بالقرويين وذلك سنة 1332، وشكل لذلك مجلسا بعضوية عشرة من العلماء انتخبوا بين علماء القرويين وسمي هذا المجلس بالمجلس التحسيني، وعمل هذا المجلس على

(1) الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية، محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي، تحقيق ادريس بهليلة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1 2005م ص20.

(2) ثلاثة قرون وعشر سنوات من تاريخ الدولة العلوية، عزيز سلام، منشورات وزارة الانباء المغربية، ص64.

إنجاز برنامج شامل لتطوير الدراسة بالقرين وشكل هذا البرنامج نهضة تعليمية حقيقية لولا تدخلات الاستعمار التي قللت من فاعليته[1].

وفي عهد جلالة الملك الراحل محمد الخامس طيب الله ثراه، أمر بإصلاح التعليم الديني وفق رؤية إصلاحية فريدة من نوعها، بإدخاله مفهوم النظام وتوزيع مراحل التعليم إلى ثلاث مستويات: ابتدائية وثانوية ونهائية، وفي التعليم الجامعي فتح مسارين: شرعي وأدبي[2].

وفي سنة 1929 واكب رحمه الله جهود الإصلاح والتحديث الرسمية ما قامت به كتلة العمل الوطني، وبعده بسنوات قليلة تضمن برنامج الإصلاحات الذي تقدمت به كتلة العمل الوطني جزء تحدث عن تخصيص وقت لتدريس اللغة العربية والثقافة الإسلامية، والتاريخ العربي، والجغرافيا المغربية في جميع المدارس المغربية العامة والخاصة.

وفي عهد الملك الحسن الثاني شهد التعليم عموما تحولا نوعيا، حيث أصدر جلالته أمره السامي القاضي بإعادة تنظيم جامعة القرويين، تنزيلا جديدا سنة 1969، وأمر بإنشاء دار الحديث الحسنية، وجعلت الدراسات فيهما وفق نظام معين.

وفي العهد الحالي لجلالة الملك محمد السادس نصره لله وأيده يعتبر بمثابة التكميل الإصلاحي الذي رسمه جلالة المغفور له الحسن الثاني، حيث واصل جلالته بالإصلاح وإصدار العديد من الظهائر المنظمة للتعليم الديني بمختلف مستوياته، وآخرها الظهير الشريف الذي صدر بمدينة العيون بتاريخ 26ربيع الثاني 1437 موافق 06 فبراير 2016، الذي دعا فيه جلالته على ضرورة مراجعة مناهج، وبرامج مقررات تدريس التربية الاسلامية -(الدينية)-، سواء في المدرسة العمومية، أو التعليم الخصوصي، أو مؤسسات التعليم العتيق. وذلك بهدف إعطاء أهمية أكبر للتربية على القيم الإسلامية السمحة، وفي صلبها المذهب المالكي السني، الداعية إلى الوسطية والاعتدال، وإلى التسامح والتعايش مع مختلف الثقافات والحضارات الإنسانية. كما شدد جلالته على أن ترتكز هذه البرامج والمناهج التعليمية على القيم الأصيلة للشعب المغربي، وعلى عاداته وتقاليده العريقة القائمة على

(1) المغرب والاستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية، البير عياش، ترجمة: عبد القادر الشاوي ونور الدين سعودي، دار الخطابي سنة الطبع: 1985، ص367.
(2) دعوة الحق، العدد366 ابريل 2002 ص27.

التشبث بمقومات الهوية الوطنية الموحدة والغنية بتعدد مكوناتها، وعلى التفاعل الإيجابي والانفتاح على مجتمع المعرفة وعلى مستجدات العصر[1].

(1) منهاج التربية الإسلامية بسلكي التعليم الثانوي الاعدادي والتأهيلي، مديرية المناهج الرباط، يونيو 2016.

المبحث الثاني: التربية الإسلامية في المنهاج الجديد

إن معرفة الأحوال الشخصية وفهمها، يساعد في معرفة التعامل مع الناس والتأثير عليهم، كما يعين على وضع المناهج المناسبة المتوافقة مع مستوى المتربين الزمني والإدراكي، وتساعد في عملية التوجيه والإرشاد[1].

والتربية الإسلامية تمثل المنهج الذي يحقق الجانب العلمي للتشريع الإسلامي، لأن الشريعة ليست قاصرة على الجانب المعرفي فقط، بل تشمل الجانب التطبيقي، والعلم سبيل لتحقيقه، فبذلك تكون التربية الإسلامية قادرة على تلبية حاجات الإنسان الدينية والدنيوية، في جلب المصالح ودرء المفاسد عنه.

وبناء عليه عرف منهاج مادة التربية الإسلامية، بداية من الموسم الدراسي 2017/2016، تغييرا على مستوى الهندسة المنهاجية، حيث تأسس على فلسفة جديدة، متخذا على مستوى هندسته تنظيما عموديا للمعرفة الشرعية اصطلح عليه بالمداخل.

كما اعتبر القرآن الكريم المقرر في كل سنة، مؤطرا لدروس المداخل التي اعتبرها متكاملة في بناء مفاهيم المادة. أما المقاربة بالكفايات فاعتبرها المنهاج نموذجا معرفيا في بناء التعلمات، فتحت نقاشا واسعا تناول طبيعة مداخله ومفرداته، والمقاربات الديداكتيكية الملائمة لتنزيله.

المطلب الأول: مقاصد التربية الإسلامية في المنهاج

تهدف التربية الإسلامية إلى تأهيل الإنسان لبلوغ مرتبة التوحيد الحق، القائم على إخلاص العبودية لله عز وجل، ولن يتحقق ذلك إلا من خلال تحقيق المقاصد الكلية الأربعة: (المقصد الوجودي، المقصد الكوني، المقصد الحقوقي، والمقصد الجودي) في ذهن ووجدان وسلوك المتعلم، وتمثل مقتضيات ذلك في جميع حركاته وسكناته من خلال: [2]

---

(1) أصول التربية الاسلامية، د خالد بن حامد الحازمي، دار الكتب العلمية، المدينة المنورة، ط1 1420هـ-2000، ص65.

(2) منهاج مادة التربية الاسلامية، بسلكي التعليم الثانوي الاعدادي والتأهيلي، مديرية المناهج الرباط، يونيو 2016، ص: 8.

1. تعظيم الله ومحبته ودوام الاتصال به عن طريق الاستجابة لأوامر الشرع وأحكامه، وما يتعلق بها من أحكام عملية، وتوجيهات أخلاقية قيمية. (المقصد الوجودي(

2. الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم نموذج الكمال البشري، تعبدا وسلوكا. (المقصد الكوني)

3. المواطنة الصالحة: من خلال حفظ حقوق الله عز وجل في التعظيم والتنزيه، وحق النفس في التربية والتهذيب، وتمثل حق الغير في النصح والتعايش والتكافل، وأداء حق الخلق في الرحمة والنفع. (المقصد الحقوقي(

4. اتخاذ مواقف ومبادرات إيجابية تهدف إلى تحقيق النفع العام. (المقصد الجودي)

المطلب الثاني: تعريف المدخل في اللغة والاصطلاح

مصطلح المدخل اسم مصدر لفعل دخل وجمعه مداخل، والمدخل موضع الدخول، ويقال: حسن المدخل، أي: حسن المذهب في أموره، وبراعة الوصول إلى المطلوب.

وهو من الناحية اللغوية يعني: مكان الدخول وزمانه.

وأما في الاصطلاح فقد ورد عند صفوح خير مثلا، للدلالة على الطريقة التي يسلكها الباحث حين يعالج موضوع البحث، أي النقطة التي يبدأ منها تناول الموضوع[1].

وعند محمد علي الفرا بمعنى: المسلك، ويقصد به الطريقة التي يسلكها الباحث حين يقترب أو يعالج موضوع البحث، بتعبير أدق من أي زاوية يبدأ طرق الموضوع وبما يبدأ وبماذا ينتهي[2].

(1) الجغرافيا، موضوعها، ومناهجها، وأهدافها، د. صفوح خير، دار الفكر-دمشق-، ط: 1 سنة الطبع 2000، ص83.

(2) مناهج البحث في الجغرافية بالوسائل الكمية، د. محمد على عمر الفرا، وكالة المطبوعات -الكويت، ط2، سنة النشر: 1978م، ص128.

وعليه يمكن القول بأن المدخل يقوم على التعامل مع المشكلة، بينما يقوم المنهج بمحاولة حل هذه المشكلة. وعليه فإن المدخل يمهد للمنهج في حل المشكلة فيكون المدخل هو السبب، والمنهج هو النتيجة[1].

(1) مداخل منهاج التربية الاسلامية من التصور الابستمولوجي إلى التوظيف الديداكتيكي، المهدي الرامي وحسن بوحبة، ط: 2019، ص (2327) بتصرف.

المبحث الثالث: دارسة في الهندسة المنهاجية (منهاج التربية الإسلامية)

تم بناء المنهاج الدراسي المغربي لجميع المستويات من السلك الابتدائي إلى نهاية السلك الثانوي التأهيلي، وفق المداخل الرئيسية الآتية:

التزكية، الاقتداء، الاستجابة، القسط، والحكمة.

وتشكل هذه المداخل مجالات فرعية متكاملة، تروم مقاربة مفاهيم المعرفة الشرعية لتحقيق وحدة المادة، والحفاظ على الخاصية الكلية للدين[1].

وتمثل المصطلحات الآتية: التأصيل القرآني لفلسفة المداخل في المنهاج:

1. التزكية: قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأميينَ رَسُولا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آياتهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[2].

2. الاقتداء: قال تعالى: ﴿ لقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أسوة حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخر وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[3].

3. الاستجابة قال تعالى: ﴿يَأيهَا الَّذِينَ آمنوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إذا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَأعلموا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إليه تُحْشَرُونَ﴾[4].

4. القسط: قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأنزلنا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأنزلنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾[5].

(1) مداخل منهاج التربية الاسلامية من التصور الابستمولوجي إلى التوظيف الديداكتيكي، المهدي الرامي وحسن بوحبة، ط: 2019، ص: 51
(2) سورة الجمعة الآية2.
(3) سورة الأحزاب الآية 21.
(4) سورة الانفال الآية 24.
(5) سورة الحديد الآية 25.

5. الحكمة قال تعالى: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أوتي خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إلا أولو الأَلْبَابِ﴾[1].

المطلب الأول: مدخل منهاج التزكية

إن الدلالة اللغوية والعرفية للمصطلح لا تخرج عن عنصري الإصلاح والتطهير والتنمية، وبذلك تكون عملية تطهير وتنمية شاملين، هدفها استيعاب العناصر الموهنة لإنسانية الإنسان، وما ينتج عن هذا الوهن من فساد وتخلف وخسران، وتنمية كاملة للعناصر المحققة لإنسانية الإنسان وما ينتج عن هذه التنمية من صلاح وتقدم وفلاح في حياة الأفراد والجماعات[2].

وانسجاما مع هذا المسار يمكن القول بأن أهداف منهاج التزكية يتمحور في العناصر الآتية:

1. تزكي الإنسان من مرضي الطغيان والاستضعاف.

2. تنمي فيه قيم الوسطية التي تشمل العافية والصحة النفسية والسلوكية.

3. مرتكز الوسطية هي: الاسترشاد بقيم العدل وما يتفرع منه من قيم وهذا بلا شك منبثق عن وعي الإنسان بإنسانيته وعن إحساسه بالانتماء الرباني الذي يجعله يحس بأنه محور الكائنات المخلوقة.

ثم الهدف الثاني: هو تزكية ثقافة الأمة الإسلامية التي تمنحها العافية والمتعة.

ثم الهدف الثالث: هو تنمية قيم الأخوة الإنسانية التي دعت إليه الرسالة المحمدية.

وتحقق هذه الأهداف الرئيسية له علاقة وثيقة بمحتويات المنهاج للتزكية، وأهم المكونات التي يتأسس عليه هذا المنهاج هو:

(1) سورة البقرة الآية 269.

(2) مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها، ماجد عرسان الكيلاني، عالم الكتب بيروت-لبنان-، ط1 1416هـ-1995، ص127.

أ. تزكية النفس والتي تشمل المجال العقلاني من قدرات ومهارات.. ثم التركيز على قوة المشيئة والاختيار، ثم القدرات السمعية والبصرية، والتكامل بين الجانب الخارجي والداخلي لجسم الإنسان.

ب. التركيز على البيئة الطبيعية، التي تعتبر الدعامة التفاعلية مع الإنسان والمحيط، وتشمل مجال العقيدة الصحيحة السليمة، وتنمية الحرية الفكرية وتوفر العدالة المجتمعية والاتصاف بالأخلاق الفاضلة التي تسجد في المحيط الإنساني المجتمعي التفاؤل الذي يعيش فيه الفرد، وإرساء معالم الاقتصاد المجتمعي الإسلامي بين الأفراد.

ثم التزكية الفنية الأدبية كتراث إسلامي متين يحصن نفسية الإنسانية، ويرشدها إلى عين الصواب.

إن الوسائط التي تمكن من الزكية في منهاج التربية الإسلامية ويظهر أثرها الإيجابي على الناشئة هي: التلاوة التي ذكرت في القرءان الكريم بعدة أساليب، لأن الذكر في تلاوة القرءان باعتبار الأداء له ثلاث مستويات:

الأول: المتعلق باللسان.

الثاني: المتعلق بالفكر.

الثالث: المتعلق بالعمل.

والتربية الإسلامية تهدف إلى زرع هذه المستويات في النفس البشرية. المتجسد في شكل المقرر الدراسي الذي يهدف إلى معرفة الله معرفة ضابطة من حيث المنهج والمضمون.

ثم الشكل الثاني الذي يتخذه الذكر-لمنهاج التربية الإسلامية-، هي الممارسة العملية والنشاط التعبدي الذي يقوم به الفرد اعترافا منه لسنن وقوانيين الوجود الكوني، الذي سخره الله له باعتباره خليفة في الله وأن يقوم حيث أقامه سبحانه.

فمنهاج التربية يهدف إلى تحقيق بقاء المسلم عند دائرة الولاء للأفكار الإسلامية، والقيم الوطنية النبيلة، وعدم انحسار هذا الولاء إلى دوائر العصبيات القومية والقبلية والأسرية، وتطهير الأفكار والمشاعر من المفاهيم والاتجاهات والميول الفتاكة لإنسانية الإنسان المسلم التي يقدم ثمنها المجتمع ككل، وليس فقط الفرد بعينه.

لأن التزكية إذا لم تقم بدورها الحقيقي في إصلاح النفس وتطهيرها من كل الرذائل، وانتقالها به إلى سمو الأخلاق بأدوات ناجعة وفعالة، يمكن الجزم آنذاك أن التزكية لم توظف بالشكل السليم والصحيح لا من حيث الجانب الداخلي او الخارجي.

وهذا لا يكون إلا بالذكر الحقيقي بمختلف مستوياته وإبراز مظاهره على الإنسان والحياة والمجتمع وهذا محور العملية لمنهاج التزكية من خلال مدخل الإصلاح والتهذيب والتسليم الروحي والوجداني والمعرفي الذي تتبناه التربية الإسلامية في جوهرها: الدعاء والتحرر والتعرف والمحبة.

المطلب الثاني: مدخل منهاج الاقتداء

إن هذا المدخل يعتبر عاملا أساسيا في تربية الناشئة على القيم الفضلى، لأنه ينطلق من المعرفة الشاملة للرسول صلى الله عليه وفق المستويات التعليمية الثلاث والتي يشمل: التعريف بشمائله وصفاته الخلقية والخلقية باعتباره صلى الله عليه وسلم النموذج البشري الكامل، قصد محبته واتباعه والتأسي به لنصرته وتعظيمه وتوقيره[1].

استنادا إلى أهم مراقي مدخل الاقتداء ألا وهي: التعرف، ثم المحبة، ثم التأسي، ثم النصرة،[2] المستوحاة من قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّه فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّه وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[3].

المطلب الثالث: مدخل الاستجابة

ويروم هذا المدخل كما جاء في المنهاج، إلى تطهير الجسم والقلب لتأهيل المؤمن لعبادة الله وشكره بالذكر والدعاء، بهدف تزكية الروح لتحقيق الفلاح في الدنيا والآخرة[4].

---

(1) منهاج مادة التربية الاسلامية، بسلكي التعليم الثانوي الاعدادي والتأهيلي، مديرية المناهج الرباط، يونيو 2016، ص: 9

(2) مداخل منهاج التربية الاسلامية من التصور الابستمولوجي إلى التوظيف الديداكتيكي، المهدي الرامي وحسن بوحبة، ط: 2019ص: 56

(3) سورة آل عمران الآية 31.

(4) منهاج مادة التربية الاسلامية، بسلكي التعليم الثانوي الاعدادي والتأهيلي، مديرية المناهج الرباط، يونيو 2016، ص: 9

اعتمادا على هذه المفاهيم الفقهية الخادمة لمدخل الاستجابة: مفهوم الاستجابة ثم مفهوم الاتباع ثم المواظبة ثم التزكية [1].

المطلب الرابع: مدخل القسط

ويقصد به في المنهاج: تعرف المتعلم على مختلف الحقوق، ومنها:

1. حق الله في التعظيم والتنزيه.
2. حق النفس في التربية والتهذيب.
3. حق المخلوقات في الإصلاح والرعاية.
4. حق الخلق في الرحمة والنفع والنصح.

وغاية هذه الحقوق والواجبات، الوصول بالفرد إلى التعامل الإيجابي مع كل ما خلق الله من الكائنات وذلك برعاية حقوقها والعناية بها قصد إصلاح أحوالها وفق منظور الرحمة[2].

ويتضح من التعريف، أن مدخل القسط يرتقي بالمتعلم من معرفة الحق والالتزام به إلى درجة الوفاء به وحمايته من خلال الوقوف على أهم مراقي هذا المدخل ألا وهو: مفاهيم الحق والواجب [3]: الالتزام بالحق وصونه والوفاء به وحمياته.

المطلب الخامس: مدخل الحكمة

يشكل هذا المدخل أسلوبا ومقاربة لتدريس موضوعات الحكمة، بناء على تصورها للعلاقة الطبيعية التي يجب أن تربط الإنسان بالإنسان حسب فلسفة التربية الإسلامية، والتي تقوم

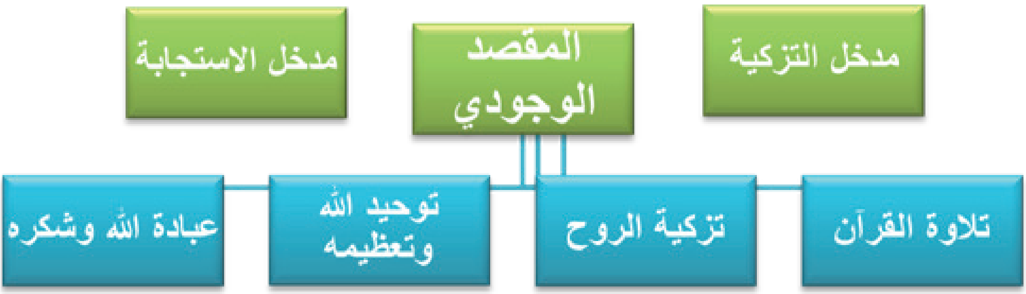
(1) مداخل منهاج التربية الاسلامية من التصور الابستمولوجي إلى التوظيف الديداكتيكي، المهدي الرامي وحسن بوحبة، ط: 2019، ص: 57
(2) منهاج مادة التربية الاسلامية، ص: 9
(3) مداخل المنهاج، مرجع سابق، ص: 59

على أساس العدل والإحسان، وبالتالي تجاوز نظرية الحق والواجب إلى مرتبة الإحسان وبذل النفع إلى الغير[1].

حيث يهدف مدخل الحكمة من خلال ما ورد في المنهاج، إلى إصلاح النفس وتهذيبها والسمو بها وتطهيرها وفق توجيهات الشرع، بما يرفع الفرد إلى مستوى الإيجابية والمبادرة بالأعمال الصالحة للتقرب إلى ربه. ولتعميم النفع وتجويد الأعمال وفق قيم الرحمة والتضامن والمبادرة[2]. وأهم مراقي مدخل الحكمة [3]، ما يلي: مفاهيم الجودية التي تشمل: الإصلاح والإحسان والنفع والرحمة.

المطلب السادس: علاقة المداخل بالمقاصد في المنهاج

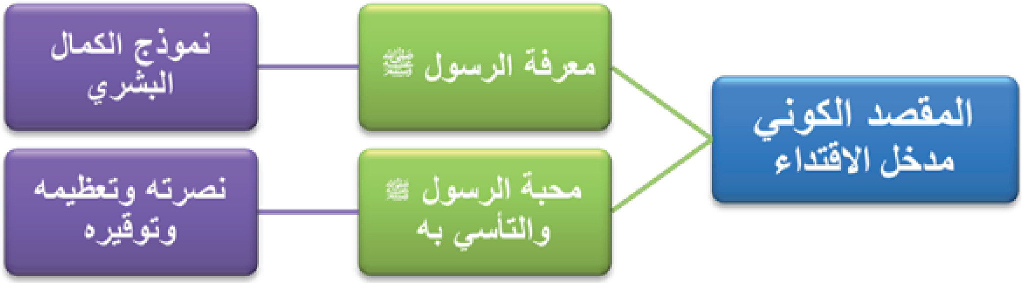
إن البنية النسقية للمنهاج تبرز وحدة وتكامل المقاصد التربوية للمادة، والتي لا يمكن فصل بعضها عن بعض. كما أن بلوغ كل مقصد غايته، لا يتحقق إلا من خلال استدماج وتوظيف المداخل الخاصة لتحقيق المقصود منه. وتوضح الخطاطة التالية العلاقات بين المقاصد والمداخل:

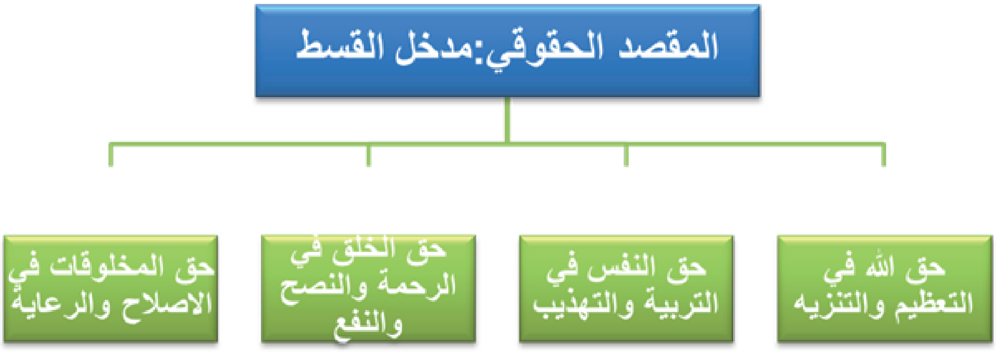


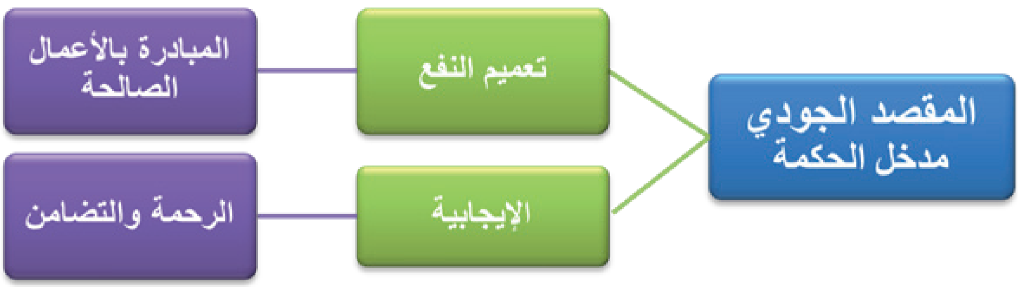
(1) مداخل منهاج التربية الاسلامية من التصور الابستمولوجي إلى التوظيف الديداكتيكي، المهدي الرامي وحسن بوحبة، ط: 2019، ص60-61 بتصرف

(2) منهاج مادة التربية الاسلامية، بسلكي التعليم الثانوي الاعدادي والتأهيلي، مديرية المناهج الرباط، يونيو 2016، ص: 9.

(3) - مداخل المنهاج، مرجع سابق، ص: 62.


المقصد الكوني
مدخل الاقتداء
معرفة الرسول ﷺ
محبة الرسول ﷺ والتأسي به
نموذج الكمال البشري
نصرته وتعظيمه وتوقيره


المقصد الحقوقي:مدخل القسط
حق الله في التعظيم والتنزيه
حق النفس في التربية والتهذيب
حق الخلق في الرحمة والنصح والنفع
حق المخلوقات في الاصلاح والرعاية


المقصد الجودي
مدخل الحكمة
تعميم النفع
الإيجابية
المبادرة بالأعمال الصالحة
الرحمة والتضامن

المبحث الرابع: أثر المنهج النبوي في التربية الإسلامية

إن المنهج النبوي في التربية والتعليم بدون نزاع، حقق نجاحا باهرا ليس له مثيل في التاريخ الإنساني، وهذا جلي وواضح لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فقد استطاع صلى الله عليه وسلم منذ أن أكرم الله به البشرية في مشارق الأرض ومغاربها.

لقد حرص صلوات ربي وسلامه عليه على أن يربي ويعلم جيلا راقيا من الصحابة الكرام البررة رضي الله عن الجميع، متمتعين بخاصية إسلامية متميزة، لم يستطع المفكرون والفلاسفة وعلماء النفس في شتى بقاع الأرض قديما وحديثا أن يصلوا بشعوبهم إلى ما وصل إليه النبي المربي، المعلم الأول عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام بصحابته، ولو معشار ما وصل إليه صلى الله عليه وسلم بالمجتمع الإسلامي.

فالتربية النبوية لها خصائص وسمات ومعالم مازالت العقول العربية مهما فعلت لن تصل إلى هذا المستوى ولو العشر منها، وهذا بشهادة أهل التربية وأهل الفكر والنظر وهذا قليل من فيض كثير.

وفي هذا دليل على أن التربية الإسلامية قادرة على أن تسمو بالناشئة بشكل خاص، وبالارتقاء به وبالجماعات في المجتمع الإسلامي إلى أرقى وأعلى مستوى يمكن أن يصل إليه البشر. بشرط أن تكثف الجهود بين الأطراف الفاعلة والمشاركة في بناء الإنسان ابتداء من المدرسة الأولى وهي الأسرة، الراعي الأول للناشئة وتليها المدرسة...

ولعل السر في ذلك منهجه صلى الله عليه وسلم الذي حرص فيه على تربية أصحابه تربية قرءانية قولا وعملا، وأقام الدولة على هذا الأساس المتين، إذ ربط بين الدين والحياة برباط وثيق، كما ربط العلم بالدين حتى صار الدين الإسلامي هو الموجه والمرشد للعلم والبحث والعلم والمعرفة.

وهذه التربية الإيمانية بلا شك جعلت الصحابة الكرام يتمثلون لتوجيهاتها بالانقياد التام قولا وعملا ابتغاءا منهم مرضاة الله تعالى والفوز بلقاء الله على الوجه الذي يحبه ويرضاه وهذا مبتغى أي فرد في هذا المجتمع.

وعليه فأثر المنهج النبوي في التربية الإسلامية بمثابة الحجر الأساسي لحل جميع المعضلات التي تعاني منها الآن المدرسة المغربية بشكل خاص من انفلات في القيم الإسلامية الفاضلة والانحلال الأخلاقي في بعض الحالات التي تظهر مرارا وتكرا، ولهذا كان جلالة الملك حفظه الله الراعي الأول لمصالح هذا الشعب العظيم كان على دراية ومعرفة لهذا التحول الخطير في مبادئ القيم عند الناشئة، فركز على زرع القيم بالمفهوم الشمولي لدي الجيل الذي يعتبره مشعل النهضة لهذا البلد مستقبلا، والتربية الإسلامية هي الموجه الحقيقي والفاعل المؤثر في التوازن الذي تعيشه الإنسانية جمعاء.

المطلب الأول: العز والكرامة

مما لا شك فيه عند النظر في كتب السنة والسيرة والتاريخ نجد أن العرب قبل بعثة خير الأنام كان في مهب التوابع، لا حرية ولا استقلال بدون قيمة أو وزن بين الأمم، فلما بعث المولى سبحانه محمد صلى الله عليه وسلم أصبح كل من يدخل تحت لواء الإسلام يتمتع بالعز والكرامة وأهل الشأن والقيمة، وهذا جلي وواضح عندما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «إنا كنا أذَلَّ قومٍ فأعزَّنا اللهُ بالإسلام، فمهما نطلب العزَّ بغير ما أعزَّنا اللهُ به أذلَّنا اللهُ»(1).

ولنا في الموقف العزيز الرصين المتمثل في ما قدمه ربعي بن عامر عندما دخل على قائد جيش الفرس متقلدا سيفه فقيل له: «إني لم آتكم فأضع سلاحي بأمركم، أنتم دعوتموني، فإن أبيتم أن آتيكم كما أريد رجعت. فأخبروا رستم فقال دعوه، فإنما هو رجل واحد، فأقبل يتوكأ على نصل رمحه، ويطعن به النمارق والبسط، حتى أفسدها...، فقال له رستم: ما جاء بكم؟ قال: إن الله ابتعثنا وجاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه، لندعوهم إليه، فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه، ورجعنا عنه وتركناه وأرضه، يليها دوننا، ومن أبى قاتلناه أبدا، حتى نفضي إلى موعود الله.

فقال رستم: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي.

(1) المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان-ط2، 1422 - 2002، ج1، رقم الحديث: 207 ص130.

فقال لرستم: نحن مترددون عنكم ثلاثا فانظر في أمرك وأمرهم، واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل: اختر الإسلام وندعك وأرضك، أو الجزاء فنقبل ونكف عنك، وإن كنت عن نصرنا غنيا تركناك منه، وإن كنت إليه محتاجا منعناك، أو المنابذة في اليوم الرابع، ولسنا نبدؤك فيما بيننا وبين اليوم الرابع، إلا أن تبدأنا، أنا كفيل لك بذلك على أصحابي وعلى جميع من ترى. قال رستم متعجبا: " أسيدهم أنت؟ قال لا، ولكن المسلمين كالجسد بعضهم من بعض، يجير أدناهم على أعلاهم...

وفي اليوم الثالث جاء إليهم المغيرة بن شعبة والقوم في زيهم عليهم التيجان والثياب المنسوجة بالذهب فأقبل المغيرة وله أربع ضفائر يمشي حتى جلس معه على سرير رستم ووسادته، فقال لهم مثل ما قاله صاحبه بالأمس وزاد عليه... »[1].

يستشف من خلال هذا الحدث العظيم الذي دار بين هذا الصحابي الجليل وبين رستم زعيم الفرس قيم إسلامية عديدة وعلى رأسها قيم العز والكرامة والاعتزاز بالانتماء، والشهامة التي أكرم الله بها الإسلام كل من كان تحت لوائه، وهذا ينسجم مع قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه النواس بن سمعان حيث قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والميزان بيد الرحمان يخفضه ويرفعه»[2].

المطلب الثاني: زرع المحبة والوصال المجتمعي بين الناشئة

لقد اهتم الجانب النبوي بهذا الجانب غاية الاهتمام، فكانت تربيته صلى الله عليه وسلم يحث فيها صحابته رضوان الله عليهم على الحب والتآلف فيما بينهم، وجعل ذلك من الإيمان كما جاء في عدة أحاديث نبوية منها:

(1) تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمان بن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر بيروت-لبنان-، ج 2ص530. /تاريخ الرسل والملوك ومن كان في زمن كل منهم، ابن جرير الطبري، تحقيق: صدقي جميل العطار، دار الفكر بيروت لبنان، ج2 ص443. /اطلس الفتوحات الإسلامية، سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث، ص190. بتصرف.

(2) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط -وآخرون، دار مؤسسة الرسالة، ج29 رقم الحديث17630ص178

روى الشيخان أن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله عليه وسلم: »لَا يُؤْمِنُ أحدكُمْ، حتَّى يُحِبَّ لأخيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ«[1]. وفي رواية أخرى: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حتَّى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتَّى تَحابُّوا، أولا أدُلُّكُمْ علَى شيءٍ إذا فَعَلْتُمُوهُ تَحابَبْتُمْ؟ أفْشُوا السَّلامَ بيْنَكُمْ»[2].

ومن نماذج الأخوة والمحبة التي جسدها الحبيب المصطفى الله عليه وسلم واقعيا في صحابته المتمثل في مؤاخاته بين المهاجرين والأنصار والتوارث بسبب الأخوة الإيمانية التي زرعها فيه، جاء في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾[3]، قَالَ: ورَثَةً. ﴿وَالَّذِينَ عَاقَدَتْ إيمانكُمْ﴾: كانَ المُهَاجِرُونَ لَمَّا قَدِمُوا المَدِينَةَ يَرِثُ المُهَاجِرِيُّ الأنصاريَّ، دُونَ ذَوِي رَحِمِهِ لِلْأُخوَّةِ الَّتي آخى النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بيْنَهُمْ، فَلَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾ نُسِخَتْ، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَالَّذِينَ عَاقَدَتْ إيمانكُمْ﴾ مِنَ النَّصْرِ والرِّفَادَةِ والنَّصِيحَةِ، وقدْ ذَهَبَ المِيرَاثُ ويُوصِي له[4].

فهذه الخصال النبيلة قل ما تجدها في غير هذا المنهج التربوي الإسلامي.

المطلب الثالث: التكافل الاجتماعي

إن أثر المنهج في التربية الإسلامية يتسم بعنصري التعاون والتكافل، وهو من البواعث التي تسهم في زرع قيم المحبة والألفة بين الناشئة، وبين أفراد المجتمع ككل. ولذلك نجد في أركان الإسلام من بينهم فرضية الزكاة التي جعلها الله للإنسان من قبيل التطهير وإصلاح النفس، مما يمكن أن يشوبها، وفي الوقت نفسه إدخال السرور وتفريج الكربات عن الفقراء والمساكين.

---

(1) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب الإيمان، رقم الحديث 13ص14.

(2) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج1 كتاب الإيمان، رقم الحديث 54ص74.

(3) سورة النساء الآية 33.

(4) صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب التفسير، رقم الحديث 4580ص1126.

وفي المنهج التربوي النبوي عالج فيه صلى الله عليه وسلم مبدأ التعاون والتكامل والتراحم فيما بين الإنسانية وجعله حقا من حقوق الحياة المتوازنة فقال صلى الله عليه وسلم: «ألا كُلُّكُمْ راعٍ، وكُلُّكُم مَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، فالأميرُ الذي علَى النَّاسِ راعٍ، وهو مَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، والرَّجُلُ راعٍ علَى أهل بَيْتِهِ، وهو مَسْؤُولٌ عنْهمْ، والْمَرْأَةُ راعِيَةٌ علَى بَيْتِ بَعْلِها ووَلَدِهِ، وهي مَسْؤُولَةٌ عنْهمْ، والْعَبْدُ راعٍ علَى مالِ سَيِّدِهِ وهو مَسْؤُولٌ عنْه، ألا فَكُلُّكُمْ راعٍ، وكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ»[1].

المطلب الرابع: خلق الأمانة

فالأمانة بلا شك كانت من صفاته صلى الله عليه وسلم ويكفينا برهانا ما جاء على لسان أعدائه من المشركين من كفار قريش كأبي جهل ونحوه، روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إن أبا سفيان أخبره أن هرقل قال له: سألتك ماذا يأمركم فزعمت أنه أمركم بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة قال: وهذه صفة نبي»[2].

فالأمانة جعلها صلوات ربي وسلامه عليه من الإيمان، وفقدانها دليل على النفاق فقال صلى الله عليه وسلم: « آية المُنافِقِ ثَلاثٌ: إذا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذا وعَدَ أخلَفَ، وإذا اؤْتُمِنَ خانَ»[3].

فكان الصحابة بعد النبي صلى الله عليه وسلم يحثون على إتيان الأمانة وعدم الإخلال بها، وهذا جلي وخاصة في المصدر الأول للتشريع الإسلامي الذي تناولها في مواقف متعددة يقول الله سحانه وتعالى في كتابه الحكيم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾[4].

---

(1) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج3 كتاب الامارة، رقم الحديث 1829ص1459.

(2) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب الشهادات، رقم الحديث 2681ص654.

(3) المصدر نفسه: كتاب الأدب رقم الحديث 6095 ص1525.

(4) سورة النساء الآية 58.

فهذا وإن دل فإنما يدل على أثر المنهج النبوي في التربية والتعليم الذي تربى عليه الصحابة الكرام.

المطلب الخامس: الزيادة الإيمانية وقوة الدافع الديني

وهذا أهم مكسب في مجال التربية والتعليم، لذلك حرص صلى الله عليه وسلم على التقوية الدينية وهذا لا يكون بالقربات والأعمال الصالحة التي تزيد العبد إيمانا بعد إيمان، كما جاء في أحاديث كثيرة بين فيها صلى الله عليه وسلم للصحابة الكرام كيف يزداد إيمان العبد، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الإيمان بِضعٌ وستون أو سبعون بابًا أدناها إماطةُ الأذى عن الطريقِ وأرفعُها قولُ لا إله إلا اللهُ والحياء شعبةٌ من الإيمان»[1].

وجاء في حديث آخر: الذي رواه أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: »آية الإيمان حُبُّ الأنصار، وآية النِّفاقِ بُغْضُ الأنصار». [2]

فكشف صلى الله عليه وسلم الأدوات الفاعلة في القيمة الإيمانية فقال صلى الله عليه وسلم: « ثَلاثٌ مَن كُنَّ فيه وجَدَ طَعْمَ الإيمان: مَن كانَ يُحِبُّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلا لِلَّهِ، ومَن كانَ اللَّهُ ورَسولُهُ أحب إليه ممَّا سِواهما، ومَن أحب عَبْدًا لا يُحِبُّهُ إلا لِلَّهِ عزَّ وجلَّ، ومَن يَكْرَهُ أنْ يَعُودَ في الكُفْرِ، بَعْدَ إذْ أنْقَذَهُ اللَّهُ، منه كما يَكْرَهُ أنْ يُلْقَى في النَّارِ». [3]

فهذه التوجيهات التربوية من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسية الفرد قوة الدافع الديني والاعتزاز به والدفاع عنه بكل ما أوتي من قوة. وهذا أهم مكسب تراهن عليه التربية الصالحة المصلحة في المدرسة.

(1) صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق فواد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م، ج3 كتاب الإيمان، رقم الحديث 35ص63.
(2) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب مناقب الانصار، رقم الحديث 3784ص928
(3) المصدر نفسه: كتاب الإيمان، رقم الحديث 21ص15.

المطلب السادس: التضحية بالمال والنفس في سبيل إعلاء راية الإسلام والمسلمين

لقد جعل الإسلام للإنسان أدوات فاعلة، تساعده على الاعتزاز بمبادئ التربية الإسلامية والدفاع عن الكليات الخمس قولا وفعلا، ومن الأدوات التي تسهم في ذلك:

أ. حب الشهادة في سبيل الله: لقد كان الصحابة يحبون الشهادة في سيبل نصرة الإسلامين والمسلمين أكثر من حبهم لهذه الدنيا الفانية، ولذلك فكتب السنة النبوية عندما تحدث عن الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الإسلام والمسلمين، لم تتحدث عنها وفق الوظيفية المصلحية المؤقتة، بل تحدثت عنها بمفهوم الشمولية التي تجعل من الإسلام والمسلم يتمتع بالقيم الإنسانية الدائمة التي ترفع من قيمة الإنسان ووظيفته في هذه الحياة، لا كما يقزم الآن مصطلح الجهاد ودوره في التربية، ينبغي أن يفهم على جميع مستوياته، لأن مما ينبغي التركيز عليه انطلاقا من المنهج النبوي النظرة الشمولية للجهاد في الفقه الإسلامي، وكيف ينبغي أن يتلقاه الناشئة بدون خلفيات مسبوقة تريد من شأنها إظهار صورة الجهاد وحب للشهادة في سبيل الله أمر غير مقيم شرعا. وغير منضبط وليس من تعاليم الإسلام الصحيح.

ب. التضحية بالنفس طلبا لمغفرة الذنب المقترف في الدنيا وقبول التوبة النصوح:

فالمنهج النبوي في التربية والعليم بين متاع الحياة الدنيا، واعتبرها بأنها محطة تمر بها البشرية وصولا إلى المقصود الحقيقي، وأن المبتغى ينبغي أن يكون الدار الآخرة ولذلك نجد النفس البشرية بطبعها ضعيفة، وتحتاج دائما إلى التذكير والتنبيه، لتفوز بالدار الآخرة، وهي تعلم علم اليقين أن هذه العقوبة الدنيوية تعتبر أمرا هينا نظرا للوعيد الشديد الذي سيلقاه الإنسان في اليوم الذي لا ينفع فيه لا مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سلم، نسأل الله أن نكون منهم، فالصحابة عندما عايشوا حقيقة الأشياء من مصادرها كانوا إذا وقع منهم ضعف بسبب من الأسباب عملوا على تصحيحه في الدنيا قبل لقاء رب الأرباب، لأنهم كانوا على دراية بهذا الأمر أن العقوبة الدنيوية كيفما كان عقابها لا تساوي ولو عشرها يوم الحساب فكانوا يتوجهون بالتضحية بالنفس طلبا لتكفير الذنوب التي يمكن أن تقترف، وهذا من شيم الناس أصحاب أهل العلم والاعتراف بالخطأ فضيلة إنسانية يجازى عليها الإنسان، ممكن أن نتصور هذا الموقف مع ماعز الذي قدم النفس وضحى بها وهي غالية

عند الله تعالى، طلبا للمغفرة فطلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يقيم عليه الحد، ثم قصة الغامدية التي فعلت مثله، وهذا ما ينبغي أن يزرع في نفوس الناشئة الاعتراف بالذنب إذا وقع، وتصحيحه قبل فوات الأوان، والله عليم بما في الصدور يقبل التوبة عن عباده ويغفر الذنوب جميعا، إنه هو الغفور الرحيم.

ج. التضحية بالمال في سبيل الله تعالى: لقد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يتنفسون في الطاعات ويسارعون إلى ما فيه الخير في سبيل الله حتى مما رزقه الله من متاع الحياة الدنيا، والنماذج كثيرة في هذا الشأن.

المطلب السابع: الامتثال السريع لأوامر الله ورسوله

لنا القدوة الحسنة فيه صلى الله عليه وسلم، كان منهجه صلى الله عليه وسلم بين وجلي مع صحابته رضوان الله عليهم، فتجدهم أسرع من الريح المرسلة في تطبيق ما أمر الله به ورسوله، فعلى سبيل المثال ما يتعلق بتحريم الخمر، أسرع الصحابة في الامتثال لهذا الأمر عندما نزل الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم فيه بالتحريم، وفي جميع الميادين كانوا يمتثلون للأوامر بدون منازع في ذلك.

وهذه التربية السحمة التي ينبغي أن تستقى من هذا المنهج التربوي عند النبي صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثامن: قيم الإيثار والبعد عن الأنانية وحب الذات

إن حب النفس والأنانية من الطبائع المتأصلة في النفس البشرية، لكن المنهج النبوي اقتلع هذه الصفة من نفوس المؤمنين بشكل عام، ومن الناشئة بشكل خاص وتربيتهم على حب الإيثار والتضحية، وهذا من علامات المؤمن الصادق الذي جعله صلى الله عليه وسلم عندما قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[1].

المطلب التاسع: صقل المواهب الشخصية

أوضح مثال يمكن أن نستدل به في منهاج التربية الإسلامية، هي الصحابية الجليلة الخنساء بنت عمرو رضي الله عنها بعد دخولها إلى مظلة الإسلام، فقد روى أنها ظلت خمسة

(1) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002، كتاب الإيمان، رقم الحديث 13ص14.

عشر عاما وهي ترثي أخاها صخر وأنشدت الآلاف من الأبيات الشعرية في حقه باعتبارها كانت شاعرة، لكن بعد إسلامها رضي الله عنها انقلب حالها من حال إلى حال، وكان يضرب بها المثل عند أهل نجد في مجال الصبر، ورباطة الجأش ونحو ذلك، فعندما كان المسلمون يتجهزون لغزو القادسية جمعت أبناءها وقالت لهم: «يا بني إنَّكُم أسلَمتُم طائعينَ وهاجَرتُم مُختارينَ، وإنَّكُم لابن أبٍ واحد وأمٍّ واحدة، ما حبت آباؤُكم ولا فضحتُ أخوالَكُمْ. فلما أصبحوا باشَروا القِتالَ واحدا بعدَ واحد حتَّى قُتِلوا، وكلٌّ منهُم أنشَدَ قبلَ أن يُستَشهَدَ رَجَزًا، فأنشَدَ الأول: يا أخوَتي إنَّ العَجوزَ النَّاصِحَةْ، قد نصَحتْنا إذ دَعَتنا البارِحَةْ، بمقالَةٍ ذاتِ بيانٍ واضِحَةْ، وإنَّما تَلقَونَ عِندَ الصَّابِحَةْ، من آل سَاسانَ كلابًا نابِحَةْ. وأنشد الثَّاني: إنَّ العَجوزَ ذاتَ حَزمٍ وجَلَدْ، قد أمرتنا بالسَّدادِ والرَّشَدْ، نصيحةً مِنها وبِرًّا بالوَلَدْ، فباكِروا الحربَ حُماةً في العَددْ. وأنشدَ الثَّالثُ: والله لا نَعصي العَجوزَ حَرفَا، نُصحًا وبِرًّا صادِقًا ولُطفَا، فبادِروا الحربَ الضَّروسَ زَحفَا، حتَّى تَلفُّوا آلَ كِسرَى لفًّا. وأنشدَ الرَّابعُ: لستَ لِخَنساءٍ ولا للآخرمِ، ولا لعَمرٍو ذي السِّعاءِ إلا قدَمِ، إن لَم أَرَه في الجَيشِ خنسَ إلا عجَمي، ماضٍ علَى الهولِ خضَّمٍ حَضرَمي. وكلٌّ منَ الأبناءِ شيَّدَ أطوَلَ مِن هذا، قالَ: فبلغَها الخبرُ فقالَت: الحَمدُ للَّهِ الَّذي شرَّفَني بقتلِهم، وأرجو مِن ربِّي أَن يجمَعَني بهِم في مُستقَرِّ رحمتِهِ، قالوا: وكانَ عُمرُ بنُ الخطَّابِ يُعطي الخَنساءَ أرزاقَ أولادِها الأربعة حتَّى قُبِضَ»[1].

فيستشف من خلال هذا الموقف الشجاع أن الإسلام الذي جاء به صلى الله عليه وسلم كان لا يميز بين الذكر والأنثى ولا بين الصغير والكبير... نعم صقل شخصيتها ورباها تربية حسنة قائمة على أسس متينة، فكان تأثيرا لا مثيل له وانقلبت بها موازين الحياة من طريق طامس إلى سبيل سوي ومستقيم، فكان لها نورا وسراجا منيرا.

(1) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي النمري،، تحقيق: عادل مرشد، دار الاعلام-الاردن-، ط1 1423هـ-2002، ص897.

الخاتمة

بعد هذه الجولة الربانية في التربية النبوية التي أعتبرها شخصيا ما هي إلا شذرات ومحطات عامة سرت عليها على حسب فهمي وما جاد به النظر والعقل والقلب والقلم، حيث إنه صلى الله عليه وسلم مهما غاصت فيه العقول والقلوب إلا والنقص موجود في حق من أراد أن يغوص فهو صلى الله عليه وسلم كالبحر الذي لا نهاية فيه ولا حد ولا جهة.

وهذا من كرامات الله لهذي المربي الأعظم والمعلم الأول، حيث إنه منبع الخير والأنوار الذي يفتح العقول وتسموا به النفوس إلى درجات العلا.

و اتضح لي ما لا يدع مجالا للشك أن هذا المنهج النبوي في التربية والتعليم منهج رباني نوراني يهتدى به كل من بحث أو يبحث عن الهدي والطريق المستقيم الذي يلقى به ربه سبحانه على الوجه الذي يرضيه. وما خسر من سلك نهجه قولا وفعلا في كلا الدارين.

حقيقة هذه الشخصية العظيمة أبهرت العقول والأقلام منذ بعثته إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولن ينتهي هذا الخير إلا بالزيادة والاستزادة في كل وقت وحين، نعم لقد أسس القواعد الكبري لبناء أسرة متكاملة مكتملة، ولقد كان أعظم شخصية تربوية عرفها التاريخ فهو سيد المربين والمعلمين ولا فخر.

في الحقيقة أجد نفسي في هذه المرحلة أنه يمكن أن لا أكون قد وفقت، أو أعطيت الحق الكامل والتصور الشامل لهذا النبي المربي محمد صلى الله عليه وسلم، فهناك علماء أفذاذ اعترفوا بهذا فكيف بهذا العبد الضعيف الذي ما زال في بداية الطريق نحو الرقي الفكري، ولا يمكن لي إلا أن أقول بأن سيرته صلى الله عليه وسلم حافلة، ونعمة من الله على المسلمين وكفى بها نعمة.

النتائج والتوصيات

وأهم النتائج التي ظهرت لي من خلال هذه الرحلة المتواضعة ما يلي:

1. أن المنهج النبوي في التربية والتعليم يهدف الى إرساء المعالم الكبرى الخادمة للإنسانية جمعاء، بحيث يهدف إلى إنشاء:

أ. جيل يعتز بدينه الحنيف، متشبع بالقيم الإسلامية، محتكم الى العلم الحقيقي الذي يوصله الى السعادة في الدارين.

ب. جيل متصف بمكارم الاخلاق الفاضلة قولا وعملا.

ج. جيل يسهم في إعمار الأرض والحفاظ على مكنوناتها.

د. جيل يدافع عن الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها

قولا وعملا.

2. أن أثر المنهج النبوي في التربية والتعليم واضح وجلي، يكفي فقط تنزيل هذا المنهج النبوي في المنظومة التعلمية بشكل حقيقي بعيدا عن أسلوب الأوراق والتنظير، تصورا وإيمانا واعتقادا، وسيتضح للجميع آنذاك فاعلية التربية الإسلامية في المدرسة المغربية وأثرها على الناشئة.
3. أنه لامجال للخروج من هذه الأزمة التي تعانيها المنظومة التربوية إلا بالالتفاف الحقيقي إلى هذه التربية النبوية وجعلها قيما عليا تنطلق منها لإيجاد الحلول للمشاكل التي يعاني منها المجتمع المغربي والذي يدفع ثمنها الفرد ثم الأسرة ثم المجتمع ككل.
4. أن سيرة هذا المربي الأعظم والمعلم الأول هي الركيزة الأساسية في العملية التعليمية التربوية، لأنه في شخصه صلى الله عليه وسلم الصورة الكاملة للشريعة الإسلامية وتعاليمها، والصورة الحية الفاعلة الخالدة إلا أن يرث الله الأرض ومن عليها.
5. أن الوسائل والأساليب التعليمية التي استخدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم هي الركيزة المحورية في إنجاح العملية التعليمية،

وتحقيق الأهداف المنشودة بدقة وموضوعية بعيدة عن المزايدات الزائفة والتي لا فائدة منها ترجى وهذا واضح وضوح الشمس في المدرسة المغربية.

6. أن الجانب العلمي والتربوي من أهم الجوانب في شخصيته صلى الله عليه وسلم، لأنه لا يكمن أن نعلم قبل نربي، ولا تنفع تربية بدون علم، فالتربية والتعليم شيئان متكاملان كأعضاء الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو...

لائحة المصادر والمراجع:

1) القرءان الكريم، برواية ورش من طريق الأزرق، دار فضالة -المحمدية-المملكة المغربية، ط2 1431هـ-2010م.

2) إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، دار ابن حزم ط1 1426هـ-2005م.

3) الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمان حنبكة الميداني، دار القلم -دمشق-، ط5 سنة 1420هـ-1992م.

4) الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد فواد عبد الباقي، دار المطبعة السلفية ومكتبتها-القاهرة-سنة النشر 1375.

5) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي -بيروت-.

6) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، زياد محمد العاني، دار عمار -عمان-، سنة الطبع: 1420هـ.

7) أساليب الرسول صلى الله عليه وسلم في الدعوة والتربية، يوسف خاطر حسين الصوري، دار صندوق التكافل لرعاية اسر الشهداء والأسرى.

8) الأساليب النبوية في تربية الأبناء والدرية،، خالد بن هشام أل عرفة.

9) الأساليب النبوية لتنمية القيم الإيمانية، الطيب احمد عبد الحميد الشنقيطي.

10) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي النمري،، تحقيق: عادل مرشد، دار الاعلام-الاردن-، ط1 1423هـ-2002.

11) أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبي الحسن علي بن محمد الجزري (ابن الأثير)، دار ابن حزم بيروت لبنان، ط1 1433هـ2012م.

12) أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، د. عبد الحميد الزنتاني، دار العربية -ليبيا- ط: الأولى، 1993.

13) الأسس النفسية والتربوية لرعاية الشباب، عمر التومي الشيباني، دار العربية للكتاب -تونس-ط: 3 1987.

14) الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، -بيروت لبنان-، ط1 1415هـ-1995م.

15) أصول التربية إضاءات نقدية معاصرة، ا. د. على اسعد وطفة، دار مجلس النشر العلمي- الكويت-، سنة الطبع: 2011426هـ 2005م.

16) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبد الرحمان النحلاوي، دارالفكر-دمشق-، ط1 1399هـ.

17) أصول التربية الإسلامية، د خالد بن حامد الحازمي، دار الكتب العلمية، المدينة المنورة، ط1 1420هـ-2000م.

18) أصول التربية الإسلامية، سعيد إسماعيل علي، دار الثقافة ر للنشر والتوزيع-القاهرة- 1978.

19) اعلام الموقعين عن رب العالمين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي-المملكة العربية السعودية-، ط 1 1423هـ

20) أعلام النبوة، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي(الماوردي)، دار ومكتبة الهلال- بيروت-، ط: 1 1409هـ.

21) إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون(السيرة الحلبية)، على بن ابراهيم بن أحمد الحلبي، دار الكتب العلمية -بيروت، ط2 1427.

22) أنوار البروق في أنواء الفروق، الإمام القرافي، تحقيق: «أ. د مجمد أحمد سراج»، و«أ. د علي جمعة محمد»، دار السلام-القاهرة-ط: 1 2001.

23) أهمية التربية النبوية للأمة الإسلامية، د. طارق زوكاغ، مجلة البيان العدد 292.

24) البارع في اللغة، ابن محمد بن سلمان(أبو علي القالي)، تحقيق: هشام الطعان، مكتبة النهضة بغداد-بيروت، ط: 1، 1975.

25) البداية والنهاية، لابن كثير ن دار الريان للثرات -القاهرة-، ط1 1988.

26) تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، - الزَّبيدي- تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

27) تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمان بن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر بيروت- لبنان-.

28) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط 1 سنة 2003م.

29) تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية -بيروت، ط2 سنة 1988.

30) تاريخ الرسل والملوك ومن كان في زمن كل منهم، ابن جرير الطبري، تحقيق: صدقي جميل العطار، دار الفكر بيروت لبنان.

31) تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، د. اسرائيل ولفنسون، مطبعة الاعتماد شارع حسن الأكبر بمصر.

32) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: 1984.

33) التربية الإسلامية وتدريس العلوم الشرعية، صلاح سمير يونس، الرشيدي، سعد محمد، مكتبة الفلاح، الكويت، ط: الأولى 1420 هـ.

34) التربية على منهج أهل السنة، فريد، أحمد، دار ابن الجوزي - مصر ط: الأولى 1432هـ- 2011.

35) التربية على منهج أهل السنة، فريد، أحمد، دار ابن الجوزي -مصر 1432هـ- 2011، ط: الأولى.

36) التربية في مدرسة النبوة، محمد متولي الشعراوي، إعداد: د. حمال إبراهيم، دار الحرية والنشر -مصر-، ط 1، سنة1419هـ-1999.

37) تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، د. مجد عرسان الكيلاني، دار ابن كثير دمشق-بيروت-، ط: 2 1405هـ-1985م.

38) تفسير القرءان العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، دار ابن حزم، ط1 1420هـ-2004م.

39) تفسير القران العظيم، ابن كثير، دار الكتب العلمية بيروت، ط: 1 1414.

40) تلقيح مفهوم أهل الأثر، لأبي الفرج عبد الرحمان بن الجوزي، دار جيد برقى بريس دلهى -الهند-.

41) تهديب اللغة، محمد بن أحمد بن الازهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء الثرات العربي -بيروت-، ط: 1 2001م،

42) التوجيه غير المباشر وأثره في التربية وتغيير السلوك، د. صالح بن عبد الله بن حميد، دار مسلم -الرياض-ط2 1415هـ-1995م

43) ثلاثة قرون وعشر سنوات من تاريخ الدولة العلوية، عزيز سلام، منشورات وزارة الانباء المغربية.

44) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جزيز الطبري، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر -الجيزة -القاهرة-، ط 1 1422هـ-2001م.

45) الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل، دار ابن كثير، ط: 1 1423هـ-2002.

46) جامع القرءان عن تأويل آي القران، محمد بن جرير الطبري، دار الحديث-القاهرة-، سنة الطبع: 2010.

47) جامع بيان العلم وفضله، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي، تحقيق: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي – الدمام، ط1 1414 - 1994 .

48) الجامع لأحكام القرءان والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرءان، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار المكتبة العصرية -بيروت 2011.

49) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الحافظ الخطيب البغدادي، تحقيق: د. محمد الطحان، دار مكتبة المعارف -الرياض- 1403هـ-1983م.

50) الجغرافيا، موضوعها، ومناهجها، وأهدافها، د. صفوح خير، دار الفكر-دمشق-، ط: 1 سنة الطبع 2000م.

51) جمهرة اللغة، ابن دريد، تحقيق رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الأولى، 1987م

52) الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية، محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي، تحقيق إدريس بهليلة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1 2005م.

53) خاتم النبيئين صلى الله عليه وسلم، محمد أبو زهرة طبعه امير دولة قطر على نفقته.

54) دراسات في الحديث النبوي، د. محمد لقمان الاعظمي الندوي، دار مكتبة العبيكان -الرياض-، ط3 1416هـ-1995م.

55) دعوة الحق، العدد366 ابريل 2002م.

56) ديوان حسان بن ثابت الانصاري، تحقيق: عبد أ مهنا، دار الكتب العلمية ط 2: 1414 – 1994.

57) ديوان عبد الله بن رواحة ودراسة في سيرته وشعره، د. وليد قصاب، دار العلوم، ط1 1401هـ-1981.

58) الرحيق المختوم، صفي الرحمان المباركفوري، دار الغد الجديد-القاهرة، ط: 1 1435هـ..

59) الرسول المعلم وأساليبه في التعليم، د. عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية-بيروت لبنان، ط 1 1417هـ-14996م.

60) الرسول المعلم ومنهجه في التعليم، محمد رأفت سعيد، (نسخة دار المنظومة)، دار الوفاء للطباعة والنشر – القاهرة.

61) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم الجوزية، دار الفجر للتراث -القاهرة-ط: 1 1425هـ..

62) سنن، أبو داوود، دار التراث العربي لدول الخليج-ط: 1 1409.

63) السنن، أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

64) سنن أبي داوود تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية سنة 2009م 1430هـ.

65) سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق رائد صبري ابن أبي علفة، دار الحضارة للنشر والتوزيع -الرياض-، ط2 1436هـ-2015م.

66) السيرة النبوية الصحيحة، د. اكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة، ط6 1415هـ-1994.

67) السيرة النبوية عرض وحقائق وتحليل احداث، د. علي محمد محمد الصلأبي، دار الفجر للتراث -القهارة-، ط1 1424هـ-2004م.

68) السيرة النبوية، أبو الحسن علي الحسني الندوي، تحقيق: سيد عبد المجيد الغوري، دار ابن كثير دمشق -بيروت-، ط3 1425هـ-2004م.

69) السيرة النبوية، لأبي محمد عبد الملك بن هشام، دار الفجر للتراث القاهرة، ط: 2 1425هـ.

70) شرح سنن أبي داوود، شهاب الدين أبي العباس أحمد بن حسين بن علي بن رسلان، تحقيق جماعة من المحققين، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث -الفيوم-مصر، ط 1 1437هـ-2015م.

71) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، تحقيق: أبو تميم ياسر بن ابراهيم، دار الرشد -الرياض.

72) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، دار مؤسسة الرسالة -بيروت-ط: 2 1414.

73) عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، ابن العربي المالكي، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان.

74) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار الحديث -القاهرة، سنة النشر: 2004.

75) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، شهاب الدين أحمد بن غلي بن حجر العسقلاني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط- وآخرون، دار الرسالة العلمية ط1 1434هـ-2013م.

76) فقه السيرة، محمد الغزالي، دار القلم دمشق ط: 1 1427.

77) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، دار مؤسسة الرسالة -بيروت، ط الثامنة.

78) القصص في الحديث النبوي، د. محمد حسن الزبير، دار مكتبة المدني-الرياض-، ط3 1405هـ-1985.

79) كتاب الاستقامة، ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، إدارة الثقافة والنشر، ط2 1411هـ-1991م.

80) كتاب الأفعال، علي بن جعفر بن علي السعدي، -ابن القَطَّاع الصقلي-، دار: عالم الكتب ط: الأولى 1403هـ -1983م

81) كتاب التعاشيب، عبد الله كنون الحسني، دار الكتب العلمية بيروت، سنة الطبع: 2015

82) كتاب السنن، أبو داوود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، تحقيق محمد عوامة، دار مؤسسة الريان -بيروت- ط 1 1419هـ-1998م.

83) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

84) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة -بيروت-ط: 3 2009.

85) الكفاية في معرفة علم أصول الرواية، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت(الخطيب البغدادي)، تحقيق: أبو إسحاق إبراهيم بن مصطفى آل بحبح الدمياطي، دار الهدى، ط: 1 1423هـ-2003.

86) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، دار مؤسسة الرسالة – بيروت.

87) كما تحدث الرسول، د. خالد محمد خالد، دار المقطم للنشر والتوزيع القاهرة-، ط4 1425هـ-2004م.

88) لسان العرب، ابن منظور دار صادر – بيروت ط: الثالثة – 1414هـ.

89) مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية، تحقيق: عبد الرحمان بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف-المدينة المنورة- سنة 1425هـ-2004.

90) المحرر الوجيز في تفسير كتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية -بيروت-، ط: 1 سنة2001.

91) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، 1421 هـ - 2000 م.

92) المحيط في اللغة لابن عباد، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب - بيروت / لبنان - 1414هـ -1994م ط: الأولى

93) مختار الصحاح، ابن عبد القادر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، دار: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا ط: 5، 1420هـ.

94) المخصص، لابن سيده، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولى، 1417هـ 1996م

95) مداخل منهاج التربية الإسلامية من التصور الإبستمولوجي إلى التوظيف الديداكتيكي، المهدي الرامي وحسن بوحبة، ط: 2019م.

96) مدخل الى أصول التربية الإسلامية، محمد بن عبد الله آل عمر، ومحمود يوسف الشيخ، دار المتنبي الدمام، سنة الطبع: 1425هـ.

97) المدخل إلى علوم القرءان الكريم، محمد فاروق النبهان، دار عالم القرءان-حلب-، ط: 11426هـ 2005م.

98) المدخل إلى علوم القرءان الكريم، محمد فاروق النبهان، دار عالم القرءان-حلب-، ط: 11.

99) المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية -بيروت-، ط: 2 1422هـ 2002م.

100) مسند، الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد،، مؤسسة الرسالة -بيروت، ط1 1416.

101) مسند الحميدي، أبو بكر عبد الله بن الزبير القرشي، تحقيق: حسن سليم أسد الدَّارَانيّ، دار المغني للنشر والتوزيع -الرياض-، ط 2 1423هـ-2002م.

102) المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العربية -بيروت لبنان، ط 1 سنة 1412هـ 1991م.

103) معالم السنن، أبو سليمان محمد بن محمد الخطابي، تحقيق: محمد راغب الطباخ، دار المطبعة العلمية -حلب- ط1 1351هـ-1932.

104) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد بن علي المراكشي، تحقيق: محمد سعيد العريان، ومحمد العربي العلمي، دار الاستقامة -القهارة-، ط: 1 سنة النشر: 1368هـ-1949م.

105) المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طريق بن عوض الله بن محمد- عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين للطباعة والنشر -القاهرة-، ط: 1 1415هـ.

106) معجم اللغة العربية المعاصرة د أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م

107) المغرب والاستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية، البير عياش، ترجمة: عبد القادر الشاوي ونور الدين سعودي، دار الخطابي سنة الطبع: 1985

108) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار النشر القاهرة، ط: 1 1308.

109) المفردات في غريب القرءان، أبو القاسم الحسين الاصفهاني، تحقيق: محمد سعيد كيلاني، دار المعرفة -لبنان-.

110) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر

111) مقدمة في التربية، ابراهيم ناصر، دار عمار للنشر، سنة الطبع: 2004م.

112) مناهج البحث العلمي، عبد الرحمان بدوي، الناشر: وكالة المطبوعات -الكويت- 1977م.

113) مناهج البحث في الجغرافية بالوسائل الكمية، د. محمد على عمر الفرا، وكالة المطبوعات -الكويت، ط2، سنة النشر: 1978م

114) مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها، ماجد عرسان الكيلاني، عالم الكتب بيروت-لبنان-، ط1 1416هـ-1995م.

115) مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها، ماجد عرسان الكيلاني، دار عالم الكتاب بيروت- لبنان، ط: 1، سنة الطبع 1416هـ-1995م.

116) منتخب من صحاح الجوهري، لابن حماد الجوهري.

117) المنتخب من غريب كلام العرب، علي بن الحسن الهنائي، تحقيق: د. محمد بن أحمد العمري، الناشر: معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي -المملكة العربية السعودية-،

118) منهاج التربية الإسلامية بسلكي التعليم الثانوي الاعدادي والتأهيلي، مديرية المناهج الرباط، يونيو 2016.

119) المنهاج النبوي تربية وتنظيما وزحفا، عبد السلام ياسين، الشركة العربية الإفريقية للنشر والتوجيع، ط2 1989.

120) المنهاج النبوي في دعوة الشباب، د. سليمان بن قاسم العيد، دار العاصمة للنشر والتوزيع—الرياض-، ط2 1433هـ-2012م.

121) المنهاج النبوي في دعوة الشباب، د. سليمان بن قاسم العيد، دار العاصمة للنشر والتوزيع—الرياض-، ط2 1433هـ-2012م.

122) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف النووي، دار مؤسسة قرطبة، ط 2: 1414 – 1994م.

123) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف النووي دار مؤسسة قرطبة، ط 2 1414هـ-1994م.

124) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب دار الشروق -القاهرة- ط 14 1414هـ1993م.

125) منهج التربية النبوية للطفل، محمد نور بن عبد الحفيظ سويد، دار طيبة -مكة المكرمة-، ط2 1421هـ-2000م.

126) الموطأ، مالك بن أنس، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت-لبنان- 1406هـ-1985م.

127) النبي المربي د. أحمد رجب الأسمر، دار الفرقان -الأردن، ط: 1 1422 هـ-2001 م.

128) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، دار الكتاب الإسلامي- القاهرة، 1404.

129) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، الخضري، دار الفيحاء -دمشق، ط: 2 1425.

130) هذا هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم، د. محمد بن عبدالسلام معاطى، دار فحر للطباعة والنشر، ط 2 1428هـ.

131) ورقات عن حضارة المرينيين، محمد المنوني، دار النجاح -الدار البيضاء-المغرب، ط3 1420هـ-2000م.

المحتويات

الفصل الثاني
المنهج النبوي ومجالاته

الفصل الثالث
المنهج النبوي التعليمي

الفصل الرابع
أثر المنهج النبوي
في منهاج التربية الإسلامية

هذا الكتاب

فإن الأمم والمجتمعات لا تستطيع أن تحافظ على استمرار وجودها ورقيها، إلا بفضل إعداد أجيالها المتعاقبة الإعداد السليم المتكامل، وبقدر ما تحافظ الأمم والشعوب على تربية هذه الأجيال الصاعدة على التمسك بدينها ومعتقداتها وأخلاقها، بقدر ما تحافظ على بقائها وعلو شأنها، لذلك وجهنا الإسلام الحنيف إلى الاهتمام والعناية بالناشئة وتربيتها تربية صالحة مصلحة، لا سيما في مراحل الطفولة حين يكون الطفل ألين عريكة، وأنقى فطرة، وأصدق تأثرا بكل من يحيط به.

والآباء مسؤولون بالدرجة الأولى عن تنشئة الطفل وإحاطته بالرعاية والحماية والتوجيه، ثم المدرسة، ثم المجتمع وهكذا.

فالناشئة الصالحة تعتبر ثروة الأمة الغالية وذخرها الثمين، لأنه دون شك ستكون خيرا ونعمة، حين تستثمر في الخير والفضيلة والبناء، والعكس صحيح يمكن أن تصبح ضررا مستطيرا وشرا وبيلا، حين يفترسها الشر والفساد...

9 789920 912495